# مفاتيح السور

## الجزء الثالث

عبدالحي حسين محمد الفرماوي

# مفاتيح سورة طه

## أولاً:اسم السورة

**لهذه السورة من الأسماء ما يلى :**
**١- طه(١)**
**وذلك – فيما روى الفيروزابادى – لافتتاح السورة .**
**وأما (طه) فمعناه على عدة أقوال ؛ منها(٢) .**
**أ-أنها من المتشابه الذى لا يفهم المراد منه ، حيث استأثر الله تعالى بعلمه.**
**ب- أنها بمعنى يا رجل .**
**جـ- أنها اسم من أسماء الله وأقسم الله به .**
**د- أنها ٠٠٠٠ للنبى صلى الله عليه وسلم .**
**هـ- أنها اسم للسورة .**
**و- أنها حروف مقطعة يدل كل واحد منها على معنى .**
**ز- أنها ٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ٠٠٠٠٠ ٠٠٠ ٠**
**والصواب من هذه الأقوال .**
**أنها بمعنى : يا رجل . فيما يرى ابن ٠٠٠٠ الطبرى والواضح أن ابن كثير يميل إلى ذلك .**
**و٠٠٠٠٠٠٠ الآلوس – فيما يبدو إلى القول بأن الكلمة معناها : لجأ الأرض بقدمك يا محمد لما كان يشق على أمه بالوقوف على رجل واحدة أثناء العبادة .**
**٢- سورة الكليم(٢)**
**والكليم : هو موسى عليه السلام .**
**وسميت السورة بذلك : حيث أن قصة الكليم عليه السلام تستغرق حوالى ثلثى آيات السورة .**
**ويذكر الإمام الفيروزابادى : اسماً ثالثاً ، وهو :**
**٣- سورة موسى .**
**وذلك : لاشتمالها – كما يقول – على قصته مفصلة(٤) .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها(٥) : (١٣٥) مائة وخمس وثلاثون آية .**
**كلماتها : (١٣٤١) ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعمائة كلمة .**
**حروفها : (٥٢٤٢) خمسة آلاف ومائتان واثنتان وأربعون حرفاً .**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ- فى المصحف .. بعد : سورة "مريم" ، وقبل : سورة "الأنبياء" .**
**ب- فى النزول .. بعد : سورة "مريم" ، وقبل : سورة "الواقعة" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**يروى فى سبب نزولها عدة روايات .**

**منها :**

**أ- ما روى عن ابن عباس(٦) : أن النبى صلى الله عليه وسلم .. كان أول ما نزل عليه الوحى ، يقوم على صدور قدميه إذا صلى .**

**فأنزل الله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) .**

**ب- وما روى عن ابن عباس أيضاً(٦) : قال : قالوا لقد شقى هذا الرجل بربه .**

**فأنزل الله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) .**

**جـ- وأشهرها وأبرزها(٧) .. ما روى عن مقاتل :**

**أن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدى والنضر ابن الحارث .. قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك .**

**فقال عليه الصلاة والسلام : بل بعثت رحمة للعالمين .**

**قالوا : بل أنت تشقى .**

**فأنزل الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ...) الآيات .**

**وذلك : رداً عليهم ، وتعريفاً لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو السلام ، وهذا القرآن هو السبيل إلى نيل كل فوز ، وإدراك كل سعادة ، وأن ما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها .**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**وهذه السورة : مما نزل بمكة .**

**ويبدو : أنها نزلت فى فترة مبكرة من العهد المكى ، ويشير إلى ذلك : ما هو مشهور فى قصة إسلام عمر بن الخطاب ، والمعروف أن إسلامه كان قبل الهجرة بخمس سنوات .**

**ومعنى ذلك : أنها كانت مما نزل قبل الخمس سنوات**

## سادساً : فضل السورة

**تحفل كتب التفسير والحديث يذكر العديد من الروايات الدالة على فضل هذه السورة .**

**ومن ذلك :**

**١) سبباً فى إسلام عمر بن الخطاب(٨) رضى الله عنه .**

**٢)أسند الدارمى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تبارك وتعالى قرأ طه و"يس" قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن ، قالت :**

**طوبى لأمة : ينزل عليها هذا .**

**وطوبى ٠٠٠ : تحمل هذا .**

**وطوبى لألسنة : تتكلم بهذا .**

**٣) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :**

**(أعطيت السورة التى ذكرت فيها الأنعام ، من الذكر الأول ،**

**وأعطيت سورة طه ، ... من ألواح موسى .**

**وأعطيت ... القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش .**
**وأعطيت المفصل : نافلة)(١٠) .**
**٤) وأخرج ابن مردويه – أيضاً – عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :**
**(كل قرآن يوضع عن أهل الجنة ، فلا يقرؤن منه شيئاً إلا سورة طه ويس، فإنهم يقرؤن بهما فى الجنة)(١٠) .**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**تناسب هذه السورة مع التى قبلها واضح ، تؤكده النقاط التالية :**
**١) ما روى عن ابن عباس وجابر بن زيد أن طه نزلت بعد مريم(١١) .**
**٢) ما أخرجه البخارى وغيره عن ابن مسعود أنه قال :**
**هذه السورة – يقصد الإسراء – والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء هن: من العتاق الأول ، وهن من٠٠(١١) .**
**وهذا : من أبرز وحدة الإرتباط والتناسب بينهما .**
**٣) أن هذه السورة من السور الخمس التى احتوت على عجائب قدرة الله تعالى ، والسور – كما هو معلوم – هى :**
**وعجيبة هذه السورة : هى عصا موسى عليه السلام .**
**٤)إذا كانت سورة مريم قد بدأت بالحروف المقطعة (كهيعص) .**
**فإن هذه – كذلك – بدأت بالحروف المقطعة (طه) .**
**٥) إذا كان المولى سبحانه وتعالى تحدث عن القرآن وتيسيره للبشارة والإنذارة فى قوله تعالى بخاتمة مريم {فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً} [مريم ٩٧] .**
**٦) إذا كان تعالى قد ذكر فى مريم العديد من قصص الأنبياء ٠٠**
**تارة بالبسط الشديد : كقصة زكريا ، ويحيى ، وعيسى عليهما السلام .**
**وتارة بين البسط والإيجاز : كقصة إبراهيم عليه السلام .**
**وتارة بالإيجاز الشديد : كبقية الأنبياء المذكورين .**
**فإنه تعالى فى سورة طه :**
**بسط قصة موسى – التى أوجزت بمريم – غاية البسط والشرح .**
**ثم ... قصة آدم – نوعاً ما – بعد أن كان ذكره فى مريم مجرد إسم عابر فقط .**
**وثالثاً : أكمل الحديثعن باقى الأنبياء فى سورة الأنبياء التالية على نحو ما ذكر فيها(١١) .**

## ثامناً : هدف السورة

**الواضح فى آيات السورة وموضوعاتها جيداً أنها تهدف إلى أمرين(١٢) .**
**الأول : ترسيخ بعض أصول العقيدة .**
**الثانى : بيان سبيل الدعاة إلى الله تعالى – القويم . للوصول إلى النجاح فى مهمتهم .**

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من : مقدمة ، وثلاثة أقسام ، وخاتمة .

فالمقدمة : عبارة عن (٨) آيات .

من الآية الأولى ، حتى نهاية الأية (٨) .

وفيها :

حديث : مع النبى صلى الله عليه وسلم ·· تأنيس له ، وتخفيف عنه ، وتحديد لمهمته .

وبيان : لحكمة إنزال هذا القرآن ، بالإشارة إلى المستجيبين له ، المستفيدين منه .

وتعريف : على الله سبحانه وتعالى ، منزل هذا الكتاب ، ومرسل هذا النبى صلى الله عليه وسلم ، من خلال سعة قدرته ، وإحاطة علمه ، سبحانه

والقسم الأول : عبارة عن (٩٠) آية .

من الآية (٩) حتى نهاية الآية (٩٨) .

وفيه :

قصة موسى عليه السلام ، وهى تعرض هنا على مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : جولته الأولى مع فرعون .

المرحلة الثانية : جولته الثانية مع فرعون .

المرحلة الثالثة : فترة من حياة موسى مع بنى إسرائيل .

ويلاحظ جيداً : أن ذكر قصة موسى عليه السلام بهذه الدقة ، وهذا التفصيل ·· بعد المقدمة ، التى تحدثت عن الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن : يشير بوضوح إلى أن ذكر هذه القصة ، هو من باب التدليل على أن هذا القرآن من عند الله ، الذى يعلم السر وأخفى ، ويعلم كل شئ ، ولو لم تكن المسألة كذلك : ما كان القرآن لينص علينا أنباء ما قد سبق بمثل هذه الدقة .

القسم الثانى : عبارة عن (١٦) آية .

من الآية (٩٩) حتى نهاية الآية (١١٤) .

وفيه :

حديث – مرة أخرى – مع النبى صلى الله عليه وسلم ·· تأنيس له ، وتذكير بمهمته ، وتهديد لمخالفته وبشارة لأتباعه صلى الله عليه وسلم ومحبيه ·· من خلال بيان بعض أحوال وأهوال يوم القيامة .

وبيان – مرة أخرى كذلك – لحكمة إنزال هذا القرآن .

وتعريف – كذلك – على الله سبحانه وتعالى منزل هذا الكتاب ، ومرسل هذا النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى بعض توجيهاته الربانية .

ويلاحظ جيداً : أن هذا القسم ، وإن كان يشابه المقدمة فى الموضوع والأسلوب ·· إلا أنه يؤكد بدوره على القصة حينما تعرض ·· فهى تهدف – بجانب أهدافها الكثيرة – إلى تأكيد أن هذا القرآن من عند الله تعالى ، حيث إن ما يساق فيها ·· لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى الذى يقول لحبيبه عن ذلك {كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق} تكثيراً لبيناتك ، وزيادة فى معجزاتك .

القسم الثالث : عبارة عن (١٣) آية .

من الآية (١١٥) حتى نهاية الآية (١٢٧) .

وفيه :

قصة آدم عليه السلام ، والتى تكررت فى القرآن الكريم كثيراً ، وهى فى كل مرة – شأن القصص القرآنى – تنسجم مع محور السورة التى تذكر فيها ، وتؤدى دورها فى تحقيق هدف هذه السورة ، أو تلك مما تذكر فيها(١٩) .

وهى هنا ، تذكر : لتقليل الأشقاء الذى كتب على آدم عليه السلام ، وذريته من بعده .

كما أنها تذكر كذلك : لتصل إلى موضوع جزاء الإعراض عن كتاب الله تعالى ، فى الدنيا وفى الآخرة .

وأخيراً ‥ تكون الخاتمة : وهى عبارة عن (٨) آيات

من الآية (١٢٨) حتى نهاية الآية (١٣٥) وهى خاتمة آيات السورة .

وفيها :

مناقشة : المعرضين ووعيدهم .

وأمر : المستجيبين ، وبشارتهم .

وإقامة الحجة : على المعاندين ، وتهديدهم .

ولذلك : فهى تدفع الإنسان فى الطريق المؤدى إلى الإيمان .

بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

كما تدفعهم : إلى الإيمان بالله واليوم الآخر .

كل ذلك : لتوصلهم إلى الهدى والفلاح .

ويلاحظ : أن هذه الخاتمة قد حققت هذا الغرض بأسلوب قريب مما كان فى مقدمة السورة ، حيث :

تحدثت من النبى صلى الله عليه وسلم ، آمرة له ‥ بالصر ، والتسبيح ، والرضا ، وربط الأهل بالله تعالى .

وبيان : لاحتواء القرآن الكريم ، وما فى الصحف الأولى .

وتعريف على الله تعالى ، منزل هذا الكتاب ، ومرسل هذا النبى صلى الله عليه وسلم ، من خلال : سعة قدرته ، وإحاطة علمه ، سبحانه .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

السورة تحفل بالموضوعات العديدة التى توصل هدفها إلى كل من ينعم بصره وبصيرته بتلاوة آياتها .

ومن هذه الموضوعات على سبيل الإشارة :

١) الحديث عن القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم .

وذلك : فى صدر السورة ، ووسطها ، وخاتمتها .

٢) الحديث٠ عن موسى عليه السلام .

وذلك : فى حوالى ثلثى آيات السورة – ويأتى هذا الحديث على جولات ثلاث :

الأولى : عن نبوة موسى عليه السلام وجولته الأولى مع فرعون .

الثانية : جولته الثانية مع فرعون .

الثالثة : الحديث عن ‥٠ مراحل حياة موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل.

٣) الحديث عن قصة آدم عليه السلام ، وموقف الشيطان منه ، وحال ذريته من حيث الهداية والغواية إلى يوم القيامة .

٤) الحديث عن بعض مشاهد يوم القيامة .

٥) توضيح أسلوب الدعوة إلى الله تعالى .

٦) التركيز الشديد على بعض أصول العقيدة .

وخلاصة ما تضمنته السورة الكريمة(١٤)

(١) إن القرآن أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم تذكرة لمن يخشى ، أنزله من خلق الأرض والسموات العلى .

(٢) قصص موسى عليه السلام وتكليمه ربه فى الطور ، وحديث العصا واليد البيضاء من غير سوء ، وطلبه من ربه أن يجعل له أخاه هارون وزيراً وإجابة سؤاله على ذلك ، وامتنانه عليه بما حدث له حين وضع فى التابوت وألقى فى اليمّ وقصّ أخته ورجوعه إلى أمه ، ثم طلب ربه منه أن يبلغ فرعون دعوته وينصح له فى قبول دينه وإقامة شعائره ، وإجابة فرعون له بأنه ساحر كذاب ، وأنه سيجمع له السحرة ثم إيمان السحرة به فتوعدهم فرعون بالعذاب فلم يأبهوا له ، واستمر فرعون فى غيه حتى أوحى الله إلى موسى أن يخرج من مصر فأتبعه هو وجنوده فأغرقوا .

(٣) حديث السامرى وإضلاله بنى إسرائل باتخاذه عجلاً جسداً له خوار حين كان موسى بالطور ، وحين رجع ورأى ذلك هاله الأمر وغضب من أخيه هارون وأخذ يجره من رأسه ، ثم إغلاظه القول للسامرى ودعوته عليه بأنه يعيش طريداً فى الحياة وسيعذبه الله فى الآخروة أشد العذاب ، ثم نسف إلهه وإلقاؤه فى اليمّ .

(٤) بيان أن من أعرض عن القرآن فإنه سيلقى الجزاء والوبال يوم القيامة.

(٥) ذكر أوصاف المجرمين حينئذ ، وأنهم يختلفون فى مدة لبثهم فى الدنيا.

(٦) سؤال المشركين عن حال الجبال يوم القيامة ، وأن الأصوات حينئذ تخشع للرحمن فلا تسمع إلا همساً ، وأن الوجوه تخضع لربها القائم بأمرها .

(٧) وصف القرآن الكريم بأنه عربى مبين أنزل تذكرة الناس ، وأن الله سيعصم رسوله من نسيانه ، فلا ينبغى أن يعجل بتلاوته قبل أن يتم تبليغ جبريل له .

(٨) قصص آدم عليه السلام مع إبليس ، وترك آدم للعهد الذى وصاه به ربه وقبول نصيحة إبليس مما كان سبباً فى إخراجه من الجنة .

(٩) بيان أن من أعرض عن ذكر ربه عاش فى الدنيا عيشة ضنكاً وعمى فى الآخرة عن الحجة التى تنقذه من العذاب ، لأنه قد كان فى الدنيا أعمى عنها تاركاً لها فتركه ربه من إنعامه .

(١٠) بيان أن فى الثلاث التى سلفت للأمم قبلهم بمن يمرون على ديارهم مصبحين وبالليل كعاد وثمود – ما كان ينبغى أن يكون رادعاً لهم وزاجراً لو تدبروا وعقلوا .

(١١) إن كلمة الله قد سبقت بأنه سيؤخر عذاب المشركين إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة .

(١٢) طلبه من رسوله تنزيهه والثناء عليه آناء يوم الليل وأطراف النهار وجاء أن يعطيه ما يرضيه .

(١٣) أمر رسوله بأن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر هو عليها وهى لا تكون شاغلاً لهم عن الرزق .

(١٤) طلب المشركين من الرسول أن يأتيهم بآية من نوع ما أوتى الرسل الأولون .

(١٥) إن إنزال القرآن على رسوله ليزيح العلة ويمنع المعذرة يوم القيامة ، فلا يقولون : لولا أرسلت إلينا رسولاً وأتيتنا بكتاب نتبعه .

(١٦) وعيد المشركين بأنهم يتربصون ، وسيعلمون يوم القيامة لمن يكون حسن العاقبة ؟ .

نقتطف فى هذه العجالة بعضاً من الفوائد التى تفيض بها آيات السورة الكريمة .
ومن ذلك :
١) أن هذه السورة كانت سبباً فى إسلام عمر بن الخطاب على ما هو مشهور فى كتب السيرة .
٢)فى قوله تعالى {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى} [طه ٢ ، ٣] .
قال ابن كثير : ليس الأمر كما زعمه المبطلون الذين قالوا إن القرآن أنزل على محمد ليشقى ، بل من آتاه الله العلم ، فقد أراد .............................................
صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين) .
وبالطبع هذا رداً على من يقول :
ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
ثم قال : وما أحسن الحديث الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه بقضاء عباده : إنى لم أجعل علمى وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى) إسناده جيد(١٥) .
٣) فى قوله تعالى {وما تحت الثرى} [طه ٦].
قال القرطبى : ما تحت الصخرة التى لا يعلم ما تحتها إلا الله(٥) .
وقال محمد بن كعب : ما تحت الأرض السابعة(١٦) .
وقال صاحب كتاب الأساس :
يذكر ابن كثير كلاماً مرجعه إما إلى الإسرائيليات ، وإما إلى حديث رواه مولاه من لا يساوى شيئاً ، ومن ثم أضربنا عن نقله .
إلا أننا نذكر أن علم الجيولوجيا المعاصر ، أثبت أن فى الأرض طبقات، وقد اكتشف منها حتى الآن خ مس طبقات ، كل طبقة تختلف عن الأخرى ٠٠ إلخ.
وبما أن كلمة الثرى تعنى : التراب .
ففى لسان العرب :
الثرى : التراب الندى . وهو ما تحت الأرض .
وثريت الأرض ثرى ، فهى : تربية كثر نداها .
ويقال : ثريت بفلان فإنا ثرى به أى غنى عن الناس .
ويقال : فلان قريب الذى أى الخير(١٧) .
ومن هنا : فأكاد أفهم أن هذه الجملة التى جاءت بها الآية الكريمة وهى خارجة ، عن القسمة العقلية لملكوت الله تعالى حيث ما جاء به الآية السادسة من السورة .
أقول : لعل المراد بها : أن يطمئن الله عباده ، بما أودع لهم من الخير تحت تراب كل بلد من بلادهم ، بما يكفيهم أن يعيشوا فى رغد إلى آخر الزمان لو استخرجوه . والله أعلم .
٤)فى قوله تعالى {وما تلك بيمينك يا موسى ٠٠} [الآيتان ١٧ ، ١٨] .
جوز فى إيثار قوله تعالى {ما فى يمينك} على {عصاك} وجهان : أحدهما – أن يكون لها تعظيماً لها . أى لا تحتال بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة . فإن فى يمينك شيئاً أعظم منها كلها . وهذه على كثرتها أقل شئ وأنزره عنده . فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها . وثانيهما – أن يكون تصفيراً لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم . وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك . فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها ، وصغره وعظمهاه

. وإنما المقصود بتحقيرها فى جنب القدرة ، تحقير كيد السحرة بطريق الأولى . لأنها إذا كانت أعظم منه وهى حقيرة فى جانب قدرة الله تعالى ، فما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة؟

ولأصحاب البلاغة طريق فى علوّ المدح بتعظيم جيش عدوّ الممدوح ، ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه . فصغر الله أمر العصا ، ليلزم منه كيد السحرة الداحض بها فى طرفة عين .

واعلم أنه لابد من نكتة تناسب الأمرين – التعظيم والتحقير – وتلك ، والله أعلم ، هى إرادة المذكور بهما ، لأن {ما فى يمينك} أيهم من {عصاك} وللعرب مذهب فى التنكير والإبهام ، والإجمال ، تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته ، وأنه عند الناطق به أهون من أن يخصه ويوضحه . ومرة لتعظيم شأنه ، وليؤذن أنه من عناية التكلم والسامع بمكان ، يغنى فيه الرمز والإشارة . فهذا هو الوجه فى إسعاده بهما جميعاً .

ثم قال النصار : وعندى فى الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير . والله أعلم . وهو ؛ أن موسى عليه السلام ، أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى ، عندما سأله عنها بقوله تعالى {وما تلك بيمينك يا موسى} ثم أظهر له تعالى آيتها ، فما دخل وقت الحاجة إلى ظهور الآية منها ، قال تعالى {وألق ما فى يمينك} ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذى قال الله تعالى له {وما تلك بيمينك} وقد أظهر له آيتها ، فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً ، حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت ظهور آيتها . وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت . ألا ترى إلى قوله تعالى {فأوجس فى نفسه خيفة موسى} ؟ .

ولأبى حيان نكتة أخرى . وهى ما فى اليمين من الإشعار باليمن والبركة . ولا يقال جاء فى سورة الأعراف {ألق عصاك} والقصة واحدة . لأنه يجاب بأنه مانع من رعاية هذه النكتة فيما وقع هنا . وحكاية ما جاء بالمعنى .

٥) فى قوله تعالى {قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيــراً من أهلى هارون أخى ٠٠}[طه ٢٥-٣٦].

لما أمر الله موسى بالذهاب إلى الطاغية دعا هذه الدعوات لعلمه باحتياج إليها : من شرح الصدر ، وتيسر الأمر ، وطلاقة اللسان ، ٠٠٠٠٠ على السراء والضراء .

ومن عانى أمر الدعوة إلى الله عرف أهمية هذه الدعوات .

فبدون شرح الصدر : لا يستطيع الإنسان أن يقوم : لدعوة إلى الله ، لا أن يتحمل متاعبها .

وبدون تيسير الأمر : ينكسر قلب الداعية إلى الله .

وبدون طلاقة لسان لا تقدم حجة ، ولا يوصل إلى المقصود .

وبدون ٠٠٠٠ فى السراء والضراء ، يستشار وتبث الشكوى إليه : يحس الداعية بغربة هائلة مجزئة(١٣) .

ولذلك ورد : أن رسولنا صلى الله عليه وسلم دعا ربه بهذه الدعوات .

٦) فى قوله تعالى {واجعل لى وزيراً من أهلى} [طه ٢٩] .

أدب الأخوة فى الله ، والغاية منها .

فالأدب : شد الأزر ، والاشتراك فى الأمر .

والهدف : ذكر الله وتسبيحه .

مما لم ٠٠٠٠ بالأخوة كثرة الذكر ، لا تكون خالصة فى البر .

وإذا كان لها هدف آخر غير ذلك : فليست أخوة فى البر(١٣) .

٧) فى قوله تعالى {قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى}. فى تخيير السحرة بين إلقاء موسى وإلقائهم : استعمال ادب حسن معه ، وتواضع له [طه ٦٥ ، ٦٦] .

وخفض جناح . وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم . وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك ، وعلم موسى – صلوات الله عليه – اختيار إلقائهم ، أولاً ، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب ، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ، ويستنفذهن أقصى طرفيهم ومجهودهم . فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه ، وقذف بالحق على الباطل فدمغه ،

وسلط المعجزة على الجسر فمحقته ، وكانت آية نبرة للناظرين ، وعبرة بينة للممترين . وقبل ذلك تأدبوا معه بقولهم {فاجعل بيننا وبينك فاجعل موعداً لا نخلفه} ففوضوا ضرب الموعد إليه . وكما ألهم الله عز وجل موسى هاهنا ، أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ، ليكون إلقاؤه العصا ، بعد ، قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، كذلك ألهمه من الأول ، أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ، ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد ، فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم .

٨) فى قوله تعالى {ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى} [ ٩٠ وما بعدها] .

الأول – اعلم أن هارون عليه السلام ، سلك فى هذا الوعظ أحسن الوجوه . لأنه زجرهم عن الباطل ، أولاً بقوله {إنما فتنتم به} ثم دعاهم لمعرفة الله تعالى ثانياً بقوله {وإن ربكم الرحمن} ثم دعاهم ثالثاً إلى معرفة النبوة بقوله تعالى {فاتبعونى} ثم دعاه إلى الشرائع رابعاً بقوله {وأطيعوا أمرى} وهذا هو الترتيب الجيد . لأنه لابد قبل كل شئ فى إماطة الأذى عن الطريق ، وهو إزالة الشبهات . ثم معرفة الله تعالى ، فإنها هى الأصل . ثم النبوة ثم الشريعة . فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه . أفاده الرازىّ .

وقد برأ الله تعالى بهذه الآيات البينات ، هارون عليه السلام مما افتراه عليه كتبة التوراة ، من أنه هو السامرىّ الذى اتخذ العجل وأمر بعبادته ، كما هو موجود عندهم . وهو من أعظم الفرى ، بلا امترا .

الثانى – عامة المفسرين قالوا : المراد بالرسول فى قوله تعالى {فقبضت قبضة من أثر الرسول} هو جبريل عليه السلام . وأراد بأثره ، التراب الذى أخذه من موضع حافر دابته . ثم اختلفوا : أن السامرىّ متى رآه ، فقيل : إنما رآه يوم فلق البحر . وقيل : وقت ذهابه بموسى إلى الطور .

واختلفوا أيضاً فى : أن السامرىّ كيف اختص برؤية جبريل عليه السلام ، ومعرفته من بين سائر الناس ؟ فقيل إنما عرفه لأنه رآه فى صغره ، وحفظه من قتل آل فرعون له ، وكان ممن رباه . وكل هذا ليس عليه أثارة من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم . ولذا قال أبو مسلم الأصفهانىّ : ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون . فهاهنا وجه آخر وهو : أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام . وبأثره سنته ورسمه الذى أمر به ، فقد يقول الرجل : فلان يقفو أثر فلان ويقبض أثره ، إذا كان يمتثل رسمه . والتقدير ، أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامرىّ باللوم ، والمسألة عن الأمر الذى دعاه إلى إضلال القوم فى باب العجل ، فقال {بصرت بما لم يبصروا به} أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أى شيئاً من سنتك ودينك. فقذفته ، أى طرحته . فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب فى الدنيا والآخرة . وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب ، كما يقول الرجل لرئيسه هو ومواجه له : ما يقول الأمير فى كذا ؟ وبماذا يأمر الأمير ؟

وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولاً ، مع جحده وكفره ، فعلى مثل مذهب من حكى الله تعالى عنه قوله(١) {يا أيها الى نزل عليه الذكر إنك لمجنون} [الحجر ٦] وإن لم يؤمنوا بالإنزال . انتهى .

٠٠٠٠ معذرتهم . فعند ذلك ، قالوا : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ {قل} أى لأولئك الكفرة المتمردين {كل} أى منه ومنكم {متربص} أى منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم {فتربصوا فستعلمون} أى عن قرب {من أصحاب الصراط السوى} أى المستقيم {ومن اهتدى} أى من الزيغ والضلالة . أى هل هو النبىّ وأتباعه ، أم هم وأتباعهم .

وقد حقق الله وعده . ونصر عبده . وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده ، فله الحمد فى الأولى والآخرة .

٩) فى قوله تعالى (وعنت الوجوه للحى القيوم} [طه ١١١] .

قال تعالى {وعنت} ولم يقل {وخضعت} أو {خشعت} .

لأن هذا اللفظ يحمل ما فى هذه الألفاظ مع زيادة الإشعار بالمعاناة والإجهاد والإذلال والتعب والشقاوة .

وإلا فإن الخضوع والخشوع وأحياناً يكون مع الاقتناع والمحبة .

١٠) فى قوله تعالى {فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى} [طه ١١٧] .

ما يفيد أن الخروج كان لهما معاً .

وما يفيد – فى نفس الوقت – أن الشقاء بعد هذا الخروج ، أى فى الدنيا ، سيكون عليه وحده .

والشقاوة هنا : هى شقاوة البدن ؛ نظراً للكد والكسب والعمل .

وفى هذا ما يفيد : أنه لا عمل على المرأة يتعلق بكسب الرزق وأمور المعيشة ، وأن وظيفتها الأساسية : تربية الإنسان ، واستمرار وجوده .

١١) فى قوله تعالى {ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ...} [طه ١٢٤] .

هذه الآية : توهم التناقض بين المفهوم منها ، وبين الواقع المشاهد لما عليه الكفار من المعيشة الرغدة وما عليه أكثر المؤمنين من المعيشة الضنك .

ويزول هذا التناقض بفهم معنى الآية كما ذكره العلماء .....

ويذكرون فى ذلك أقوالاً منها :

أ- قال عكرمة : الضنك ، الكسب الحرام(٦) .

ب- وقال الحسن : هو طعام الضريع والزقوم(١٦) .

وهذان القولان : لا يزيلان التوهم العالق بالأذهان فيما أرى .

جـ- أن الله تعالى جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته وعدله ، وصاحب الدين يتفق بسماح وسهولة ، ويعيش عيشة راضية(١٦).

أما الكافر – كما قال ابن كثير : فلا طمأنينية له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق فرج ؛ لضلاله وإن مُنعم ظاهرة ، وليس ما شاء ، وأكل ما شاء ، وسكن ما شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى .... والهدى ، فهو فى قلق وحيرة وشك ، فلا يزال فى ريبة يتردد .

د- أن المعيشة الضنك "عذاب القبر" وقال الإمام القرطبى : وهو الصحيح.

وذكر أن فى ذلك : قاله أبو سعيد الخدى ، وعبد الله ابن مسعود .

وأن أبا هريرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً أنه قال : (يضيق على الكافر فى قبـــره ، حتى تختــلف أضلاعه ، وهو المعيشة الضنك)(١٥).

## ثانى عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث


١- أنظر : السخاوى .. جمال القراء ٣٧/١

الفيروزابادى .. بصائر ذوى التمييز ٣١١/١

القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة طه)

السيوطى .. الاتقان (النوع ١٧)

الآلوس .. روح المعانى (تفسير سورة طه)

٢- أنظر : الطبرى .. جامع البيان ( " " )

الفخر الرازى .. مفاتيح الغيب ( " " )

القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن ( " " )

ابن كثير .. تفسير القرآن العظيم ( " " )

الآلوس .. روح المعانى ( " " )

الشوكانى .. فتح القدير ( " " )

٣- أنظر : السخاوى ، السيوطى ، الآلوس .. (مصادر سابقة)
٤- الفيروزابادى .. (مصدر سابق)
٥- أنظر : مكى بن أبى طالب.. التبصرة ص ٢٥٨
السخاوى .. جمال القراء ٢,٧/١
الفيروزابادى .. بصائر ٣١/١.
الآلوس .. روح المعانى (تفسير سورة طه)
.. نثر المرجان ٢٦٤/٤
٦- الواحدى .. أسباب النزول
٧- أنظر : الواحدى .. تفسير
الفخر الرازى .. مفاتيح الغيب (تفسير سورة طه)
٨- أنظر : قصة إسلام عمر بن الخطاب فى كتب السيرة .
٩- الدارمى .. سنن الدارمى : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة طه ويس، والحديث أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ، والعقيلى فى الضعفاء ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب .. وفيه : نكارة .
١٠- الشوكانى ...... .......
١١- الآلوس .. روح المعانى (تفسير سورة طه)
١٢- د/ محمد البهى.. (تفسير سورة طه) ص ٣ وما بعدها
١٣- أنظر : سعيد حوى .. الأساس فى تفسير القرآن(تفسير سورة طه)
١٤- المراغى .. تفسير المراغى ( " " " )
١٥- ابن كثير .. تفسير القرآن العظيم ( " " " )
١٦- القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن ( " " " )
١٧- ابن منظور .. لسان العرب (مادة : ثرا)
١٨- القاسمى .. محاسن التأويل (تفسير سورة طه)
١٩- أنظر : القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة طه) التذكرة ص١٦٨

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الأنبياء

## أولاً:اسم السورة

**وتسمى هذه السورة بما يلى :**

**١- سورة الأنبياء(١) .**

**وذلك : لأن الله تعالى ذكر فيها جملة من الأنبياء الكرام ، فى استعراض سريع ، يطول أحياناً ، ويقصر أحياناً ، وذكر جهادهم وصبرهم ، وتفضحيتهم فى سبيل الله ، وتفانيهم فى تبليغ الدعوة لإسعاد البشرية(١) .**

**فقد ذكر فيها من الأنبياء : موسى وهارون ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسحق ، ويعقوب ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، وإسماعيل ، وإدريس ، وذا الكفل ، وذا النون ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم .**

**وأيضاً : لاشتمالها على فضائل جليلة ، لجماعة منهم ، عليهم السلام.**

**ويذكر الإمام السخاوى ..كذلك .**

**٢- سورة (اقتربت)(٢) .**

**ويبدو : أن ذلك لمفتتحها .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها : (١١٢) مائة واثنتا عشرة آية .**

**كلماتها : (١١٦٨) ألف ومائة وثمان وستون كلمة .**

**حروفها : (٤٨٧٠) أربعة آلاف وثمانمائة وسبعون حرفاً .**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ- فى المصحف .. بعد : سورة "طه" ، وقبل : سورة "الحج" .**

**ب- فى النزول .. بعد : سورة "إبراهيم" ، وقبل : سورة "المؤمنون" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر فى آثار فى ذلك .**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة مكية .**

## سادساً : فضل السورة

سورة الأنبياء : سورة عظيمة ، فيها موعظة ... وقد أدرك ذلك خيار الناس .

فقد أخرج ابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر عن عامر بن ربيعة أنه : نزل به رجل من العرب ، فأكرم مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه الرجل فقال : إنى استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً ما فى العرب واد أفضل منه ، وقد أردت أن أقطع بن قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك ، فقال عامر : لا حاجة لى فى قطيعتك ، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ، وتلى قوله تعالى {اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون }(٤) .

كما روى أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبنى جداراً ، فمر به آخر فى يوم نزول هذه السورة .

فقال الذى كان يبنى الجدار : ماذا نزل اليوم من القرآن ؟

فقال الآخر : نزل {اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون} .

فنفض يده من البنيان ... !!

وقال : والله لأبنيت أبداً وقد اقترب الحساب !(٥) .

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

يقول الإمام الآلوس(٦) : ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها غنى عن البيان.

ونحن نحاول بفضل الله تعالى أن نفصل هذه الإشارة قدر المستطاع .

فنقول وبالله التوفيق .

أولاً : هذه السورة تعتبر السورة الخامسة فى السور التى ذكر الله فيها عجائب قدرته ، وغرائب آيات عظمته .

فإذا كانت الإسراء ذكرت حادثة ا لإسراء ..!

وإذا كانت الكهف : ذكرت قصة فتية الكهف ..!!

وإذا كانت مريم : ذكرت قصة لبلاء عيسى العجيبة .

وإذا كانت طه : وردت فيها قصة عصا موسى .. !

ففى هذه السورة : قصة حرف إبراهيم وتحول النار إلى برداً وسلماً .

ثانياً : مناسبتها لسورة طه التى قبلها .

١) التناسب بين فاتحة كل منهما .

فإنه إذا كان فى صدر طه ما يفيد أن نزول القرآن تذكرة لمن يخشى {إلا تذكرة لمن يخشى} .

فإن صدر الأنبياء يفيد أنهم لا يتذكرون به ولا يخشون الله لأنهم {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون} .

٢) التناسب بين خاتمة طه وفاتحة الأنبياء :

فإنه إذا كان تعالى قد ختم طه ينهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الافتنان بزهرة الدنيا والعقلة بسبب الانشغال بها .

فقد بين فى صدر الأنبياء سبب هذا النهى وعلته . ذلك أنه {اقترب للناس حسابهم} .

## ثامناً : هدف السورة

تهدف السورة بكل ما تعرض له إلى هدف واحد .

هو :

"استجاشة القلب البشرى لإدراك الحق الأصيل فى العقيدة التى جاء بها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يتلقاها الناس غافلين معرضين لاهين ، كما يصفهم القرآن فى مطلع السورة {اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم} .

حتى إن هذه الرسالة : حق وجد ، فلا مجال للهو فى استقبال الرسالة .

ولإجمال لطلب الآيات الخارقة ، وآيات الله فى الكون ، وسنن الكون كله توحى بأنه الخالق القادر الواحد .

وهذه الرسالة : من لدن الخالق القادر الواحد(٧) .

فحينما يقولون على القرآن {أضغاث أحلام بل افتراه} .

يرد القرآن عليهم قائلاً . {لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ...} [الآيات ١٠-٢٠] .

وحينما يشركون بالله {أم اتخذوا آلهة من الأرض}ز

يرد القرآن عليهم قائلاً : {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون} [الآيات ٢٢-٢٥] .

وحينما يدعون الله الولد {وقالوا اتخذ الرحمن ولداً} [٢٦] .

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من : مقدمة ، (٩) مجموعات من الآيات .

المقدمة : عبارة عن (٥) آيات .

من الآية الأولى ، حتى نهاية الآية (٥) .

وفيها :

إخبار : عن اقتراب الساعة ، وما فيها من الحساب .

ووصف : لهؤلاء الكافرين ، بأنهم غافلون ، معرضون ، لا يستمعون إلا وهم ساخرون هازؤن لا هون ، مكذبون .

والمجموعة الأولى : عبارة عن (١٠) آيات .

من الآية (٦) حتى نهاية الآية (١٥) .

وفيها :

رد من الله عز وجل على : أقوال الكافرين ، واستهزائهم ، واقتراحاتهم .

وكذلك : وعظ لهم ، فيه تذكير وتخويف .

والمجموعة الثانية : عبارة عن (٩) آيات .

من الآية (١٦) حتى نهاية الآية (٢٤) .

وفيها :

إحصاء للأسباب التى تجعل هؤلاء الكافرين يغفلون عن الحساب ، ويعرضون عن الحق .

وإبطال لهذه الأسباب والعلل ، وتفتيد لها .

وإذا كان الأمر كذلك : فليس عند هؤلاء من سبب لهذه الغفلة ، وذلك الأعراض ٠٠ سوى الجهل والعناء .

ويلاحظ : أن من اجتمع له الجهل والإعراض والعناد ٠٠ لا يسمع ، ولا يرغب أن يسمع ، ولذلك كانوا يتواصلون بقولهم {لا تسمعوا لهذا القرآن} .

ومن كان حاله هكذا : فالكلام معه وعدمه سواء .

والمجموعة الثالثة : عبارة عن (٩) آيات .

من الآية (٢٥) حتى نهاية الآية (٣٣) .

وفيها :

حكاية قول جديد من أقوال أهل الشرك والكفر ، والرد عليه ، بما يقطع عليه حجتهم ، ويدحض شبهتهم .

ثم عرض لبعض آثار قدرة الله تعالى . فى : السموات والأرض ، وهو فى ذات الوقت – عرض لا يبقى لموقفهم فى الكفر أى مبرر ، سوى الجهل والعناد .

والمجموعة الرابعة : عبارة عن (٧) آيات .

من الآية (٣٤) حتى نهاية الآية (٤٠) .

وفيها :

تسجيل لموقفين من مواقف الكافرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الموقف الأول : تمنيهم موته صلى الله عليه وسلم ليستريحوا منه ، ويتخلصوا من دعوته .

وقد تم علاج هذا الموقف ، والرد عليه ، وتفنيد أمنياتهم ، والتحذير من هذا الموقف وأمثاله .

والموقف الثانى : الاستهزاء بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وبأقواله ، ودعوته .

وقد تم – كذلك – علاج هذا الموقف ، والرد عليه ، وتفنيد استهزائهم ، والتحذير من هذا الموقف وأمثاله .

والمجموعة الخامسة : عبارة عن (٧) آيات .

من الآية (٤١) حتى نهاية الآية (٤٧) .

وفيها :

إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم مَن بعده مِن أمته ٠٠ أن الاستهزاء بالرسل – وكذلك : الدعاة – دأب الكافرين والطغاة فى كل زمان ، وأن الله عز وجل : سيحاسب وسينتقم .

وبيان : أن هؤلاء ٠٠ ضعفاء ، جبارون ، مغرورون ، وأن سبب غزوهم: هو إمداد الله ، وإمهاله لهم .

وأمر : لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ينذرهم ، وأن يقيم عليهم الحجة بأكثر من معنى ؛

وذلك : فى عجز آلهتهم ، وفى انتصارات المسلمين ، فى المآل ، وفى قوة الوحى ، وأحقية القرآن .

والمجموعة السادسة : عبارة عن (٣) آيات .

من الآية (٤٨) حتى نهاية الآية (٥٠) .

وفيها :

رد : على الذين يتمنون موت النبى صلى الله عليه وسلم ، ويستهزؤن به وبدعوته ، وينكرون إنزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم .

وذلك : بتقدير أن موسى وهارون عليهما السلام ، وهما بشران ، قد أنزل الله عليهما التوراة ، (ضياءً ، وذكراً للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) .

ولذلك : فاستغراب الناس وإنكارهم ٠٠ أن ينزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بشر ؛ موقف فى غير محله .

والمجموعة السابعة : عبارة عن (٤١) آية .

من الآية (٥١) حتى نهاية الآية (٩١) .

وفيها :

أولاً : حديث عن "إبراهيم" عليه السلام ، ثم عن "لوط" عليه السلام ، ثم عن "نوح" عليه السلام .

ويلاحظ : فى ذكر هذه القصص الثلاث ٠٠ البيان لعاقبة مكر الكافرين ؛ إذ فشل الله فى قصة "إبراهيم" عليه السلام ، وعوقبوا بسببه فى قصتى "لوط" و "نوح" عليهما السلام .

والعرض لنماذج ثلاثة أقوام لم ينفعهم الإنذار ، ولم تنفعهم الحجج .

وتثبيت لقلب النذير صلى الله عليه وسلم ، ودروس هادية له ، ولمن بعده من دعاة أمته .

ثانياً : حديث عن "داود" و"سليمان" عليهما السلام ، ثم عن "أيوب" عليه السلام ، ثم عن "إسماعيل" و"إدريس" و"ذا الكفل" عليهم السلام ، ثم عن "يونس" عليه السلام ، ثم عن "زكريا" عليه السلام ، ثم عن "عيسى وأمه" عليهما السلام .

ويلاحظ أنه فى ذكر هذه القصص .

التأكيد : على بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعلى عناية الله عز وجل بهم ، ورعايته لهم .

العرض لنماذج من أنبياء ابتلوا بالخير ، وآخرين ابتلوا بالشر ، وكيف تم للرسل النجاح فى المقامين عن طريق الشكر والصبر .

وذلك : ليكونوا قدوة الخلق فى كل حال .

وأيضاً : إقامة الحجة ، وقطع الطريق على كل تصور كافر فى شأن الرسل والوحى والإنذار .

المجموعة الثامنة : عن (١٥) آية

من الآية (٩٢) حتى نهاية الآية (١٠٦) .

وفيها :

حديث عن الأنبياء ، وأنهم أمة واحدة ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم واحد منهم .

وبيان : أن انقسام الناس وتفرقهم أثر عن الإيمان والكفر ، وأن نجاة الصالحين بسبب سلوكهم الطريق المستقيم .

وفى ذلك :

حجة على من تصور – أو يتصور – أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، ليس رسولاً ؛ إلا أنه من البشر .

وإشارة إلى أن الدخول فى أمة الأنبياء ٠٠ إنما هو فى الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم ٠٠

ثم يكون التهديد للكفار المعاندين ، والوعيد بالعذاب الشديد .

وكذلك البشارة للمؤمنين الطائعين ، والوعيد بالنجاة والخلود فى النعيم .

والمجموعة التاسعة : عبارة عن (٦) آيات .

من الآية (١٠٧) حتى نهاية الآية (١١٢) وهى خاتمة آيات السورة .

وفيها :

إعلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وللدنيا كلها ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم ورسالته : رحمة للعالمين .

وتوجيه للنبى صلى الله عليه وسلم ، وللدعاة من بعده : أنه إذا تم البلاغ ، وقامت الحجة ، وظل الكافرون والطغاة على مواقفهم فى الاستكبار والعناد .. فلابد من التفويض لله ، وتسليم الأمر له ، وطلب العون منه ، واللجوء إليه ليحكم بينه صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء الكافرين .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

تضم آيات السورة موضوعات عديدة ، بمعنى الحديث عنها فى أشواط أربعة(٧) :

الأول : لفت الناس من غفلتهم إلى يوم القيامة ودنوه .

الثانى : لفت الكفار إلى ما أصاب المستهزئين قبلهم ، وإيقاظاً لهم وردعاً .

الثالث : استعراض أمة النبيين .

الرابعة : عرض النهاية والمصير فى حشد من مشاهد يوم القيامة .

ومن الموضوعات التى عرضت خلال هذه الأشواط الأربعة ما يلى :

١) استبعاد بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليه .

قال الذين ظلموا {هل هذا إلا بشر مثلكم} [الآية ٣] .

ويقول تعالى {وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} [الآية ٧] .

٢) الاستهزاء بشخص الرسول والرد عليه .

{وإذا رآك الذين كفروا أن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون} [الآية ٣٦] .

ويرد القرآن عليهم :

أولاً : بوعيدهم العذاب .

{خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون ويقولون مثل هذا الوعد إن كنتم صادقين} [الآيتان ٣٧ ، ٣٨] .

ثانياً : ببيان سنته تعالى فى عقاب المستهزئين

{ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن} [الآية ٤١] .

وتذكر السورة من هؤلاء الرسل موسى وهارون وإبراهيم ولوطاً ونوحاً وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل وذا النون وزكريا وعيسى ..

٣) بيان أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

قال تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} [الآية ١٠٧] .

استبعاد أن يكون القرآن وحياً ، والرد عليه

{قالوا أضغاث أحلام بل افتراه ..}

ويقول تعالى {لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون} [الآية ١٠] .

٣) استبعاد وحدة الألوهية والرد عليه .

يقول تعالى {أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون} [الآيات ٢١-٢٤] .

٦) عرض دلائل القدرة فى الأنفس والأفاق

{وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون} [الآية ٣٠] .

{وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون} [الآية ٣١] .

{وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون} [الآية ٣٢] .

وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون} [الآية ٣٣] .

٧) الحديث عن المكذبين وهم يشهدون مصارع الغابرين ، ولكنهم لا يعتبرون ولا يتعظون ، حتى إذا ما فاجأهم العذاب رفعوا أصواتهم بالتضرع والاستغاثة ولكن هيهات هيهات .

فهذا هو حالهم {.. فى غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ..} [الآيات ، ٣٢] .

والله تعالى ينبههم ويحذرهم من مصارع غيرهم من أمثالهم قائلاً {وكم ... من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون * قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين * فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين} [الآيات ١١-١٥] .

والله تعالى ينبههم ويحذرهم من المصير الذى لا نجاة منه إلا بالعدول – عن غيهم وضلالهم وظلمهم وطغيانهم وتكذيبهم .

فيقول {واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين * إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} [الآيات ٩٧ ، ٩٨] .

٨) عرض بعض مشاهد القيامة .

تعرض السورة موقفين متباينين :

فتعرض صور المكذبين فى قوله تعالى {لهم فيها زفير ... لا يسمعون} [الآية ١٠٠] .

والله تعالى ينبههم ويحذرهم من المصير الذى لا نجاة منهم إلا بالعدول – الآن – عن غيهم وضلالهم وطغيانهم وتكذيبهم .

فيقول {واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين * إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون} [الآيات ٩٧ ، ٩٨] .

٨) عرض بعض مشاهد يوم القيامة ؟؟؟؟؟

تعرض السورة موقفين متباينين :

فتعرض صورة المكذبين فى قوله تعالى

{لهم فيها زفير ... لا يسمعون} [الآية ١٠٠]

وتعرض صورة المؤمنين فى قوله تعالى

{إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون} [الآيات ١٠١-١٠٣] .

٩) وعد الله تعالى بتقليص ظل الكفار الطغاة الظلمة فى الأرض .

{بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون} ؟ [الآية ٤٤] .

١٠) وعد الله تعالى بغلبة وسيادة المؤمنين .

{ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض فيها عباده الصالحون * إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين} [الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦] .

وخلاصة ما تتضمنه هذه السورة(١٠)

(١) الإنذار بقرب الساعة مع غفلتهم عنها .

(٢) إنكار المشركين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه بشر مثلهم ، وأن ما جاء به أضغاث أحلام ، وأنه قد افتراه ، ولو كان نبياً حقاً لأتى بآية كآيات موسى وعيسى .

(٣) الرد على هذه الشبهة بأن الأنبياء جميعاً كانوا بشراً ، وأهل العلم من اليهود والنصارى يعلمون ذلك حق العلم .

(٤) الإخبار بأن الله أهلك كثيراً من الأمم المكذبة لرسلها وأنشأ بعدهم أقواماً آخرين .

(٥) بيان أن السموات والأرض ، تخلقاً عبثاً ، وأن الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يملّون .

(٦) إقامة الدليل على وحدانية الله تعالى والنعى على من يتخذ آلهة من دونه بلا دليل على صدق ما يقولون مع أن الأنبياء جميعاً أوحى إليهم أنه لا إله إلا هو .

(٧) النعى على من ادعى أن الملائكة بنات الله .

(٨) وصف النشأة الأولى ببيان أن السموات والأرض كانتا رتقاً فانفصلتا ، وأن الجبال جعلت فى الأرض أوتاداً حتى لا تميد بأهلها ، وأن كلا من الشمس والقمر يسبح فى فلكه .

(٩) استعجال الكافرين للعذاب ، مع أنهم لو علموا كنهه ما طلبوه .

(١٠) بيان أن الساعة تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .

(١١) قصص بعض الأنبياء كموسى وهارون وإبراهيم ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذى الكفل ويونس وزكريا وقصص مريم .

(١٢) بيان أن الدين الحق عند الله هو الإسلام وبه جاءت جميع الشرائع ، والاختلاف بينهما إنما هو المرسوم بحسب اختلاف الأزمنة والأمكنة .

(١٣) حادث يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة واقتراب يوم القيامة .

(١٤) بيان أن الأصنام ... يكونون يوم القيامة حطب جهنم ، وأنهم لو كانوا آلهة حقاً ما دخلوها .

(١٥) وصف ما يلاقيه الكفار من الأهوال فى النار يوم القيامة .

(١٦) وصف النعيم الذى يتمتع به أهل الجنة إذ ذاك .

(١٧) يبين أن الأرض تستبدل غير الأرض ، وأن السماء تطوى طى السجل للكتاب .

(١٨) إن سنة الله فى الكون أن يرث الأرض من يصلح ... من أى دين كان وأى مذهب اعتنق .

(١٩) الوحى إنما جاء بالتوحيد وأن لا إله إلا إله واحد ، وأن الواجب الاستسلام به والانقياد لأمره .

(٢٠) ما ختمت به السورة من طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحكم .... ...... وبين أعدائه المشركين ، وأن الله هو المستعان على ما يصفونه من أنه مفتر وأنه مجنون وأنه شاعر يتربصون به ريب المنون.

تنبيه :

قال الرازى : إنه عليه السلام كان رحمة فى الدين وفى الدنيا .

أما فى الدين فلأنه بعث والناس فى جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا فى حيرة من أمر دينهم ، لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم . فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسم حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب . فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب ، وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام . ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق ، فلا يركن إلى التقليد وإلى العناد والاستكبار ، وكان التوفيق قريناً له . قال الله تعالى(١) {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} إلى قوله تعالى {وهو عليهم عمى} .

وأما فى الدنيا فلأنهم تخصلوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ، ونصروا ببركة دينه . انتهى .

وقد أشرت إلى وجه الرحمة فى بعثته صلوات الله عليه ، فى (الشذرة) التى جمعتها فى سيرته الزكية ، فى بيان افتقار الناس جميعاً إلى رسالته ، فقلت : كل من لحظ بين الحكمة والاعتبار ، ونفذت بصيرته إلى مكنون الأسرار ، علم حاجة البشر كافة إلى رسالة خاتم النبيين ، وأكبر منة الله به على العالمين، فقد بعث صلوات الله عليه وسلا مة على حين فترة من الرسل ، وإخافة للسبل، وانتشار من الأهواء ، وتغرق من الملل ، ما بين مشبه لله بخلقه ، وملحد فى اسمه ، ومشير إلى غيره ، كفر بواح ، وشرك صراح ، وفساد عام ، وانتهاب للأموال والأرواح واغتصاب للحقوق ، وشن للغارات ، ووأد للبنات وأكل للدماء والميتات ، وقطع للأرحام ، وإعلان بالسفاح ، وتحريف للكتب المنزلة ، واعتقاد لأضاليل المتكهنة ، وتأليه للأحبار والرهبان ، وسيطرة من جبابرة

الجور وزعماء الفتن وقادة الغرور ، ظلمات بعضها فوق بعض ، وطالما طبقت أكناف الأرض ، واستمرت الأمم على هذه الحال ، الأجيال الطوال ، حتى دعا داعى الفلاح ، وأذن الله تعالى بالإصلاح . فأحدث بعد ذلك أمراً ، وجعل بعد عسر يسراً . فإن النوائب إذا تناهت انتهت ، وإذا توالت تولت . وذلك أن الله تعالى أرسل إلى البشر رسولاً ليعتنقهم من أسر الأوثان ، ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد إلى نور الإيمان ، وينقذهم من النار والعار ، ويرفع عنهم الآصار ، ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال ، ويرشدهم إلى صراط الحق . قال تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} وقال تعالى(١) {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين} [آل عمران ١٦٤] .

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

فى هذه السورة فوائد جليلة ، يضيق المكان عن استيعابها .

وتذكر فيها :

١) فى قوله تعالى {وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين} [الآية ١١] .

بيان لسنة من سننن الله تعالى فى خلقه وفى كونه .

وهو سبحانه ينبه عليها فى أكثر من موضع من كتاب الله تعالى .

فيقول سبحانه {وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}[محمد ٣٨] .

ولاحظ .... فى حق ..... وفى حق المؤمنين .....

ويقول تعالى {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم

يحبهم

ويحبونه

أذلة على المؤمنين

أعزة على الكافرين

يجاهدون فى سبيل الله

ولا يخافون لومة لائم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} [المائدة ٥٤] .

٢) فى قوله تعالى {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها .... حاسبين} [الآية ٤٧] .

روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(٨)

(إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة – فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، مد البصر .

ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً .. ؟ أظلمتك كتبتى الحافظون .. ؟

قال : لا يارب .

قال : أفلك عذر أو حسنة .. ؟

قال : فبهت الرجل ،

فيقول : لا يا رب .

فيقول : بلى .. إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم عليك اليوم .

فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فيقول : احصروه .

فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ..!!
فيقول : إنك لا تُظلم .
قال : فتوضع السجلات فى كفه والبطاقة فى كفه .
قال : .... السجلات ، ونقلت البطاقة ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث .... ..... وقال الترمذى : حسن غريب .

٣) فى قوله تعالى {ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون} [الآية ١٠٥] .

قال ابن كثير(١١) : يقول تعالى مجداً عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة فى الدنيا والآخرة ، ووراثة الأرض فى الدنيا والآخرة .

كقوله تعالى {إن الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين} [الأعراف ١٢٨] .
وكقوله {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} [غافر ٥١] .
وكقوله تعالى {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ...} [النور ٥٥-٥٧] .

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- أنظر : السخاوى / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادى / بصائر ٣١٧/١
القرطبى / الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الأنبياء)
الآلوس / روح المعانى ( " " " )
الشوكانى / فتح القدير ( " " " ) الجمل الفتوحات الإلهية ( " " " )
د/ محمد حجازى / التفسير الواضح ( " " " )
٢- أنظر : السخاوى (مصدر سابق)
القرطبى ( " " )
٣- أنظر : مكى بن أبى طالب / التبصرة ص ٢٦٣
السخاوى / جمال القراء ٢٠٨/١
الفيروزابادى (مصدر سابق)
نثر المرجان ٣٦٢/٤
الآلوس (مصدر سابق)
٤- أنظر : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم (تفسير سورة الأنبياء)
الآلوس (مصدر سابق)

٥- القرطبى ( " " )
٦- الآلوس ( " " )
٧- سيد قطب / فى ظلال القرآن (تفسير سورة الأنبياء)
٨- أنظر : سعيد حوى / الأساس فى التفسير ( " " " )
٩- أنظر : د/ محمد البهى / تفسير سورة الأنبياء ص ٣ وما بعدها
محمد على الصابونى صفوة التفاسير (تفسير سورة الأنبياء)
١٠- المراغى / تفسير المراغى ( " " " )
١١- ابن كثير (مصدر سابق)

فضيلة الدكتور عبد الحى الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الحج

## أولاً:اسم السورة

**هذه السورة تسمى بـــ :**

**١- سورة الحج(١)**

**وذلك : للفت الأنظار ، وتوجيه العقول .. إلى منافع الحج ، المذكورة فى قوله تعالى {..ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق} [الحج ٢٨ ، ٢٩] .**

**حيث اشتملت السورة – ومنها هاتان الآيتان – على أصل وجوبه ، والمقصود من أركانه .. وهو : الطواف ؛ إذ الإحرام نية ، والوقوف بعرفات من ... استعداده ، والسعى من تتمته ، والحلق خروج عنه .**

**وذكر فيها كذلك : منافعه ، وتعظيم شعائره ، وغير ذلك مما يشير إلى فوائده وأسراره(٢) .**

**وأيضاً ..!!**

**ففى التسمية بهذا الاسم : تخليد لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ، حين انتهى من بناء البيت العتيق ، ونادى لحج بيت الله الحرام ، فتواضعت الجبال ، حتى بلغ الصوت أرجاء الدنيا ، وأسمع الله نداءه من فى الأرحام والأصلاب ، وأجابوا النداء "لبيك اللهم لبيك" .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ- فى المصحف .. بعد : سورة "الأنبياء" ، وقبل : سورة "المؤمنون" .**

**ب- فى النزول .. بعد : سورة "النور" ، وقبل : سورة "المنافقون" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**ولكن هناك آثار طيبة فى نزولها ٠٠**

**نسوق بعضها على الوجه الثانى .**

**أ- نزلت هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى السفر .**

**فقد روى الترمذى عن عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم – إلى قوله – ولكن عذاب الله شديد} .**

**قال : أنزلت عليه هذه الآية وهو فى سفر ، فقال : ٠٠٠ الخ .**

**ب- كما أنها نزلت ليلاً .**

ففى تفسير الفخر الرازى : روى أن هاتين الآيتين نزلت بالليل والناس يسيرون ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاجتمع الناس حوله ، فقرأهما عليهم ، فلم ٠٠٠٠٠٠٠ أكثر من تلك الليلة ، فلما أصبحوا لم يحطوا السرج ، ولم يضربوا الخيام ، ولم يطبخوا القدور ، والناس بين باك وجالس حزين متفكر ٠٠ الخ(٥) .
ونقل الإمام القرطبى عن بعض العملاء : "أن هذه السورة من أعاجيب السور ، نزلت ليلاً ونهاراً ، سفراً وحصراً ، مكياً ومدنياً ، سلمياً وحربياً ، ناسخاً ومنسوخاً ، محكماً ومتشابهاً ، مختلف العدد(٤) ، أى فيها : هذا وذاك .

خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة مدنية .
إلا قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ..} [الآية رقم ٥٢] .
وإلا قوله تعالى {ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة ..} [الآية رقم ٥٥] .
فهما نزلتا بين مكة والمدينة

سادساً : فضل السورة

يقول القرطبى : وجاء فى فضل هذه السورة ما رواه الترمذى وأبو داود والدارقطنى عن عقبة بن عامر قال : "قلت يا رسول الله ! فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ؟ قال : نعم ، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما" .
ويلفظ للترمذى ، وقال : حديث حسن ليس إسناده بالقوى(٦) ثم قال : واختلف أهل العلم فى هذا .
فبعضهم قال : بأن فيها سجدتين .
وقال بعضهم : بل واحدة .
ومن فضلها ٠٠ أنها .
واحدة من سورتين فى القرآن الكريم كله ابتدأنا بقوله تعالى {يا أيها الناس اتقوا ربكم} .
هى وسورة النساء فقط .
ومن هنا : فإن المتأمل للسورتين وما فيهما حسن معان وموضوعات يحد للتركيز الشديد والاهتمام الرقيق فى بناء التقوى لدى أفراد الجماعة المسلمة .
آمر آخر : أن سورة الحج تتكرر فيها {يا أيها الناس} أربع مرات(٧) .
ويبدو أن كل ذلك للتهيج على التقوى وللفت الأنظار إلى أن الطريق إليها هو العبادة الصحيحة .

سابعاً : صلة السورة بما قبلها

والصلة بين سورة الحج وسورة الأنبياء التى قبلها واضحة وقوية ، ويظهر ذلك فيما يلى : -
١) تناسب أوائل السورتين :
فإذا كان تعالى أشار فى صدر الأنبياء إلى اقتراب يوم القيامة فى قوله تعالى {اقترب للناس حسابهم} والحساب يكون فى يوم القيامة . !
فإنه تعالى هنا : أمر بالتقوى ، وخوف من هول هذا اليوم فى قوله تعالى {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ٠٠} .
٢) تناسب ٠ول الحج مع خاتمة الأنبياء .

فإذا كان تعالى قد ختم الأنبياء بما يشير إلى يوم القيامة ويذكر به ويخوف منه فى قوله تعالى {واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين} [الآية ٩٧] وقوله تعالى {لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون} [الآية ١٠٣] وقوله تعالى {يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ..} [الآية ١٠٤] .
إذا كان ذلك فى خاتمة الأنبياء ..!!
فإنه تعالى بدأ الحج بالحديث الصريح عن يوم القيامة وما ينبغى له .
٣) تناسب ختام السورتين
فإذا كان تعالى قد أمر بالإسلام وحث على الدخول فى ساحته فى آخر سورة الأنبياء ، بقوله تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين * قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون} [الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨] أى أسلموا وادخلوا فى رحاب هذا الدين .
فإنه تعالى بين فى خاتمة الحج إنه شرف هذه الأمة بالإسلام وبتسميتها به وعليها أن تعمل ولمرتبة هذا التشريف وأن تلتزم بواجباته فى قوله تعالى {هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير} [الآية ٧٨] .
٤)إنه قد أقيمت فى السورة السالفة الحجج الطبيعية على الوحدانية – وفى هذه جعل العلم الطبيعى من براهين البعث .
٥) فى السورة السالفة وما قبلها قصص الأنبياء وبراهينهم لقومهم . وفى هذه السورة خطاب من الله للأمم الحاضرة ، وهو خطاب يسترعى السمع ويوجب عليه ولو إجمالاً أن نعرف صنع الله فى أرضه وسمائه وتدبيره خلق الأجنّة والنبات والحيوان .

## ثامناً : هدف السورة

تهدف السورة مباشرة إلى أمر واحد أساس ، والله أعلم بمراده .
وتوضح الطرق والوسائل المعينة عليه والمؤدية إليه .
وتدل على متعرجات الطريق ومزالقه المانعة من الوصول إليه ، وعلى الصوارف الشاغلة عنه .
وهذا هو الهدف الأساسى : هو تهيج النفوس وتحريك المشاعر لتقوى الله(٧) .
وهى تبدأ بطلبه والإعلان عنه فى أولى آياتها {يا أيها الناس اتقوا ربكم} .
ثم تأخذ فى توضيح وعرض الوسائل المعينة على تحريك النفوس له وتهيج المشاعر به .
ومن ذلك :
١) التخويف من هول يوم القيامة {إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج ١ ، ٢] .
٢) إنذار العصارة وتبشير الطائعين {هذان خصمان اختصموا فى ربهم
فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم * يصهر بهم ما فى بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق *
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير * وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد} [الحج ١٩-٢٤] .
٣) تعظيم حرمات الله وشعائره
{ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه} [الحج ٣٠] .

{ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب} [الحج ٣٢]
٤) عبادة الله والمحافظة على أدائها كاملة والاستقامة على ذلك مع فعل الخيرات ، والاعتصام قبل الله .
{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا فى الله حق جهاده ..} [الحج ٧٨] .
وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ..} [الحج ٧٨] .
ويلاحظ أن السورة ابتدأت بالأمر بالتقوى واختتمت بالأمر بالعبادة إذ هى الطريق العملى لتحقيق التقوى ، وكانت آخر ما يقرؤه الإنسان فى السورة ولا يفوت السورة أن تنبه على المزالق التى تعترض السالكين والصوارف التى تشغلهم .
ومن ذلك :
١) الجهل بالله والجدال فيه واتباع الشياطين .
{ومن الناس من يجادل فى اللله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد} [الحج ٣].
{ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} [الحج ٨] .
٢) عبادة الله على حرف أى للمصلحة .
{ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين} [الحج ١١] .
٣) عدم الثقة بالله .... من نصره أو استبطائه .
{ومن كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فلميدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ} [الآية ١٥] .
{الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} [الآية ٤١] .

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

يمكن تقسيم آيات هذه السورة إلى : أربع مجموعات(٧) .
المجموعة الأولى : عبارة عن (٤) آيات .
من الآية الأولى ، حتى نهاية الآية (٤) .
وفيها :
الأمر بالتقوى ، والتعليل لضرورتها ، بزلزلة الساعة ، وشدة أهوالها .
وبيان ما يصرف الناس عن هذه التقوى ، وهو الجهل بالله ، واتباع الشياطين .
المجموعة الثانية : عبارة عن (٤٤) آية .
من الآية (٥) حتى نهاية الآية (٤٨) .
وفيها :
علاج : قضية الشك فى اليوم الآخر ، الذى هو وأثر من آثار الجهل بالله تعالى ، كما أنه العقبة الأولى فى طريق العبادة والتقوى .
عرض : لصنف من الناس ، جاهل بالله تعالى ، والجهل بالله تعالى : من أعظم الصوارف عن التقوى لأهله وللناس .
ثم عرض : لصنف – آخر – من الناس يعبد الله على حرف وعلاج شأن هؤلاء ؛ إذ حالهم من أعظم القواطع عن الاستمرار فى الطريق الموصلة إلى التقوى .

ثم : عرض لموضوع اليأس من النصر .. وهو موضوع خطير ، ينقطع الكثير بسببه عن السير إلى الله تعالى .
ولذلك عالجته الآيات معالجة طويلة ، بيان أن الله تعالى ينصر أهل الإيمان والتقوى ثلاثة أنواع من النصر : نصر فى الآخرة ، ونصر فى الدنيا إذا قاتلوا ، ونصر فى الدنيا بإهلاك أعدائهم .
ولما كان علم الله محيطاً .. وقد علم – جل جلاله – أن موضوع القتال فى الإسلام ، ستكثر عليه الحملات : فقد عرض النصر الذى هو أثر عن القتال ، بعد أن بين مبررات القتال ، من خلال الواقع العملى لكفار قريش ، زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواقفها ، ومن خلال عرض قصة البيت الحرام ، وظلم قريش فيه ، وانحرافها ، واعوجاجها عن منهج إبراهيم عليه السلام .
وبالجملة : فقد عالج الله تعالى – فى هذه المجموعة من الآيات – الصوارف عن العبادة وعن التقوى .
المجموعة الثالثة : عبارة عن (٢٤) آية .
من الآية (٤٩) حتى نهاية الآية (٧٢) .
وفيها :
إنذار وتبشير .
وبيان لسنة من سنن الله تعالى ، وهى: وجود الرغبة الشديدة ، والأمانى الضخمة ، عند كل نبى ورسول ، فى هداية أمته ، والارتقاء بها إلى الله ، ولكن الشيطان يلقى فى كل فرد من أفراد الأمة إلقاءه .
ولكن – من سنة الله أيضاً – أن إلقاء الشيطان هذا : يؤثر فى مرضى القلوب ، وفى أصحاب القلوب القاسية ، ولا يؤثر أبداً ، ولا يترتب عليه شئ ضار فى صدور الذين أوتوا العلم ، بل يتأكد – عندهم – بذلك أن وحى الله حق ، فيردادون إيماناً وخشوعاً ؛ تحقيقاً لوعد الله تعالى ، أن يهدى أهل الإيمان .
وكذلك : إشارة إلى أن حق المهاجرين ، الذين ظلموا ، فى الدفاع عن أنفسهم ، ورد العدوان عنهم ، والانتقام ممن ظلمهم .. قائم ، وأن الله ناصرهم ، وأن ذلك لا يتنافى مع التقوى المأمور بها .
وفى نهاية المجموعة : تعريف على الله سبحانه وتعالى ، بآلائه وأسمائه .. بما يعلل الإنذار ، ويحذر من المخالفة ، ويستخرج العبادة والتقوى ، ويبشر المتقين ، ويستجيش الشكر فى النفوس والقلوب .
ويلاحظ : أن فى هذا كله – كذلك – تحذير للمسلمين العابدين أن يكون موقفهم ممن يذكرهم يشبه مثل هذا الموقف .
كما أن فيه : تربية للداعية ، وتوجيه له ، وتعليم .
المجموع١ الرابعة : عبارة عن (٦) آيات .
من الآية (٧٣) حتى نهاية الآية (٧٨) .
وفيها :
هدم عبادة غير الله تعالى ، الناشئة عن الجهل به سبحانه ، وعدم تقديره قدره عز وجل ، وعدم المعرفة بإحاطة علمه كل شئ ، وعدم الإيمان باليوم الآخر .
ثم الأمر : بعبادة الله تعالى ، والتوجه بها إليه سبحانه دون ما سواه ، وتفضيل – نوع ما – لهذه العبادة .. من : ركوع ، وسجود ، وفعل للخير ، وجهاد فى سبيله ، وريادة للدنيا ، وإقامة للصلاة ، وإيتاء للزكاة ، واعتصام بحبل الله .
ويلاحظ : أن هذه الصنوف من العبادة ..توصل إلى التقوى .
كما يلاحظ جيداً هنا : أن سورة "الحج" ابتدأت بالأمر بالتقوى ، واختتمت بالأمر بالعبادة .
والعبادة : هى الطريق العملى لتحقيق التقوى .

ولأن السورة – كما سبق أن ذكرنا – مكية مدنية ، أى فيها ما نزل بمكة ، وما نزل بالمدينة .
فإن موضوعاتها : تحتوى من المكى بعضه ومن المدنى بعض الآخر .
ومع ذلك :
فالذى يغلب على السورة – كما يقول سيد قطب – هو موضوعات السورة المكية ، وجو السور المكية .
فموضوعات التوحيد ، والتخويف من الساعة ، وإثبات البعث ، وإنكار الشرك ، ومشاهد القيامة ، وآيات الله المثبوتة فى صفات الكون بارزة فى السورة.
وإلى جوار ذلك :
الموضوعات المدنية : من الإذن بالقتال ، وحماية الشعائر ، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغى وهو يرد العدوان ، والأمر بالجهاد فى سبيل الله .
ومع كل ذلك :
فالظلال الواضحة فى جو السورة كلها : هى ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام(٨) .
ويقول الشيخ المراغى(٩) :
وهى بحسب موضوعاتها أقسام ثلاثة :
(١) البعث والدليل عليه وما يتبع ذلك .
(٢) الحج والمسجد الحرام .
(٣) أمور عامة كالقتال وهلاك الظالمين والاستدلال بنظام الدنيا على وجود الخالق .
وضرب المثل بعجز الأصنام وعدم استطاعتها خلق الذباب.
ثم يقول رحمه الله (٩)

خلاصة ما تضمنته السورة من الحكم والأحكام
(١) وصف حال يوم القيامة وما فيه من شدائد وأهوال تشيب منها الولدان .
(٢) جدال عبدة الأصنام والأوثان بلا حجة ولا برهان .
(٣) إثبات البعث وإقامة الأدلة عليه .
(٤) وصف المنافقين المذبذبين فى دينهم وعدم ثباتهم على حال واحدة .
(٥) ما أعد الله لعباده المؤمنين من الثواب المقيم فى جنات النعيم .
(٦) بيان أن الله ناصر نبيه ومظهر دينه على سائر الأديان .
(٧) بيان أن الله يحكم يوم القيامة بين عباده من أرباب الديانات المختلفة ويجازى كلاً بما يستحق .
(٨) إقامة الأدلة على وجود خالق السموات والأرض وبيان أن العالم كله خاضع لقدرته .
(٩) أمر المؤمنين بقتال المشركين الذين أخرجوهم من ديارهم ، وبيان أن هذا القتال لابد منه لنصرة الحق فى كل زمان ومكان وأن الله ينصر من يدافع عنه .
(١٠) تسلية الرسول على ما يناله من أذى قومه وأنهم ليسوا بدعاً فى الأمم ، فكثير ممن قبلهم كذبوا رسلهم ثم كانت العاقبة للمتقين ، وأهلك الله القوم الظالمين ، والعبرة ماثلة أمامهم فى حلهم وترحالهم.
(١١) بيان أن المفسدين يلقون الشبهات على الخلق ليزلزلوا عقائد المؤمنين ، لكنها لا تلبث أن تزول وينكشف نور الحق ويزيل ظلام الباطل .

(١٢) الثواب على الهجرة لله ورسوله سواء قتل المهاجر أو مات .
(١٣) وصف حال الكافرين إذا تلى عليهم القرآن ، بما يظهر على وجوههم من أمارات الغضب .
(١٤) بيان أن الله يرسل رسلاً من الملائكة ورسلاً من البشر وأن الله عليم بمن يصلح لهذه الرسالة .
(١٥) أمر المؤمنين بدوام الصلاة والزكاة وفعل الخيرات والجهاد حق الجهاد فى سبيل الحق .
(١٦) بيان أن الدين يسر لا عسر ، وأنه كملّة إبراهيم سمح لا شدة فيه .
(١٧) بيان أن الرسول شهيد على أمته يوم القيامة وأن هذه الأمة تشهد على الأمم السالفة بأن رسلهم قد بلغوهم شرائع الله وما قصّروا فى ذلك .

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

كل السورة آياتها وكلماتها وحروفها وحركاتها فوائد .
ولا نستطيع إحصاء ذلك .
ولهذا سوف نكتفى ببعض ذلك على النحو التالى :
١) فى قوله تعالى {فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم} [الآية ٥] ؟
فى الصحيحين عن ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات : فيكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح)(١) .
٢) فى قوله تعالى {ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق} [الآية ٩] .
أخرج ابن أبى حاتم بسنده إلى الحسن البصرى قال : "بلغنى أن أحدهم يحرق فى اليوم سبعين ألف مرة .
٣) فى قوله تعالى {ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق} [الآيتان ٢٨ ، ٢٩] .
جمع الله حكم فريضة الحج على الناس فى هذه الأمور الخمس

{وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمــنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله ، آياته ، والله عليم حكيم} [الآية ٥٢].
{وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى {أى رغب فى انتشار دعوته ، وسرعة علوّ شرعته {ألقى الشيطان فى أمنيته} أى بما يصدّ عنها ، ويصرف المدعوين عن إجابتها {فينسخ الله ما يلقى الشيطان} أى يبطله ويمحقه {ثم يحكم الله ، آياته} أى يثبتها {فأما الزبد فيذهب جفاء * وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض} [الرعد ١٧] {والله عليم} يعلم الإلقاءات الشيطانية ، وطريق نسخها من وجه وجيه . {حكيم} يحكم آياته بحكمته . ثم أشار إلى أن مقتضيات حكمته أنه يجعل الإلقاء الشيطانىّ فتنة للشاكّين المنافقين والقاسية قلوبهم عن قبول الحق ، ابتلاءً لهم ليزدادوا إثماً . ورحمة للمؤمنين ليزدادوا ثباتاً واستقامة . فقال تعالى :
{ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد} [الآية ٥٣] .
{ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض} أى شك وارتياب {والقاسية قلوبهم} وهم العتاة المتمردون {إن الظالمين لفى شقاق} أى خلاف للحق {بعيد} عن موافقته جداً ، بسبب ظلمهم وشركهم .

{وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم} [الآية ٥٤] .

{وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم} أى بالانقياد والخشية . والضمير للقرآن أو لله تعالى {وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم" أى طريق الحق والاستقامة ، فلا تزلّ أقدامهم بقبول ما يلقى .... ولا تقبل قلوبهم إلا ما يلقى الرحكم ، لصفائها. هذا هو الصواب فى تفسير الآية . ولها تظهر المراد منها كما أشرنا إليه ، لو احتاجت إلى نظير . ولكنها بيّنة بنفسها، ... التطويل فى التأويل ، لولا ما أحوج المحققين إلى ردّ ما دسه بعض الرواة هنا من الأباطيل ونحن نسوق ما قيل فيها من ذلك ، ثم نتبعه بنقد المحققين ، لئلا يبقى فى نفس .....

قال ابن جرير الطبرى(١١) : قيل إن السبب الذى جاء من أجله نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الشيطان كان ألقى على لسانه ، فى بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزل الله عليه . فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به ، فسلاّه الله مما به من ذلك الآيات . ثم ذكر من قال ذلك . فأسند عن محمد بن كعب القرظىّ ومحمد بن قيس ....أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فى ناد من أندية قريش ، كثير أهله ، فتمنى يؤمئذ ألا يأتيه الله شئ فينفروا عنه . فأنزل الله عليه {والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى} [النجم ١ ، ٢] فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ {أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى} [النجم ١٩ ، ٢٠.} ألقى عليه الشيطان كلمتين "تلك الغوانيق العلى * وإن شفاعتهن لترتجى" .... بها ، ثم مضى فقرأ السورة كلها . فسجد فى آخر السورة وسجد القوم جميعاً معه ، .... بما تكلم به .

قالا : فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة . فلما بلغ .... المذكورتين قال : ما جئتك بهاتين . فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تبارك وتعالى يعزيه {وما أرسلنا من قبلك} الآية .

وقال القاضى عياض فى "الشفا" : أعلم أن لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما فى توهين أصله ، والثانى على تسليمه .

أما المأخذ الأول ، فيكفيك أن هذا لم يخرجه أحد من أهمل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل . وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غرب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكىّ حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفاسير . وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف بعض نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته . ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب . وأكثر الطرق عنهم فيها ، واهية ضعيفة، والمرفوع عنه حديث شعبة عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فيما أحسب "الشك فى الحديث" أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان بمكة ، وذكر القصة .

قال أبو بكر البزّار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل ، يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد. وغيره يرسله عن سعيد بن جبير . وإنما يعرف عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس . فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا . وفيه من الضعف ما نبه عليه ، مع وقوع الشك فيما ذكرناه ، الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه . وأما حديث الكلبىّ فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره . لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار رحمه الله : والذى منه فى الصحيح ؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة {والنجم} وهو بمكة . فسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن . هذا توهينه من طريق القتل .

وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته عليه السلام ، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة . إما من تمنيه أن ينزلّ عليه مثل هذا من مدح غير الله وهو كفر ، أو أن يتسوّر عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن

حتى يجعل فيه ما ليس منه ، حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام ، وذلك كله ممتنع فى حقه عليه السلام . أو يقول ذلك النبى صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً،

وذلك كفر . أو سهواً وهو معصوم من هذا كطله . ووجه ثان – وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً . وذلك أن الكلام ، لو وكان كما رُوِىَ بعيد الالتئام ، متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف . ولمّا كان النبى صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ، ممن يخفى عليه ذلك ، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل . فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟ ووجه ثالث – أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين ، نفورهم من أول وهلة، وتخليط العدوّ على النبى صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعبيرهم المسلمين والشمَّات بهم .... بعد .... وارتداد من فى قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة . ولم يحك أحد فى هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة . ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة . كما فعلوه مكابرة فى قصة الإسراء حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء ردّة . وكذلك ما روى فى قصة القضية . ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو و وجدت . ولا تشغيب للمعادى حيئنذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت . فما روى من معاند فيها كلمة . ولا عن مسلم بسببها بنت شفة . فدل على طلبها ، واجتثات أصلها . ولا شك فى إدخال بعض شياطين الإنس والجن ، على بعض مغفلى المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين .

ووجه رابع – ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت {وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك} [الآيتين ٧٣ ، ٧٤] ، وهاتان الآيتان تردّان الخبر الذى رووره . لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ، وأنه لولا أن ثبّته لكاد يركن إليهم . فمضمون هذا ومفهومه ، أن الله تعالى عصمه من أن يفترى ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً ، فكيف كثيراً ؟ وهم يروون فى أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم . وهذا ضد مفهوم الآية ، ويضعف الحديث ، لو صح ، فكيف ولا صحة له ؟ وأما المأخذ الثانى فهو مبنىّ على تسليم الحديث ، لو صح وقد أعاذنا الله من صحته . ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها ... والمسين . فمنها ما وراه قتادة ومقاتل أن النبى صلى الله عليه وسلم أصابته سِنة عند قراءة هذه السورة . فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم . وهذا لا يصح . إذ لا يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى حاله من أحواله . ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة ، لعصمته فى هذا الباب من جميع العمد والسهو . وقد قال عليه السلام (إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى)(١٢) . وفى حديث الكلبىّ أن النبى صلى الله عليه وسلم حدثت نفسه ، فقال ذلك الشيطان على لسانه . وفى رواية ابن شهاب عن أبى بكر بن عبد الرحمن قال : ومنها لما أخبر بذلك قال : إنما ذلك من الشيطان . وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهواً ولا قصداص . ولا يتقوّله الشيطان على لسانه . وقيل : لعلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته ، على تقدير التقرير والتوضيح للكفار . كقول إبراهيم {هذا ربى} [الأنعام ٧٧] على أحد التأويلات . وكقوله {بل فعله كبيرهم هذا} [الأنبياء ٦٣] بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين . ثم رجع إلى تلاوته . وهذا يمكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد ، وأنه ليس من المتلوّ . وهو أحد ما ذكره القاضى أبو بكر .

ومما يظهر فى تأويله ، إن سلمنا القصة ، أن يراد بالغرانييق الملائكة . ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح . فلما تأوّله المشركون على أن المراد بها آلهتهم ، ولبّس عليهم الشيطان ذلك وزينه فى قلوبهم ، وألقاه بهم ، نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين . انتهى كلام القاضى ملخصاً.

وقال أبو بكر الباقلانىّ : وقيل : كان صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن ، فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات . ونطق بتلك الكلمات ، محاكياً نغمته ، بحيث سمعه من دنا إليه ، فظنها من قوله تعالى وأشاعها .

قال : وهذا أحسن الوجوه . ويؤيده ما روى عن ابن عباس من تفسير (تمنى) بـــ (تلا) وكذا استحسن ابن العربىّ هذا التأويل . وقال قبله : إن هذه آية نص فى براءة النبىّ صلى الله عليه وسلم مما نسب إليه ، وأن الشيطان زاده فى قوله صلوات الله عليه ، لا أنه عليه السلام قاله .

قال : وقد سبق إلى ذلك الطبرىّ فصوب هذا المعنى وحوّم عليه واستحسان ابن العربىّ ذلك ، على فرض صحة القصة ، وإلا فقد قال : ذكر الطبرىّ فى ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها . وقال تقى الدين بن تيمية : فى الآية قولان والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك . والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة فى سورة النجم بقوله (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) وقالوا : إن هذا لم يثبت . ومن علم أنه ثبت قال : هذا ألقاه الشيطان فى مسامعهم ، ولم يلفظ به الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً .

وقالوا فى قوله {إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته} : هو حديث النفس وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف ، فقالوا : هذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه وقالوا : الآثار فى تفسير هذه الآية معروفة ثابتة فى كتب التفسير والحديث . والقرآن يوافق ذلك . فإن نسخ الله لما يلقى الشيطان ، وإحكامه آياته ، إنما يكون لرفع ما وقع من آياته ، وتمييز الحق عن الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها . وجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، إنما يكون ذلك ظاهراً يسمعه الناس ، لا باطناً فى النفس . والفتنة التى تحصل بهذا النوع من النسخ ، من جنس الفتنة التى تحصل بالنوع الآخر من النسخ . وهذا النوع أدلّ على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعده عن الهوى ، من ذلك النوع . فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله ، وهو مصدق فى ذلك، فإذا قال فى نفسه أن الثانى هو الذى من عند الله وهو الناسخ ، وإن ذلك المرفوع الذى نسخه الله ليس كذلك ، كان أدل على اعتماده للصدق وقول الحق . وهذا كما قالت عائشة رضى الله عنها(١٣) : لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية {وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} [الأحزاب ٣٧] ألا ترى أن الذى يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ . فبيان الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان ، هو أدل على تجربة للصدق وبراءته من الكذب . وهذا هو المقصود بالرسالة . فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليماً . انتهى .

وفى كلامه رحمه الله نظر من وجوه :

أولاً – دعواه أن المأثور يوافق القرآن . فإنه ذهاب إلى أن الإتقاء إلقاء فى الآيات . ولا تدل الآية عليه ، لا مطابقة ولا التزاماً . بل القول بذلك ينافى التنزيل والوحى منافاة النار للماء ، كما ستراه .

وثانياً – دعواه أن تلك الرواية نقلها ثابت لا يمكن القدح فيه . فقد قدح فيها من لا يحصى من المتقدمين والمتأخرين . ويكفى أن تلميذه الحافظ ابن كثير قال : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق . وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظناً منهم أن مشركى قريش أسلموا . ولكنها من طرق كلها مرسلة . ولم أرها مسندة من وجه صحيح . وتعدد طرفها ، بعد ضعف أصلها لا يفيد . وهذه شبهة يعتمدها كثير من الواقفين مع الروايات . يظنون أن الضعيف بكثيرة طرقه يقوى . والحال أن الضعيف ضعيف كيفما جاء . وقد سرت هذه الشبهة للحافظ ابن حجر . فأخذ يقوى بعض طرقها ويصححها من جهة الإسناد . كما ستمر بك مناقشته . ولو كان لها أدنى رائحة من الصحة لأخرجها البخارىّ معلقة أو موقوفة ، أو أرباب السنن .

وثالثاً – اعترافه بأن السؤال وارد على تقدير ثبوتها ، وإلقاء الشيطان ذلك فى مسامعهم ، مما يبرهن أن فيها مغامز تنبذها العقول ، كما نبذتها صحة النقول.

فصل

وقال الفخر الرازىّ فى "تفسيره" : هذه الرواية باطلة موضوعة ، عند أهل التحقيق . واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول . أما القرآن فوجوه : "أحدهما" قوله تعالى {ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين} [الحاقة ٤٤-٤٦] .

و"ثانيهما" قوله {قل ما يكون أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يُوحى إلى} [يونس ١٥] .

وثالثهما – قوله {وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى} [النجم ٣، ٤] .

ورابعهما – قوله تعالى {وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ، وإذاً لاتخذوك خليلاً} [الإسراء ٧٣] أو كلمة "كاد" عند بعضهم معناها أنه لم يحصل .

وخامسهما – قوله {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً} [الإسراء ٧٤] وكلمة "لولا" تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره . فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل .

وسادسهما – قوله {كذلك لنثبت به فؤادك} [الفرقان ٣٢] .

وسابعهما – قوله {سنقرئك فلا تنسى} [الأعلى ٦] .

وأما السنة فهى ما روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الزنادنة . وصنف فيه كتاباً .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقىّ : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . ثم أحد يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم . وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه(٣) أن النبىّ عليه السلام قرأ سورة "والنجم" وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن . وليس فيه حديث الغرانيق . وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق .

وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها – أن من جوّز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان ، فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان .

وثانيهما – أنه عليه السلام ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكلمة آمناً أذى المشركين له . حتى كانوا ربما مدّوا أيديهم إليه . وإنما كان يصلى . إذا لم يحضروا ، ليلاً ، أو فى أوقات خلوة . وذلك يبطل قولهم.

وثالثهما – أن معادلتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة ، دون أن يقفوا على حقيقة الأمر . فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى أنهم سجدوا مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

ورابعهما – قوله {فينسخ الله ما يُلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته} وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول ، أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تبقى الشبهة معها . فإذا أراد الله إحكام الآيات ، لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً ، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً ، أولى .

وخامسهما – وهو أقوى الوجوه ، أنا لو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه . وجوّزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس} فإنه لا فرق فى العقل بين النقصان عن الوحى ، وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال ، أن هذه القصة موضوعة .

أكثر ما فى الباب أن جمعاً من المفسرين ذكرها . لكنهم ما بلغوا حد التواتر . وخير الواحد لا يعارض الدلائل النقلة والعقلية المتواترة .

ثم أطال الرازىّ فى تفصيل المباحث : ونقل عن أبى مسلم الأصفهانىّ ما توسع به البحث فانظره إن شئت .

وكتب الأستاذ الإمام مفتى مصر ، الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فى هذه الآية مقالة بديعة ، نقتبس منها شذارت .

قال : يعلم كل ناظر فى كتابنا الإلهى "القرآن" ما رفع الإسلام من شأن الأنبياء والمرسلين ، والمنزلة التى أحلهم من حيث هم حملة الوحى وقدوة البشر ، فى الفضائل وصالح الأعمال . وتنزيهه إياهم عما زماهم به أعداؤهم وما نسبه إليهم المعتقدون بأديانهم . ولا يخفى على أحد من أهل النظر ، فى هذا الدين القويم، أنه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل فى التبليغ ، والزيغ من الوجهة التى وجه الله بوجوههم نحوها من قول أو عمل . وخص خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم فوق ذلك بمزايا فصلت فى ثنايات الكتاب العزيز . وعصمة الرسل فى التبليغ عن الله ، أصل من أصول الإسلام . شهد به الكتاب وأيدته السنة ، وأجمعت عليه الأمة . وما خلف فيه بعض الفرق ، فإنما هو فى غير الإخبار عن الله وإبلاغ وحيه إلى خلقه . ذلك الأصل الذى اعتمدت عليه الأديان ، حتى لا يرتاب فيه ملى يفهم ما معنى الدين . ومع ذلك لم يعدم الباطل فيه أعواناً يعملون على هدمه وتوهين ركنه . أولئك عشاق الرواة وعبدة النقل . نظروا نظرة فى قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ} الآية . وفيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أن "تمنى" بمعنى "قرأ" و"الأمنية القراءة" فعمى عليهم وجه التأويل ، على فرض صحة الرواية عن ابن عباس . فذهبوا يطلبون ما به يصح التأويل فى زعمهم . ففيض لهم من يروى فى ذلك أحاديث تختلف طرفها وتتباين ألفاظها وتتفق فى أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما بلغ منه أذى المشركين ما بلغ ، وأعرضوا عنه ، وجفاء قومه وعشيرته ، لعيبه أصنامهم وزرايته على آلهتهم ، أخذه الضجر من إعراضهم . ولحرصه على إسلامهم تمنى ألا ينزل عليه ما ينفرهم ، لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم . فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة "النجم" إلى آخر ما رواه ابن جرير أولاً . وقد شايعه عليه كثير من المفسرين ، وفى طباع الناس إلف الغريب ، والتهافت على العجيب. فقولوا بهذه التفاسير ، ونسوا ما رآه جمهور المحققين فى تأويلها . وذهب إليه الأئمة فى بيانها .

جاء فى صحيح البخارى(١٥) : وقال ابن عباس فى {إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته} إذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته . ويقال "أمنيته قراءته" "إلا أمانىّ" يقرؤن ولا يكتبون . انتهى .

فتراه حكى تفسير الأمنية بالقراءة بلفظ "يقال" بعد ما فسرها بالحديث رواية عن ابن عباس . وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين . فما يدعيه الشراح أن الحديث فى رأى ابن عباس بمعنى التلاوة يخالف ظاهر العبارة . ثم حكاية تفسير الآمنية بمعنى القراءة بلفظ "يقال" يفيد أنه غير معتبر عنده . وسيأتى أن المراد بالحديث حديث النفس .

وقال صاحب الإبرير : إن تفسير "تمنى" بمعنى "قرأ" و"الأمنية" بمعنى "القراءة" مروىّ عن ابن عباس فى نسخة علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس . ورواها علىّ بن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس . وقد علم ما للناس فى ابن أبى طالح كاتب الليث ، وأن المحققين على تضعيفه . انتهى.

هذا ما فى الرواية عن ابن عباس وهى أصل هذه الفتنة . وقد رأيت أن المحققين يضعفون راويها . وأما قصة الغرانيق ، فمع ما فيها من الاختلاف ، فقد طعن فيها غير واحد من الأئمة ، حتى قال ابن إسحق : إنها من وضع الزنادقة . كما تقدم عن الرازىّ . ونحوه عن القاض عياض رحمه الله ، من وهنها وسقوطها من عدة أوجه .

وأما ما ذكره ابن حجر من أن القصة رويت مرسلة من طرق على شرط الصحيح ، وأنه يحتج بها من يرى الاحتجاج بالمرسل ، فقد ذهب عليه كما قال فى الإبريز ، أن العصمة من العقائد التى يطالب فيها اليقين . فالحديث الذى يريد خرمها ونقضها ، لا يقبل على أى وجه جاء . وقد عدّ الأصوليون الخبر الذى يكون على تلك الصفة ، من الأخبار التى يجب القطع يكذبها . هذا لو فرض اتصال الحديث ، فما ظنك بالمراسيل ؟ وإنما الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به ، فيما هو من قبيل الأعمال وفروع الأحكام ، لا فى أصول العقائد ومعاقد الإيمان بالمرسل وما جاءوا به . فهى هفوة من ابن حجر يغفرها الله له .

هنا ما قاله الأئمة ، جزاهم الله خيراً ، فى بيان فساد هذه القصة ، وأنها لا أصل لها ، ولا عبرة برأى من خالفهم . فلا يعتقد بذكرها فى بعض كتب التفسير. وإن بلغ أربابها من الشهرة ما بلغوا . وشهرة البطل فى بطله ، لا تنفخ القوة فى قوله . ولا تحمل على الأخذ برأيه .

ثم قال الأستاذ رحمه الله : والآن أرجع إلى تفسير الآيات على الوجه الذى تحتملها ألفاظها وتدل عليه عباراتها . والله أعلم :

لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية ، وقرأ شيئاً من القرآن ؛ أن قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبىّ} الآيات ، يحكى قدراً قدر للمرسلين كافة ، لا يعدونه ولا يقفون دونه . ويصف شنشنة عرفت فيهم ، وفى أممهم . فلو سمح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى : أن جميع الأنبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم فخلط فى الوحى المنزل إليهم . ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته الخ ، وهذا من أقبح ما يتصور متصور فى اختصاص الله تعالى لأنبيائه ، واختيارهم من خاصة أوليائه ! فلندع هذا الهذيان ، ولنعد إلى ما نحن بصدده .

ذكر الله لنبيه حالاً من أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ، ليبين له سنته فيهم . وذلك بعد أن قال {وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود} [الحج ٤٢] إلى آخر الآيات ثم قال {قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين * والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم * وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى} [الحج ٤٩-٥٢] الخ ، فالقصص السابق كان فى تكذيب الأمم لأنبيائهم . ثم تبعه الأمر الإلهىّ بأن يقول النبى صلى الله عليه وسلم لقومه : إننى لم أرسل إليكم إلا لأنذركم بعاقبة ما أنتم عليه ، ولأبشر المؤمنين بالنعيم . وأما الذين يسعون فى الآيات والأدلة التى أقيمها على الهدى وطرق السعادة ، ليحوّلوا عنها الأنظار ويحجبوها عن الأبصار ، ويفسدوا أثرها الذى أقيمت لأجله ، ويعاجزوا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، أى يسابقوهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول بذلك . وذلك بلعبهم بالألفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها ، كما يقع عادة من أهل الجدل والمماحكة – هؤلاء الضالون المضلون هم أصحاب الجحيم . وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلىّ به النبى صلى الله عليه وسلم من المعاجزة فى الآيات ، قد ابتلى به الأنبياء السابقون . فلم يبعث نبى فى أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ، ويضادّون أمانيه ، ويحولون بينه وبين ما يبتغى ، بما يلقون فى سبيله من العثرات . فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً ، يجب أن تفسير الآية . وذلك يكون على وجهين .

الأول – أن يكون "تمنّى" بمعنى "قرأ" و"الأمنية" بمعنى "القراءة" وهو معنى قد يصح . وقد ورد استعمال اللفظ فيه ؛ قال حسان بن ثابت فى عثمان رضى الله عنهما :

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

وقال آخر :

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذى ذكروه ، بل على المعنى المفهوم من قولك "ألقيت فى حديث فلان" إذا أدخلت فيه ربما يحتمله لفظه ، ولا يكون قد أراده . أو نسبت إليه ما لم يقله تعللاً بأن ذلك الحديث يؤدى إليه . وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسعون وراء المريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ، ونسبة الإلقاء إلى الشيطان لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال يصح أن ينسب إليه . ويكون المعنى : وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبىّ إلا إذا حدّث قومه عن ربه ، أو تلا وحياً أنزل إليه فى هدى لهم ، قام فى وجهه مشاغبون ، يحوّلون ما يتلوه عليهم عن المراد منه . ويتقوّلون عليه ما لم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ، ليبعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحق الله الحق ويبطل الباطل . وما زال الأنبياء يصبرون على ما كذّبوا وأوذوا ، ويجاهدون فى الحق ، ولا

يعتدّون بتعجيز المعجّزين ، ولا بهزء المستهزئين إلى أى يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجالدة . فينسخ الله تلك الشبه ويجتثها من أصولها ، ويثبت بآياته ويقررها . وقد وضع الله هذه السنّة فى الناس ليتميز الخبيث من الطيب . فيفتتن الذين فى قلوبهم مرض ، وهم ضعفاء العقول ، بتلك الشبه والوساوس ، فينطلقون وراءها . ويفتتن بها القاسية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة ، فيتخذونها سنداً يعتمدون عليها فى جدلهم . ثم يتحمص الحق عند الذين أوتوا العلم ، ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه ، فيعلمون أنه الحق من ربك فيصدقون به ، فتخبت وتطمئن له قلوبهم . والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذى يستقرّ بالعقل فى قرارة اليقين . وبين المغالطات وضروب ..... التى تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال وأخرى ذات اليمين . وسواء أرجعت الضمير فى "أنه الحق" إلى ما جاءت به الآيات المحكمات من الهدى الإلهىّ أو إلى القرآن ، وهو أجلها ، فالمعنى من الصحة على ما يراه أهل التمكين هؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين آمنوا . وهم الذين هداهم الله إلى الصراط المستقيم . ولم يجعل للوهم عليها سلطاناً ، فيحيد بهم عن ذلك النهج القويم . وأما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب ، أو أهل العناد وزعماء الباطل وقساة الطباع ، الذين لا تلين أفئدتهم ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزالون فى ريب فى الحق أو الكتاب . لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون فى متصرفات شئونهم إليه . حتى تأتى ساعة هلاكهم بغتة ، فيلاقوا حسابهم عند ربهم . أو إن امتد بهم الزمن ، ومادّهم الأجل ، فسيصيبهم عذاب يوم عقيم . يوم حرب يسلمون فيه سوء العذاب ، القتل أو الأمر . ويقذفون إلى مطارح الذل وقرارت الشر . فلا ينتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسلبون ما كان لديهم ويساقون إلى مصارع الهلكة . وهذا هو العقم فى أتم معانيه وأشأم درجاته . ما أقرب هذه الآيات فى مغازيها ، إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران {هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب} [آل عمران ٧] وقد قال بعد ذلك {إن الذين كفروا لن تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار} [آل عمران ١٠] و{قل للذين كفروا ستُغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد} [آل عمران ١٢] وكأن إحدى الطائفتين من القرآن شرح للأخرى . فالذين فى قلوبهم زيغ هم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . والراسخون فى العلم هم الذين أوتوا العلم ، وهؤلاء هم الذين يعلمون أنه الحق من ربهم . فيقولون آمنا به كل من عند ربنا ، فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاديهم إلى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين .... بالتأويل ، ويشتغلون بقال وقيل بما يلقى إليهم الشيطان ، ويصرفهم عن مرامى البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان . وما يتكئون عليه من الأموال والأولاد ، لن يغنى عنهم من الله شيئاً . فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم أعمالهم ، فإن لم يوافيهم الأجل على فراشهم . فسيغلبون فى عراشهم . وهذه سنة جميع الأنبياء مع أممهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم أن رفع الله الإنسان إلى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه . وكما لا مدخل لقصة الغرانيق فى آيات آل عمران ، لا مدخل لها فى آيات سورة الحج، هذا هو الوجه الأول فى تفسير آيات {وما أرسلنا} إلى آخرها ، على تقدير أن "تمنّى" بمعنى "قرأ" وأن "الأمنية" بمعنى "القراءة" والله أعلم .

الوجه الثانى فى تفسير الآيات – أن التمنى على معناه المعروف . وكذلك الأمنية . وهى أفعولة بمعنى المُنية . وجمعها أمانىّ كما مشهور . قال أبو العباس أحمد بن يحيى : التمنى حديث النفس بما يكون وبما لا يكون . قال : والتمنى سؤال الرب . وفى الحديث (إذا تمنى أحدكم فليتكثر فإنما يسأل ربه) وفى روايه "فليكثر" قال ابن الأثير : "التمنى" تشهىّ حصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون . وقال أبو بكر : تمنيت الشئ إذا قدرته وأحببت أن يصير إلىّ . وكل ما قيل فى معنى التمنى على هذا الوجه ، فهو يرجع إلى ما ذكرناه ويتبعه معنى الأمنية . ما أرسل الله من رسول ولا نبىّ ليدعو قوماً إلى هدى جديد ، وأشرع سابق شرعه لهم ، ويجعلهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه إن كان رسولاً ، أو جاء به غيره إن كان نبياً بُعث ليجعل الناس على اتباع من

سبقه ، إلا وله أمنية فى قومه . وهى أن يتبعوه وينحازوا إلى ما يدعوهم إليه، ويستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا أهواءهم بإجابة ندائه . وما من رسول أرسل إلا وقد كان أحرص على إيمان أمته . وتصديقهم برسالته ، منه على طعامه الذى يطعم ، وشرابه الذى يشربه ، وسكنه الذى يسكن إليه . ويغدو عنه ويروح علينا . وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك فى المقام الأعلى ، والمكان الأسمى . قال الله تعالى : {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً} [الكهف ٦] وقال {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف ١,٣] وقال {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} [يونس ٩٩] وفى الآيات ما يطول سرده ، مما يدل على أمانيه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بهداية قومه ، وإخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه ، إلى نور ما جاء به . وما من رسول ولا نبىّ إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ، ألقى الشيطان فى سبيله العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات . ووسوس فى صدور الناس . وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والإحساس ، فثاروا فى وجهه ، وصدوه عن قصده ، وعاجزوه حتى لقد يعجزونه ، وجادلوه بالسلاح والقول حتى لقد يقهرونه . فإذا ظهروا عليه ، والدعوة فى بدايتها ، وسهل عليهم إيذاؤه وهو قليل الأتباع ضعيف الأنصار ، ظنوا الحق من جانبهم ، وكان فيما ألقوه من العوائق بينه وبين ما عمد إليه فتنة لهم .

غلبت سنة الله فى أن يكون الرسل من أواسط قومهم ، أو من المستضعفين فهم ليكون العامل فى الإذعان بالحق محض الدليل وقوة البرهان . وليكون الاختيار هو الحامل لمن يدعى إليه على قبوله . ولكيلا يشارك الحق الباطل فى وسائله ، أو يشاركه فى نصب شراكه وحبائله . أنصار الباطل فى كل زمان ، هم أهل الأئمة والقوة والجاه والاعتزاز بالأموال والأولاد والعشيرة والأعوان ، والغرور بالزخارف . والزهو بكثرة المعارف وتلك الخصال إنما تجتمع كلها أو بعضها فى الرؤساء وذوى المكانة من الناس فتذهلهم عن أنفسهم وتصرف نظرهم عن سبيل رشدهم . فإذا دعا إلى الحق داع ، عرفته القلوب النقية من أوضار هذه الفواتن ، وفزعت إليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله ، بخلوصها من هذ الشواغل . وقلما توجد إلا عند الضعفاء وأهل المسكنة فإذا التف هؤلاء حول الداعى وظافروه على دعوته ، قام أولئك المغرورون يقولون {ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين} [هود ٢٧] . فإذا استدرجهم الله على سنته ، وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين .... ، افتتن الذين فى قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا هم بما أصابوا من الظفر فى دفاعهم . ولكن الله غالب على أمره . فيمحق ما ألقاه الشيطان من هذه الشبهات ، ويرفع هذه الواقع وتلك العقبات ، ويهب السلطان لآياته فيحكمها ويثبت دعائمها . وينشئ من ضعف أنصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلتهم عزة ، وتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان هى السفلى {فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض} [الرعد ١٧] وفى حكاية هذه السنة الإلهية التى أقام عليها الأنبياء والمرسلين ، تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم عما كان يلاقى من قومه ، ووعد له بأنه سيكمل له دينه ، ويتم عليه وعلى المؤمنين نعمته ، مع استلقاتهم إلى سيرة من سبقهم {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت ٢] {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب} [البقرة ٢١٤] .

هذا هو التأويل الثانى فى معنى الآية ، ويدل عليه ما سبق من الآيات ، ويرشد إلى سياق القصص السابق فى قوله {وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح} [الحج ٤٢] الخ . وأنت ترى أن قصة الغرانيق لا تتفق مع هذا المعنى الصحيح .

وهناك تأويل ثالث ذكره صاحب الإبريز . وإنى أنقله بحروفه ، وما هو بالبعيد عن هذا بكثير . قال "بعد ذكر أمانىّ الأنبياء فى أممهم ، وطمعهم فى إيمانهم ، وشأن نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، على نحو يقرب مما ذكرناه فى الوجه الثانى" :

ثم إن الأمة تختلف كما قال تعالى(٢) {ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر} [البقرة ٢٥٣] فأما من كفر فقد ألقى إليه الشيطان الوساوس القادحة له فى الرسالة الموجبة لكفره . وكذا المؤمن أيضاً لا يخلو أيضاً من وساوس ، لأنها لازمة للإيمان بالغيب فى الغالب ، وإن كانت تختلف فى الناس بالقة والكثرة ، وبحسب المتعلقات إذا تقرر هذا فمعنى "تمنى" أنه يتمنى لهم الإيمان ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح ، فهذه أمنية كل رسول ونبىّ ، وإلقاء الشيطان فيها ، يكون بما يلقيه فى قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم ، ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ، ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ، ويبقى ذلك عز وجل فى قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به. فخرج من هذا أن الوساوس تلقى أولاً فى قلوب الفريقين معاً ، غير أنها لا تدوم على المؤمنين ، وتدوم على الكافرين . انتهى .

وأنت إذا نظرت بين هذا التفسير وبين ما سبقه ، تتبين الأحمق بالترجيح . ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحى وانتقض الاعتماد عليه، كما قاله القاضى ... وغيره . ولكان الكلام فى الناسخ كالكلام فى المنسوخ : يجوز أن يلقى الشيطان ما يشاء ، ولا نهدم أعظم ركن الشرائع الإلهية وهو العصمة . وما يقال فى المخرج عن ذلك ، ينفر منه الذوق ولا ينظر إليه العقل . على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد لا فى نظمهم ولا فى خطبهم . ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم . إلا ما جاء به فى معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على أن القصة من اختراع الزنادقة ، كما قال ابن إسحاق . وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت . ولا يخفى أن الغرنوق والغرنيق لم يعرف فى اللغة إلا إسماً لطائر مائىّ أسود أو أبيض . أو وهو اسم الكركىّ أو طائر يشبهه والغرنيق "بالضم وكزنبور وقنديل وسمو أل وفردوس وقرطاس وعُلابط" معناه الشاب الأبيض الجميل . وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة "الغرنوق" كما يسمى به ضرب من الشجر . ويطلق الغرنوق والغرانيق على ما يكون فى أصل الموسج اللين النبات . ويقال "لمة غرانقة" و"غرانقة" أى ناعمة .... الريح أو الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ . ولا شئ فى هذه المعانى يلائم الآلهة والأصنام ، حتى يطلق عليها فى فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام . فلا أظنك تعتقد إلا أنها من مفتريات الأعاجم ومختلفات الملبسين ، ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الأحلام . فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب} . انتهى كلام الأستاذ رحمه الله .

وممن جزم بوضع هذه القصة جزماً باتاً ، الإمام ابن حزم رحمه الله . حيث قال فى كتابه "الملل فى الرد على من لم يوجب العصمة من الأنبياء ما مثاله: استدلوا بالحديث الكاذب الذى لم يصح قط فى قراءته عليه السلام فى {النجم إذا هوى} وذكروا تلك الزيادة المفتراة التى تشبه من وضعها من قولهم "وإنها لهى الغرانيق وإن شفاعتها لترتجى" ثم قال بعد : وأما الحديث الذى فيه "الغرانيق" فكذب بحث موضوع . لأنه لم يصح قط من طريق النقل ، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد . وأما قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته} الآية ، فلا حجة لهم فيها . لأن الأمانىّ الواقعة فى النفس لا معنى لها . وقد تمنى النبىّ صلى الله عليه وسلم إسلام عمه أبى طالب ، ولم يرد الله عز وجل كون ذلك . فهذه الأمانىّ التى ذكرها الله عز وجل لا سواها ، وحاشا لله أن يتمنى نبىّ معصية . وبالله تعالى التوفيق.

وهذا الذى قلنا هو ظاهر الآية دون مزيد تكلف ، ولا يحل خلاف الظاهر إلا بظاهر آخر وبالله تعالى التوفيق . انتهى ، وقوله تعالى :

٦) فى قوله تعالى {والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا لرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين .... مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حكيم} .

بيان لفضل الهجرة والمهاجرين وما أعد الله لهم .

قوله تعالى :

{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون} [سجدة] .
{يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا} أى صلوا . وعبر عن الصلاة بهما ، لأنهما أعظم أركانهما . أو اخضعوا له تعالى ، وخروا له سجداً ، لا لغيره {واعبدوا ربكم وافعلوا الخير} أى تحرّوه . كصلة الأرحام ومواساة الأيتام والحض على الإطعام والاتصاف بمكارم الأخلاق {لعلكم تفلحون} أى لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة(١٥) .
تنبيهات
الأول لم يختلف العلماء فى السجدة الأولى من هذه السورة . واختلفوا فى السجدة الثانية – هذه – فروى عن عمر وعلىّ وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبى الدرداء وأبى موسى ؛ أنهم قالوا : فى الحج سجدتان . وبه قال ابن المبارك والشافعىّ وأحمد وإسحاق ، يدل عليه ما روى عن عقبة ابن عبامر قال(١٦) : قلت يا رسول الله فى الحج سجدتان ؟ قال : نعم ومن لم يسجدها فلا يقرأهما . وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال : إن هذه السورة فضلت بسجدتين . أخرجه مالك فى "الموطأ" وذهب قوم إلى أن فى الحج سجدة واحدة ، وهى الأولى ، وليست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسيد بن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثورىّ وأبى حنيفة ومالك . بدليل أنه قرن السجود بالركوع . فدل ذلك أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة – كذا فى "لباب التأويل" أى لأن المعهود فى مثله من كل آية ، قرب الأمر بالسجود فيها بالركوع، كونه أمراً بما هو ركن للصلاة ، بالاستقراء نحون {واسجدى واركعى} [آل عمران ٤٣] وإذا جاء الاحتمال سقط الاستدلال .
وما روى من الحديث المذكور ، قال الترمذىّ رحمه الله : إسناده ليس بالقوىّ . وكذا قال غيره . كما فى "شرح الهداية" لابن الهمام .
قال الخفاجىّ : لكن يرد عليه ما فى "الكشف" أن الحق أن السجود حيث ثبت ، ليس من مقتضى خصوص فى تلك الآية . لأن دلالة الآية غير مقيدة بحال التلاوة البتة . بل إنما ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قوله . فلا مانع من كون الآية دالة على فرضية سجود الصلاة . ومع ذلك يشرع السجود عند تلاوتها ، لما ثبت من الرواية فيه . اهـــ .
الثانى – قال فى "اللباب" اختلف العلماء فى عدّة سجود التلاوة . فذهب الشافعىّ وأحمد وأكثر أهل العلم إلى أنها أربع عشرة سجدة . لكى الشافعىّ قال : فى الحج سجدتان . وأسقط سجدة "ص" . وقال أبو حنيفة : فى الحج سجدة . وأثبت سجدة "ص" . وبه قال أحمد ، فى إحدى الروايتين عنه . فعنده أن السجدات خمس عشرة سجدة . وذهب قوم إلى أن الفصل ليس فيه سجود . يروى ذلك عن أبىّ بن كعب وابن عباس . وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة . يدل عليه ما روى عن أبى الدرداء ؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فى القرآن إحدى عشرة سجدة . أخرجه أبو داود وقال : إسناده .... ودليل من قال "فى القرآن خمس عشرة سجدة" ما روى عن عمرو بن العاص قال: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن خمس عشرة سجدة . منبا ثلاث فى المفصل . وفى سورة الحج سجدتان(١٩) . وصح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى {اقرأ} و{إذا السماء انشقت} . انتهى .
والخمس عشرة : فى الأعراف ، والرعد ، والنحل ، والإسراء ، ومريم ، والحج ، والفرقان ، والنمل ، وآلم تنزيل ، وص ، وحم ، والسجدة ، والنجم ، والانشقاق ، واقرأ .
والفصل من سورة الحجرات إلى آخر القرآن ، فى أصح الأقوال . سمى مفصلاً لكثرة الفصل بين سورة .
الثالث سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع . وبه قال مالك والشافعىّ وأحمد. لقول ابن عمر : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة ، فيسجد ونسجد معه ، حتى ما يجد أحدنا موضعاً لجبهته . رواه الشيخان(٢٠) .
وقال عمر : إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء(٢١)

١- أنظر : السخاوى .. جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادى .. بصائر ذوى التمييز ٣٢٣/١
الآلوس .. روح المعانى (تفسير سورة الحج)
٢- القاسمى .. محاسن التأويل ( " " " )
٣- أنظر : مكى بن أبى طالب.. التبصرة ص ٢٦٥
السخاوى .. جمال القراء ٢٠٩/١
الفيروزابادى (مصدر سابق)
الآلوس (مصدر سابق)
نثر المرجان ٤٤٠/٤
٤- القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الحج)
٥- الفخر الرازى .. مفاتيح الغيب ( " " " )
٦- أنظر : القرطبى .. الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الحج)
الشوكانى .. فتح القدير ( " " " )
الآلوس .. روح المعانى ( " " " )
٧- أنظر : سعيد حوى .. الأساس ( " " " )
سيد قطب .. فى ظلال القرآن ( " " " )
الشيخ المراغى ..تفسير المراغى ( " " " )
القاسمى ..محاسن التأويل ( " " " )
ابن جرير الطبرى ..جامع البيان ( " " " )
١٢- رواه : البخارى .. ك التهجد ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالليل .. الخ ، مسلم : ك صلاة المسافرين .
١٣- رواه : الترمذى .. ك التفسير ، باب تفسير سورة الأحزاب .
١٤- رواه : البخارى .. ك التفسير ، تفسير سورة النجم .
١٥- رواه : البخارى .. ك التفسير ، تفسير سورة الحج .
١٦- رواه : أبو داود .. ك سجود القرآن باب .... أبواب السجود ، والترمذى .. ك الجمعة ، باب ما جاء فى سجود الحج .
١٧- رواه : مالك فى الموطأ .. باب الأمر بالوضوء لمن ... القرآن .
١٨- " : الترمذى .. ك الجمعة ، باب ما جاء فى سجود القرآن .
١٩- " : أبو داود .. ك سجود القرآن ، باب ... أبواب السجدة .
٢٠- " : البخارى .. ك سجود القرآن ، باب من سجد سجود القارئ ، مسلم .. ك المساجد .
٢١- رواه : البخارى "معناه" .. ك سجود القرآن ، باب من رأى أن الله .. الخ.

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة المؤمنون

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بما يلى :**
**١- سورة "المؤمنون"(١)**
**وذلك : لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها ، فى قوله تعالى {قد أفلح المؤمنون} الآيات [المؤمنون ١-١٠] ، وفى قوله تعالى {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ٠٠} الآيات [المؤمنون ٥٧-٦١] .**
**وفى ذات الوقت : تعريف بالفضائل الكريمة ، والصفات الحميدة ، التى يتحلى بها المؤمنون ، ويستحقون بها ميراث الفردوس الأعلى فى جنات النعيم .**
**وثالثاً : لفت للأنظار إلى فلاح من تجلى بهذه الصفات ، ودعوة إلى نوال هذا الفلاح .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها(٢) : (١١٨) مائة وثمان عشرة آية(١) .**
**كلماتها : (١٢٤٠) ألفا ومائتان وأربعون كلمة .**
**حروفها : (٤٨٠١) أربعة آلاف وثمانمائة وحرفاً واحداً .**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ- فى المصحف .. بعد : سورة "الحج" ، وقبل : سورة "النور" .**
**ب- فى النزول .. بعد : سورة "الأنبياء" ، وقبل : سورة "السجدة" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم يرد فى نزولها سبب معين .**
**ولكن ، قد ورد فى نزولها :**
**ما أخرجه أحمد والترمذى والنسائى والحاكم ٠٠٠ والضياء فى المختارة وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال "كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى نسمع عند وجهه كدوى النحل ، فأنزل عليه يوماً ، فمكثنا ساعة ، فسرى عنه ، فاستقبل القبلة ، فرفع يديه فقال (اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وارضنا ، ثم قال : لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ {قد أفلح المؤمنون} حتى ختم العشر .**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة مكية .**

## سادساً : فضل السورة

روى أن بعض الصحابة قالوا لعائشة : كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ؟
قالت "كان خلقه القرآن" ثم قرأت {قد أفلح المؤمنون – حتى انتهت إلى – والذين هم على صلواتهم يحافظون} هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) .

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

إن تناسق هذه السورة وتناسبها مع السورة قبلها والسورة التى بعدها واضح جداً وهو على النحو التالى :
١) إذا كان المولى سبحانه ختم سورة "الحج" بالأمر بالصلاة والزكاة فى قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون} ..!!
فقد بدأ سورة "المؤمنون" بذكر فضائل الصلاة والزكاة وما ينخرط فى ملكهما من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات فى الآيات العشر الأول(٥) .
٢) إذا كان تعالى قد خاطب المؤمنين فى نهاية "الحج" بقوله {لعلكم تفلحون} ..!! .
فقد حقق ذلك فى سورة "المؤمنون" بقوله تعالى {قد أفلح المؤمنون ..} الآيات(٦) .
٣) إذا كان تعالى قد تحدث عن النشأة الأولى فى سورة "الحج" للتدليل على البعث بقوله تعالى {يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ..} [الآية ٥] .
فقد تحدث تعالى فى سورة "المؤمنون" عن النشأة الأولى للتدليل على البعث كذلك بقوله تعالى {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة ...} الآيات [١٢-١٦] .
٤) إذا كانت "الحج" تحدثت عن قصص الأنبياء وأممهم لتذكير الحاضرين ووعظ الآتين ، فى مثل قوله تعالى {وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ٠٠} الآيات [٤٢-٤٤] .
فقد تحدثت سورة "المؤمنون" عن قصص بعض الأنبياء كذلك لنفس الهدف فى مثل قوله ت عالى {ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ...} [٤٣] .
٥) إذا كانت سورة "الحج" أشارت إلى وحدانية الله وقدرته فى مثل قوله تعالى {ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور} [الآيتان ٥ ، ٦] .
فإن سورة "المؤمنون" قد ذكرت ذلك فى مثل قوله تعالى {وهو الذى أنشأ بكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون * وهو الذى يحيى ويميتت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون}؟
[الآيات ٧٨-٨٠] .

* * *

٦) والسورة فى الوقت نفسه متناسبة مع ما بعدها غاية المناسبة .
إذ هى كالمقدمة – التى تؤدى دورها فى التحرير من طرق الضلال بالتذكير والتعليم والتربية والتوضيح – للسورة التى بعدها وهى سورة النور .
ولا غرابة فى ذلك : فإن سورة النور مليئة بالأحكام الإسلامية التى يحتاج من يخضع لها ويلتزم بها إلى مزيد من التربية والعناية والإعداد وهو ما تقوم به سورة "المؤمنون" .

## ثامناً : هدف السورة

هدف هذه السورة : واضح من اسمها ، فهى سورة "المؤمنون" ولذلك : فهى تركز على قضية "الإيمان" بدرجة كبيرة ، وهذا واضح فيما يلى(٨) .

أ- فهى تبين حقيقة الإيمان ، كما عرضها رسل الله ، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى {قد أفلح المؤمنون} الآيات [١-٩] .

ب- تبين دلائل الإيمان فى الأنفس والآفاق .

ففى الأنفس {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه ٠٠} الآيات [١٢-١٦] .

وفى الأنفس كذلك {وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ...} الآيات [٧٨-٨٠] .

وفى الآفاق {ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ..} الآيات [١٧-٢٢] .

جـ- وتبين شبهات المكذبين حول حقيقة الإيمان واعتراضاتهم عليها ، ووقوفهم فى وجهها ، حتى يستنصر الرسل بربهم ، فيهلك المكذبين ، وينجى المؤمنين .

د- وتبين اختلاف الناس حول هذه الحقيقة الواحدة التى لا تتعدد {..وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم ...كل حزب بما لديهم فرحون} الآيات [٥١-٧٧] .

هـ- وتبين نتائج الالتزام بهذه الحقيقة والتنكر لها ، وتصور ذلك فى مشهد من مشاهد يوم القيامة ، يلقى الكافرون فيه عاقبة التكذيب ، وينال المؤمنون فيه ثواب إيمانهم .

يقول تعالى {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها ...} [الآيات ١٠١-١٠٤] .

والسورة بهذا(٧) تبشر الذين يعملون الصالحات ، وتنذر الذين يعملون السيئات .

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

هذه السورة تتكون من قسمين :

القسم الأول ..عبارة عن (٥٦) آية .

من الآية الأولى .. حتى نهاية الآية (٥٦) .

وفيه :

بشارة أهل الإيمان والعمل الصالح بالجنة ، مع عرض مجموعة الأخلاق والأعمال التى استحقوا بها ذلك .

العرض لبعض مظاهر من أفعال المولى عز وجل ٠٠ تقتضى منا إيماناً وعملاً وشكراً .

العرض لبعض قصص الأنبياء عليهم السلام ، بما فيه موعظة وتذكير وتحذير .

ثم : مطالبة الرسل بالعمل الصالح فى مقابل أكل الطيبات .

وكذلك : البيان لنا بأن أمتنا واحدة ؛ ومن ثم ٠٠ فإن كل مسلم مطالب بالعمل الصلح وأكل الحلال .

الإنكار على من تقطع أمر الأنبياء .

وبيان : أن مجرد السعة فى الرزق لا تعنى رضاء الله ، إذ أن رضا الله سبحانه وتعالى مرتبط بالإيمان والعمل الصالح .

القسم الثانى ٠٠ عبارة عن (٦٢) آية .

من الآية رقم (٥٧) حتى نهاية الآية (١١٨) خاتمة السورة .

وفيه :

بيان أن من اجتمعت له الخصائص الأربع ، وهى الخشية ، والإيمان ، والتوحيد ، وتقديم العطاء مع ٠٠٠ مع عدم القبول : هو الذى يسارع فى العمل الصالح .

وعلى هذا ؛ فبعد أن بشرت السورة المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وأوصلت إلى ضرورة ذلك : بينت ما هى الخصائص التى ينبع عنها العمل الصالح .

ثم يكون الإنذار والتخويف ، الذى تندرج فيه .

حيث أنذرهم أولاً : بأخذ المترفين .

ثم أنذرهم ثانياً : بأخذ الجميع .

ثم أنذرهم ثالثاً : بالموت .

ثم أنذرهم أخيراً : باليوم الآخر .

وقد بين القسم عاقبة المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، والكافرين الذين يعملون السيئات ، ثم أقامت الحجة على الكافرين يوم القيامة ، وختمت ببيان عاقبة المشركين ، وأمرت بطلب المغفرة من الله .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

تتعدد موضوعات هذه السورة تعدد واضحاً ، بيد أن هذا التعدد والتنوع يخدم هدفها الأساسى وموضوعها الرئيسى وهو موضوع الإيمان .

ومن موضوعات السورة نوجز ما يلى : -

١) بيان صفات المؤمنين :

وقد ذكرت السورة سبع خاصل من الخير فيهم ، وهى :

١- الإيمان {قد أفلح المؤمنون} .

٢- الخشوع فى الصلاة {الذين هم فى صلاتهم خاشعون} .

٣- الإعراض عن اللغو {والذين عن اللغو معرضون} .

٤- تطهير لأنفسهم بأداء الزكاة {والذين هم للزكاة غافلون} .

٥-حفظ الفروج {والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} ؟

٦- رعاية الأمانة والعهد {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون} .

٧- المحافظة على الصلوات {والذين هم على صلواتهم يحافظون} .

ويلاحظ :

الأول : ما يتصل بالعبادة .

فتذكر : عبادة الوحدة فى الألوهية وهى الصلاة {الذين هم فى صلاتهم خاشعون} و{الذين هم على صلواتهم يحافظون} .

وتذكر : عبادة التكافل فى المجتمع وهى الزكاة {والذين هم للزكاة فاعلون}.

الثانى : ما يتصل بالسلوك الفردى .

فتذكر : الجد فى الحياة ، وتجنب اللغو فى كل مجال من مجالاتها {والذين هم عن اللغو معرضون} .

الثالث : ما يتصل بالسلوك الجماعى ، المنظم لعلاقات أفراد الجماعة مع بعضهم البعض أو لعلاقات الجماعات والدول مع بعضها البعض كذلك .

فتذكر : الوفاء فى الأداء للأمانة والرعاية للعهد {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون} .

وتذكر : تجنب الاعتداء على الأعراض {والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} .
٢) تطورات خلق الإنسان وما فى ذلك من عناية به وإبداع يدل على عظمة الخالق فيما أنشأ وصور ، وما فيه كذلك من دلالة على البعث {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المغضة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون} [الآيات ١٢-١٦] .
وفى قوله تعالى {وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ٠٠} [الآيات ٧٨-٨٠] .
٣) قصص بعض الأنبياء وما فيها من بيان العبرة والعظة والوعد الوعيد والتبشير والإنذار .
٤) الرد على اتهامات المشركين العديدة(٩)
فى مثل قوله تعالى – بخصوص إنكار البعث – {وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون * وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون * بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين * قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى ٠٠٠٠} [الآيات من ٧٩-٨٩] .
وفى مثل قوله تعالى بخصوص إنكارهم بشرية الرسل {ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدين * فكذبوهما فكانوا من المهلكين} [الآيات ٤٥-٤٨] .
وفى مثل قوله تعالى بخصوص إنكارهم وحدة الألوهية {ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون} [الآية ٩١] .
٥) عرض بعض مشاهد القيامة ، من باب تبشير المؤمنين وتشجيعهم على ما هم فيه ، وإنذار الطغاة الهالكين وزجرهم عن الاستمرار فيما هم فيه .
يقول تعالى {فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون * إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون} [الآيات ١٠١-١١١] .

وخلاصة ما تضمنته السورة
من الحكم والأحكام والآداب(١٠)
(١) فوز المؤمنين ذوى الصفات الفاضلة بدخول الجنات خالدين فيها أبداً .
(٢) ذكر حال النشأة الأولى .
(٣) خلق السموات السبع وإنزال المطر من السماء وإنشاء الجنات من النخيل والأعناب وذكر منافع الحيوان للإنسان .
(٤) قصص بعض الأنبياء كنوح وشعيب وموسى وهارون وعيسى عليهم السلام ثم أمرهم جميعاً بأكل الطيبات وعمل الصالحات .

(٥) لا يكلف الله عباده إلا بما فيه يسر وسجاحة .
(٦) وصف ما يلقاه الكافرون من النكال والوبال يوم القيامة وتأنبيهم على عدم الإيمان بالرسول ، وتفنيد المعاذير التى اعتذروا بها .
(٧) ذكر ما أنعم به على عباده من الحواس والمشاعر .
(٨) إنكار المشركين للبعث والجزاء والحجاج على إثبات ذلك .
(٩) النعى على من أثبت الولد والشريك لله .
(١٠) دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ربه ألا يجعله فى القوم الظالمين حين عذابهم .
(١١) تعليم نبيه صلى الله عليه وسلم الأدب فى معاملة الناس ، وأمره أن يدعوه بدفع همزات الشياطين عنه .
(١٢) طلب الكفار العودة إلى الدنيا حين رؤية العذاب ، لعلهم إذا عادوا عملوا صالحاً .
(١٣) وصف أهوال يوم القيامة وبيان ما فيها من الشدائد .
(١٤) أوصاف السعداء والأشقياء .
(١٥) تأنيب الكفار على طلبهم العودة إلى الدنيا وزجرهم على هذا الطلب .
(١٦) سؤال المشركين عن مدة لبثهم فى الدنيا ، وبيان أنهم ينسون ذلك .
(١٧) النعى على من عبد مع الله آلهاً آخر .

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

فى قوله تعالى {قد أفلح المؤمنون ٠٠} الآيات

أولاً : دلت اية على تعليق فلاح العبد على حفظ فرجه ، وأنه لا سبيل له إلى الفلاح بدونه ، وتضمنت هذه الآية ثلاثة أمور : من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين . وأنه من الملومين . ومن العادين : ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع فى اللوم . فمقاساة ألم الشهوة ومعاناتها ، أيسر من بعض ذلك . وقد أمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم . وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم ، مطلع عليها ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر ، جعل الأمر بغضّه مقدماً على حفظ الفرج . فإن الحوادث مبدؤها من النظر . كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر . ثم تكون نظرة ، ثم تكون خطوة ، ثم خطرة ، ثم خطيئة . ولهذا قيل : من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه : اللحظات ، والخطرات ، واللفظات ، والخطوات . فينبغى للعبد أن يكون بوّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة . ويلازم الرباط على ثغورها. فمنها يدخل عليه العدوّ ، فيجوس خلال الديار ويتبروا ما علوا تتبيراً .

ثانياً : روى عن الإمام أحمد أنه قال : لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنى . واحتج بحديث عبد الله بن مسعود (١١) أنه قال : يا رسول الله أىّ الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قال قلت : ثم أىّ ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قال قلت : ثم أىّ ؟ قال : أن تزانى خليلة جارك . والنبى صلى الله عليه وسلم ذكر من كل نوع أعلاه ليطابق جوابه سؤال السائل . فإنه سئل عن أعظم الذنب فأجابه بما تضمن ذكر أعظم أنواعه وما هو أعظم كل نوع ، فأعظم أنواع الشرك أن يجعل العبد لله نداً . وأعظم أنواع القتل أن يقتل ولده خشية أن يشاركه فى طعامه وشرابه . وأعظم أنواع الزنى أن يزنى بخليلة جاره . فإن مفسدة الزنى تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق . فالزنى بالمرأة التى لها زوج ، أعظم إثماً وعقوبة من الزنى بالتى لا زوج لها . إذ فيه انتهالك حرمة الزوج وإفساد فراشه ، وتعليق نسب عليه ، لم يكن منه ، وغير ذلك من أنواع أذاه . فهو أعظم إثماً وجرماً من الزنى بغير ذات الزوج فإذا كان زوجها جاراً له ، انضاف إلى ذلك سوء الجوار ، وأذى جاره بأعلى أنواع الأذى . وذلك من أعظم البوائق . وقد ثبت عن النبى(١) صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره شر بوائقه . ولا بائقة أعظم من الزنى بامرأته . فالزنى بمائة مرأة لا زوج لها

أيسر عند الله من الزنى بامرأة الجار . فإن كان تالجار أخاً له ، أو قريباً من أقاربه ، انضم إلى ذلك قطيعة الرحم ، فيتضاعف الإثم . فإن كان الجار غائباً فى طاعة الله ، كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الإثم . فإن اتفق أن تكون المرأة رحماً منه ، انضاف إلى ذلك قطيعة رحمها . فإن اتفق أن يكون الزانى محصناً ، كان الإثم أعظم . فإن كان شيخاً كان أعظم إثماً وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فإن اقترن بذلك أن يكون فى شهر حرام أو بلد حرام أو ووقت معظم عند الله ، كأوقات الصلاة وأوقات الإجابة ، تضاعف الإثم

ثانى عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث


١- أنظر : السخاوى / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادى / بصائر ذوى التمييز ٣٢٩/١
القرطبى / الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة المؤمنون)
القاسمى / محاسن التأويل ( " " " )
٢- أنظر : مكى بن أبى طالب / التبصرة ص ٢٦٧
السخاوى / جمال القراء ٢٠٩/١
الفيروزابادى (مصدر سابق)
الآلوس / روح المعانى (تفسير سورة المؤمنون)
نثر المرجان ١٥١٨/٤
٣- أنظر : القرطبى ، الآلوس (مصادر سابقة)
الواحدى / أسباب النزول ص ١٧٨
٤-
٥- النيسابورى / غرائب القرآن (تفسير سورة المؤمنون)٦- الآلوس روح المعانى ( " " " )
٧- سعيد حوى / الأساس فى التفسير ( " " " )٨- سيد قطب فى ظلال القرآن ( " " " )٩- د/ محمد البهى تفسير سورة المؤمنون ص ٣ وما بعدها
١٠- المراغى / تفسير المراغى (تفسير: سورة المؤمنون)
١١- رواه : البخارى ٠٠ ك تفسير القرآن ، سورة البقرة ، باب قوله ت عالى (لا تجعلوا لله أنداداً) .



فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة النور

## أولاً:اسم السورة

**هذه السورة تسمى بـــ**

**١- سورة النور(١)**

**وذلك : لكثرة ذكر النور فيها ، مثل قوله تعالى :**

**{الله نور السماوات والأرض} [الآية ٣٥] .**

**وكذلك لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهى بالتمثيل ، المقيد كمال المعرفة لنوع الإنسان ، مع مقدماتها .**

**وإذا كان اسمها النور**

**فإن "النور" يذكر فيها :**

**بلفظة متصلاً بذات الله تعالى {الله نور السماوات والأرض} .**

**وبآثاره ومظاهره فى القلوب والأرواح .**

**فمثله هذه الآثار فى الأداب والأخلاق التى يقوم عليها بناء هذه السورة .**

**وهى آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية ، تنير القلب ، وتثير الحياة .**

**وتربطها بذلك النور الكونى الشامل . وأنها نور فى الأرواح . وإشراق فى القلوب ، وشفافية فى الضمائر ، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها(٥) : (٦٤) أربع وستون آية(١) .**

**كلماتها : (١٣١٦) ألف وثلاثمائة وستة عشرة كلمة .**

**حروفها : (٥٦٨٠) خمسة آلاف وستمائة وثمانون حرفاً .**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ-فى المصحف ..بعد : سورة "المؤمنون" ، وقبل : سورة "الفرقان" .**

**ب- فى النزول ..بعد : سورة "الحشر" ، وقبل : سورة "الحج" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

من المتفق عليه بين جمهور العلماء أن هذه السورة : نزلت بالمدينة .
ومن المتفق عليه أيضاً : أنها نزلت عقب عروة بنى المصطلق .
وقد نزلت هذه السورة – كما هو واضح – من بيان القرآن نفسه – فى شأن السيدة عائشة رضى الله عنها ، حين رماها أهل الإفك من المنافقين بما تقولوا عليها به من الكتاب والبهتان . وقد حصل ذلك – كما تتفق عليه جميع الروايات المعتد بها – أثناء ....من غزوة بنى المصطلق(٦) .
ويلاحظ : أننا ذكرنا ذلك . مع التأكد على أنه لا يعد سبباً لنزول السورة ولم يقل لذلك أحد من العلماء .

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

أنظر : النقطة السابقة .

## سادساً : فضل السورة

بلغ من فضل هذه السورة :
أ– أن كان هناك تشديد فى وجوب تعلمها ، مثل :
ما أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقى عن مما هو قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (علموا رجالكم سورة المائدة وعلموا نساءكم سورة النور) وهو مرسل(٧) .
وما ورد عن حارث بن مضرب رضى الله عنه قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور(٨)" .
وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت "علموا النساء سورة النور" .
ب– أنه اجتمع فيها خصائص القرآن الكريم كلها على أوضح ما يتكون ذلك .
ففيها : البيان ، وفيها : المثل ، وفيها : الموعظة ، وفيها : الهداية ، وفيها: الحق والعدل ، ومنها : الحكم التكليفى . وفيها : التعليل ، وفيها : التذكير .
إلى غير ذلك مما هو من خصائص القرآن(١٠) .
جـــ– كما أن هذه السورة نموذج رائع على الآيات البينات التى أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .
ومن ثم تجد فيها : روائع التشريع ، وروائع الأسلوب ، وروائع الانتقال ، وذوى البلاغة .
والقرآن الكريم كله كذلك ٠٠ ولكن هذه الأمور فى هذه السورة تكاد تكون أظهر .
إن فى هذه السورة : من التصوير أروعه ، ومن التمثيل أروعه ، ومن التشريع أروعه ، ومن الإنذار أروعه ، ومن التبشير أروعه ، ومن التأديب أروعه.
ومن ثم : فإن من فهم هذه السورة ، وعرف أسرارها ؛ أدرك من أسرار البيان القرآنى ، وأسرار الإعجاز تشرف أنوار اليقين على قلبه فتغمره .
إنك تجد فيها : مقاطع ، كل مقطع له نكهة خاصة ، وله بداية ونهاية خاصتان ، وفى كل مقطع جمال وحلال وإسرار .

إنها سورة : اجتمع فيها من الأناقة والرشاقة فى اللفظ والموضوع والتسلسل والتوجيه ما هو النموذج لإدراك أن هذا القرآن آيات بينات(١٠) .

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

بالرغم من تكون السورة السابقة من السور المكية وهذه من السور المدنية ٠٠!!
فإن سورة "المؤمنون" تعد كالمقدمة ...لهذه السورة بحث الناس على الإيمان وكيفية اكتساب صفاته والتحلى بها . حتى يكون التزامهم بأحكام سورة النور عن يقين واقتناع ورغبة فى نوال مرضاه الله تعالى .
ومع ذلك : فإن هناك من وجوه التناسب الخاصة ما نعرض بعضاً منه على النحو التالى :
١- شدة الترابط بين خاتمة "المؤمنون" وفاتحة النور .
إذ أنه لما أمر الله تعالى نبيه الكريم يطلب الرحمة والمغفرة فى قوله {وقل ارب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين} ..!!
اتبع ذلك – من فضل رحمته – بسورة أنزلها ، وأحكام فيها فرضها يوصل الالتزام بها ، والخضوع لها ، لنوال غفران الله تعالى ورحمته .
٢- إذا كان نتعالى بين فى سورة "المؤمنون" بعض صفاتهم بقوله {والذين هم لفروجهم حافظون} ..!!
– فقد بين فى سورة النور : أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزانى .
– وكذلك ما يتصل بذلك من شأن القذف ، وقصة الإفك . وأمر ... بغض البصر الذى هو داعية الزنا . والاستئذان الذى إنما هو جعل من أجل النظر.
وأمر فيها كذلك : بالانكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف .
ونهى فيها : عن إكراه الفتيات عن الزنا(٨) .
٣- إذا كان تعالى قد بين فى سورة "المؤمنون" أنه لم يخلق الخلق عبثاً ، بل للطاعة والامتثال فى قوله {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون} [الآية ١١٥] .
فقد ذكر فى هذه السورة الكثير من الأوامر والنواهى الكاشفة عن الطاعة والعصيان .

## ثامناً : هدف السورة

ولأن هذه السورة نزلت فى السنوات الأخيرة للإسلام ، وقد اتضحت معالم الدولة الإسلامية ، وتوافر لها من أركان الدولة وعناصرها ثلاثة ، الأرض ، والشعب ، والحاكم ، فقد بقى لها القانون الذى يسير عليه ويلتزم شعبها به ٠٠!! .
ولذلك : فقد أخذت هذه السورة فى تحقيق هذا الركن ، وهو قوانين هذه الدولة الجديدة وتوضيح الأحكام التى يلتزم بها هذا الشعب .
وقد عرضت هذه السورة أحكامها على بساط من التربية .
نعم ٠٠ التربية لهذه الجماعة التى اختارها الله تعالى لتقوم على التزامها وطاعتها أركان هذا الدين ويشتد ساعد هذه الدولة .

نعم التربية(٤) ، التى تشتد فى وسائلها إلى درجة الحدود .
والتى ترق إلى درجة اللمسات الوحدانية الرفيقة .
والتى تصل القلب بنور الله وبآياته المبثوثة فىالكون وثنايا الحياة .
والهدف – بهذه التربية – واحد فى الشدة واللين ، وهو : تربية الضمائر ، واستجاشة المشاعر ، ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة ، حتى تشف وترق ، وتتصل بنور الله .
وتتداخل الآداب النفسية الفردية ، وآداب البيت والأسرة ، وآداب ، وآداب الجماعة والقيادة بوصفها نابعة كلها :

...واحد ، هو العقيدة فى الله متصلة كلها : بنور واحد . هو نور الله .
وهى فى صحيحها : نور وشفافية ، وإشراق وطهارة .
تربية عناصرها من مصدر النور الأول فى السماوات والأرض ، نور الله الذى أشرقت به الظلمات ، فى السماوات والأرض ، والقلوب ، والضمائر ، والنفوس ، والأزواج .
وبذلك الأسلوب : تكون الاستجابة فورية وعن قناعة كاملة لهذه الأحكام ، والقوانين التى ساهمت بها السورة فى بناء الفرد والأسرة والجماعة فى ظل هذه الدولة الجديدة .

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

وتتألف السورة من ثلاثة أقسام .
يعمل كل قسم فيها بآياته البينات على تحقيق هذا الهدف وبنفس الأسلوب التربوى الرفيع .
القسم الأول : وتحتوى آياته البينات على عرض قضايا تشريعية وتوجيهية واجتماعية ، وهو عبارة عن ٣٤ آية .
ويبدأ من الآية الأولى : {سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون} .
وينتهى بنهاية قوله تعالى {ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين} [الآية ٣٤] .
ونلاحظ : قوة الصلة بين بداية هذا المقطع ونهايته .
القسم الثانى :
وتحتوى آياته البينات على عرض قضايا فى موضوع العقيدة والكفر والإيمان والكون والحياة ٠٠٠٠٠٠٠ .
ويبدأ من الآية (٣٢) وهى قوله تعالى {الله نور السماوات والأرض مثل نوره ٠٠٠} [الآية
وينتهى بنهاية قوله تعالى : {لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم} [الآية ٤٦] .
ونلاحظ كذلك : قوة الصلة بين بداية هذا المقطع وما فيه من نور وبين نهايته وما فيه من هداية .
القسم الثالث : وتحتوى آياته البينات على عرض مواقف وتوجيهات وبشارات وهو عبارة عن ١٨ آية .
ويبدأ من الآية ٤٧ وهى قوله تعالى {ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمينن} .
وينتهى بختام السورة {إلا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم} [الآية ٦٤] .
ونلاحظ ثالثاً : قوة الصلة بين بداية هذا القسم وما يشير إليه من نفاق وكذب على الله ورسوله ، وبين نهاية المقطع ، وما فيه من وعيد يفضح به ٠٠٠٠ فيه .

ويلاحظ أخيراً : أن الله عز وجل عرض فى هذه السورة ، من خلال هذه الأقسام الثلاثة – أمهات من القضايا الاجتماعية والسلوكية والإيمانية والأخلاقية .. ذات تأثير كبير على المجتمعات البشرية .

كما أنه للمرأة من ذلك خط كبير ؛ مما يتعين معه على الرجال والنساء أن يدرسوا هذا السورة .

هذا ..

وإن امرأ لا يخرج من دراسة هذه السورة وهدفها التربوى : برؤية الإعجاز واضحاً ، وبالإيمان كاملاً فى مقتضياته السلوكية والأدبية والإعتبارية ؛ حظه قليل(١) .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

١) عقوبة الزانى والزانية .

(٢) عقوبة قاذفى المحصنات الغافلات المؤمنات .

(٣) حكم قذف الزوجات .

(٤) قصص الإفك ، وبراءة أم المؤمنين عائشة .

(٥) آداب الزيارة .

(٦) أمر المؤمنين بغضّ الأبصار وحفظ الفروج .

(٧) نهى النساء عن إبداء زينتهن لغير بعولتهن إلخ .

(٨) أمر المؤمنين بإنكاح الأيامى من الرجال والنساء ، فالمجتمع الإسلامى كأنه أسرة واحدة .

(٩) أمر من لم تتوافر له وسائل النكاح لعدم وجود المال أو سواه بالعفة حتى يغنيه الله .

(١٠) بيان أن الأعمال الصالحة التى يعملها الكافرون فى الدنيا لا تجدى عنها نفعاً يوم القيامة ، بل تكون كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

(١١) الأدلة التى نصبها الله فى الأكوان علم بها ، وسفليها شاهدة بوحدانيته .

(١٢) المنافقون يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم .

(١٣) وصف المؤمنين الصادقين .

(١٤) وعد الله عباده المؤمنين بأنه سيستخلفهم فى الأرض وينشر دينهم الذى ارتضى لهم .

(١٥) استئذان الموالى والأطفال فى أوقات ثلاثة إذا أرادوا الدخول على أهليهم.

(١٦) رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فى الجهاد .

(١٧) لا حرج فى الأكل من بيوت الآباء والأمهات إلخ بلا إذن .

(١٨) نهى المؤمنين عن الانصراف من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانوا معه فى أمر جامع .

(١٩) إباحة إذنه لهم إن شاء حين الطلب .

(٢٠) بيان أن مجلس الرسول مبجّل موقر وليس كمجلس المؤمنين بعضهم مع بعض(١١) .

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

هذه السورة الكريمة : آياتها مليئة بالفوائد التربوية البديعة نقتطف منها .. ما يلى:

١) فى قوله تعالى :
{إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم} [النور ١١] .
يقول الإمام ابن كثير : هذه الآيات العشر . كلها نزلت فى شأن عائشة ، أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين ، بما قالوه من الكذب البحث ، والفرية ، التى غار الله تعالى لها ، ولنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه .
فأنزل براءتها ؛ صيانة لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الآيات .
وفى هذه الآية درس للأمة .. وهو :
رب ضارة نافعة .
فليس كل ما يحدث لنا ، ونحسبه ، بالأمر النافع لنا سواء فى أمور ديننا ، و أمور دنيانا .
كما أنه – ليس – بالضرورة – كل ما يحدث لنا ، ولا نحبه .. أمر ضار لنا فى أمور ديننا ، أو أمور دنيانا .
يقول سبحانه وتعالى {عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو خير لكم} [البقرة ٢١٦] .
ولذلك : يجب التسليم الكامل لله تعالى ، والرضى الواعى ... بكل ما يقع .. يحدث لنا من مقدورات الله عز و جل ، دون اعتراض ، أو تبرم ، أو سخط .. حيث أننا لا ندرى : ماذا تخبؤه لنا الأقدار ؟ ما دمنا لم نقصر فى مرضاة الله سبحانه وتعالى .
وحادثة الإفك : من هذا الباب .
{وكونه خيراً لهم – كما يقول الإمام الزمخشرى – أنهم اكتسبوا منه الثواب العظيم ؛ لأنه كان بلاءً ، ومحنة ظاهرة ، كما كانت فيه : فوائد ، وأحكام ، وآداب ، لا ... على متأملها(١٢) .
نعم .. كان بلاءً واختباراً : امتحن الله به قلوب الناس ، فمنهم من نجح فى إيمانه ، ... فى نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من نزغ الشيطان فى قلبه، وضل سواء السبيل ، ... أمره للمسلمين .
٢) فى قوله تعالى :
{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين(١٢)} .
أى : كذب ظاهر على أم المؤمنين .
والمعنى : هل ظننتم خيراً ، حين سمعتم هذا الإفك الذى أشيع على أم المؤمنين ، ونفيتموه ، وكذبتموه .
يعنى : ماكان ينبغى لكم أن تشكّوا لحظة فى كذب هذه الفرية خاصة وأنكم لا تعرفون إلا الخير كل الخير ، والطهر كل الطهر ، فى بيت النبوة ، وكان عليكم أن تسارعوا بإعلان كذب هذه الدعوة الآثمة .
وفى هذا درس للأمة كلها : أن يحسن المؤمنون والمؤمنات الظن بأنفسهم ، ولا يدعوا للشيطان مدخلاً لديهم ، ولا للظن السئ فى أنفسهم طريقاً إليهم .
ففى الحديث الشريف : (إياكم والظن ، فإن الظن : أكذب الحديث)(١٣) .
وفيه : (حسن الظن : من حسن العبادة)(١٤) .
وقد نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءاً ، حيث يقول {يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم} أى : لا تظنوا بأهل الخير سوءاً .. إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير} [الحجرات ١٢] .
وهذا : فيمن ظاهره الخير .
وأما من ظاهرة القبح ، والمجاهدة بالمعصية : فلا حرج أن يظن به السوء؛ حتى يُتَّقى شره . وتتم النجاة من خطره .
وآيات حادثة الإفك : تؤكد على هذا .
حيث يقول ربنا عز وجل :

{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين} [النور ١٢] .
{ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور ١٦] .
نعم .. على من يسمع شيئاً على أخيه المسلم .. رجلاً كان أو امرأة : أن لا يظن به إلا خيراً .
كما أن عليه : أن لا يساهم فى نقل الشائعات فى المجتمع ولا يتكلم إلا بخير .
٣) فى قوله تعالى :
{ولولا إذّ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [الآية ١٦] .
درس هاك ؛ وهو :
ضرورة حفظ اللسان .
وقد ركز الإسلام على هذا الأمر جيداً .
ففى القرآن الكريم :
يقول تعالى : {وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} [الفرقان ٦٣] .
ويقول : {والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً} [الفرقان ٧٢] .
ويقول : {وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكن أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين} [القصص ٥٥] .
وفى الحديث الشريف ..
عن أبى هريرة .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتدرون ما الغيبة .. ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقول .. ؟ قال : إن كان فيه ما تقول .. فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول .. فقد بهته(١٥) .
وأخرج الطبرانى بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من ذكر امرءاً بشئ ... فيه ، ليعيبه به : حبسه الله فى نار جهنم ، حتى يأتى بنفاد ما قال فيه) .
وكل هذا .. سموّ بالشخصية الإسلامية عن السفاسف ، والانزلاق إلى صغير الأمور وتوافهها ، وعن الولوغ فى الأخطاء ونتائجها .
كما أنه .. حماية المجتمع من تقطيع الروابط بين أفراده بسبب عدم حفظ .. عن قاله السوء ، أو عن القيل والقال .
ولذا يقول الشاعر :
إحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
وسورة النور .. من خلال حديث الإلك : تؤكد على ذلك .
حيث يقول رب العزة {لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور ١٦] .
وعلى ذلك .
فينبغى أن يكون أدب المسلم : حفظ لسانه عن تتبع العورات والزلات ، وعن المساهمة فى نشر الشائعات .
ويقول تعالى :
{لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون} [النور ١٣] .
أى : علا جاءوا على ما يدعونه ببينة ، ومن المعلوم أن البينة على ما ادعوه من الكذب : هى أربعة شهود يعاينون هذا الكذب .
ولو جاؤا عليه بأربعة شهداء : لكانوا صادقين .
ولكن : لم يأتوا بأية شهود ؟ حيث إن دعواهم كذب محض ، وافتراء باطل.

وعلى هذا :
{فإذ لم يأتوا بالشهداء} . وبالفعل لم يأتوا .. !
فأولئك فى حكم الله هم الكاذبون فيما ادعوه .
ولهذا ...
فعلى كل مسلم .. أن لا يتفوه بهذه التهمة الشنيعة : إلا إذا كان يملك الدليل عليها ، وإلا فهو كاذب يستحق عقوبة القاذف . فى الدنيا ، وأمره فى الآخرة : مفوض إلى مولاه .
وهل يليق بمسلم أ، يهرف بما لا يعرق ، أو يتهم بلا بينة ..؟!!
كلا .. وألف كلا ..!
ويقول تعالى
{وإذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم} [النور ١٥] .
أى : اذكروا حين كنتم تستقبلون هذا الكذب لا بأسماعكم ، ولا بعقولكم ، بل بألسنتكم فقط ‥ يعنى : لا تفكرون فيه ، ولو فكرتم لعرفتم كذبه ، ولكذبتموه بعقولكم ، ولكن استقبلته ألسنتكم ، وأشاعته فوراً .
كما أنكم كنتم تقولون بأفواهكم ، ما لم تدركه عقولكم ، و{ما ليس لكم به علم} بالمرة أبداً .
كل هذا الكم الهائل من الأخطاء ..{وتحسبونه هيناً} أى لا إثم فيه ، بل شيئاً يسيراه ، تستهينون به ، وتساهمون فى نشره .
وهو فى واقع الأمر {عند الله عظيم} فى الإثم ، خطير فى الأثر ، شنيع فى الضرر .
وفى هذا درس لكل مسلم : أن يستعمل عقله ، وأن يحفظ لسانه إلا من قول صدق ، أو ذكر الله تعالى .
يقول سبحانه : {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً} [الإسراء ٣٦] .
وفى الصحيح : (وإن الرجل ، ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقى لها بالاً : يهوى بها فى نار جهنم(١٦)) .
٤) فى قوله تعالى :
{ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور ١٦] .
أى : حينما سمعتم هذا الكلام البذئ الفاحش ، هلا ظننتم على الفور بهم خيراً ، وقلتم ما ينبغى لنا ولا لغيرنا أن نتكلم بهذا ..بل كان عليكم : أن تقولوا منزهين لساحة بيت النبى صلى الله عليه وسلم {سبحانك .. هذا بهتان عظيم} أى كذب فاحش ، لا يليق سماعه ، ولا ينبغى ذكره .
وعلى هذا .
فعلى المسلم : حينما يسمع قاله السوء على أخيه المسلم ..رجلاً كان أو امرأة .. أن ينزه ساحته ، وأن لا يظن به إلا خيراً ، وأن لا يتكلم إلا بخير.
حيث إن كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، كما فى الحديث الشريف .
بل الواجب عليه : أن يدافع عنه – بالحق – وأن يرد غيبته ‥ فعن أبى الدرداء ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (من رد عن عرض أخيه : رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)(٣٧) .
٥) فى قوله تعالى :
{ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم} [النور ١٤] .
والخطاب هنا : لمن عنده إيمان ، يقبل الله منه بسببه التوبة ‥ مثل : حسان ، ومسطح ، وحمنة .
أما من لا إيمان عنده كعبد الله بن أبى : فلا يدخل فى هذا الخطاب ، والتشريف الإلهى .
والمعنى : {ولولا فضل الله عليكم} – يا من أخطأتم بالوقوع فى المعصية – بأنواع النعم ، التى من جملتها : الإمهال للتوبة ، والرحمة فى الآخرة ، بالعفو عنكم ، والمغفرة ، المقدرين لكم فى علم الله تعالى .

لولا هذا : لمسكم بسبب خوضكم وإفاضتكم فى الإفك {عذاب عظيم} يهون بجانبه التوبيخ لكم ، والعقاب الذى وقع عليكم فى الدنيا بسب ما وقعتم فيه من الكذب .

وفى هذا : لفت نظر لنا أن نتعرض لفضل الله علينا ، ورحمته بنا ..عن طريق الطاعات : حيث إنه من المناسب : التحلى بحسن الأجب ، وكثير الطاعة ، مع صاحب الفضل .

وذلك : لكى لا تقعوا فى زلل مشابه ، وإذا وقعتم : أن تسارعوا بالتوبة إلى تعالى .

وهذا ..يدفع المسلم إلى البحث فى شرع الله تعالى عن الحكم الأسرار ، ...المنافع والعظات ، التى تعينه على طاعة الله ، والخضوع لمشيئته .

مع يقينه الكامل : أن الله تبارك وتعالى {عليم} بما يصلح خلقه ، وينفعها {حكيم} فيما يشرعه لهم ، ويطالبهم به .

ويقول : {ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم} [النور ٢٠].

أى : لولا فضل الله عليكم – يا من أخطأتم بالوقوع فى هذه المعصية – بأنواع النعم ، التى من جملتها ، الإمهال للتوبة ، والرحمة فى الآخرة ، بالعفو عنكم والمغفرة ، المقدرين لكم فى علم الله تعالى : لكان أمر آخر ، لا تحمد عقباه.

ولكنه تعالى {رؤوف} بعباده {رحيم} بهم ، فتاب على من تاب إليه فى هذه القضية ، وطهر من طهر منهم بالحدّ الذى أقيم عليه .

٦) فى قوله تعالى :

{إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النور ١٩] .

أى : إن الذين لا يحبون أن تشيع الفاحشة ، إخباراً عنها ، أو ممارسة لها {فى الذين آمنوا} ومجتماعاتهم : {لهم عذاب أليم فى الدنيا} بإقامة الحد عليهم ، وهو حد القذف {والآخرة} كذلك ، لهم فيها عذاب النار ، إن لم يتوبوا .

ويفهم من هذه الآية : أن من يحب إشاعة الفاحشة ، فضلاً عمن يشيعها ، أو يأمر بإشاعتها ، أو يساعد على ذلك ، أو يرضى – على الأقل – بإشاعتها {فى الذين آمنوا} وبين صفوفهم ، وفى بيوتهم ، وشوارعهم ، ومنتدياتهم ، ومجتمعاتهم، بنفسه ، أو بوسيلة من الوسائل : فجرمة كبير ، وعقابه عند الله شديد.

وكفى بهذا تخويفاً ، وكفى بهذا تحذيراً ..!!

كما يفهم : بيان عاقبة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المجتمع المسلم ، ويرمون المحصنات الغافلات بما هن منه بريئات من قوله تعالى :

{إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين} .

وهذه الآيات الثلاث ..تبين : أن الذين يرمون بالفاحشة ، النساء المؤمنات ، العفيفات ، البعيدات عن كل فتنة وريبة ، الغافلات ..يعنى : "السليمات الصدور ، النقيات القلوب ، اللائى .. ليس فيهن دهاء ولا مكر"(١٨).

الذين يرمون هؤلاء بالفاحشة زوراً وبهتاناً : لهم من العقوبات .. ثلاثة أشياء(١٩) .

إحداها : {لعنوا فى الدنيا والآخرة} .. أى : يكونون ملعونين فى الدنيا والآخرة ، مطرودين من رحمة الله تعالى .

وهو : وعيد شديد ، إن لم يتوبوا .

حيث إن من كان ملعوناً : فهو ملعون فى الآخرة ، ومن كان ملعوناً فى الآخرة : فإنه لا يكون من أهل الجنة .

ثانيها : {ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} .

أى : لهم عذاب شديد ، يوم القيامة ، يوم ينكرون ما كانوا يعملون ، فتشهد عليهم أعضاؤهم {ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم} فلا يستطيعون لها رداً ولا تكذيباً ، فيقولون {لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون} [فصلت ٢١] .
ثالثها : {يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق} أى : يعطيهم جزاءهم العادل ، الذى يستحقونه ، كاملاً غير منقوص ، وهو جزاء أليم ، بسبب ما اقترفوه ، من : إشاعة الفاحشة فى المجتمع المسلم ، ورميهم المؤمنات العفيفات بالفاحشة .
٧) فى قوله تعالى :
{يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ... } [الآية
درس هام .. وهو :
محاربة الشائعات .
حيث إن معظم الشائعات : لا تكون إلا فى الأمور السيئة ، وهى التى تنشر الناس بسرعة البرق .
وقد تكون مبينة على ظنون خاطئة تخالف الحقيقة ، كما قد تكون ... لمبادئ ضارة هدامة ، أو هادفة لنشر رذيلة فى المجتمع ، أو إشاعة فاحشة بين أفراده .
ولذلك : يحرص الإسلام على وأدها فى مهدها ، والحيلولة دون نشرها وذيوعها وهذا واضح فى آيات حادثة الإفك .
حيث يقول تعالى {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ليهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النور ١٩] .
وهو سبحانه .. إذ يهددهم فى هذه الآية : يعلمهم كيف يقطعون دابرها.
وذلك : فى قوله تعالى {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خير وقالوا هذا إفك مبين} [النور ١٢] .
وفى قوله عز وجل {ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور ١٦] .
وأخرج الإمام أحمد فى مسنده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (لا تؤذوا عباد الله ، ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم . فإن من طلب عورة أخيه المسلم ، طلب الله عورته ، حتى يفضحه فى بيته) .
نعم ..
إن المجتمع المسلم .. هو مجتمع النظافة والطهارة فى أجلى معانيها.
فالحذر .. كل الحذر : أن نلوثه بإشاعة مغرضة ، أو فاحشة مهلكة .
الدرس الخامس : وجوب الحذر من الشيطان وأعوانه .
وذلك : لخطورة الشيطان وأعوانه على أولياء الله تعالى.
ومن هنا : أمر المولى عز وجل .. بالحيطة الشديدة منه ، والتنبيه الدائم له ، واليقظة الكاملة لمكره ودهائه ، واتخاذه عدواً ، ينبغى الاستعداد لمواجهته والانتصار عليه .
إذ يقول سبحانه {إن الشيطان لكم عدو فاتخذوا عدواً(١)} .
ويقول الحبيب صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان : يجرى من ابن آدم مجرى الدم)(٢) ، فتنة، وغواية ، وإضلالاً .
ولهذا .. يجب على أولياء الله تعالى ، اليقظة الكاملة ، والاستعداد الدؤب الواعى لهذا العدو ، القديم الجديد ، الذى حذر المولى منه ، وأمر بمعاداته .

وعلى ورثة الأنبياء – من العلماء – وهم أولى الناس بهذه اليقظة ، وأحق الناس لهذا الاستعداد ، وأعلمهم ، وأقواهم على هذا العداء ، والانتصار فيه – تبصير الناس بهذا العهدو وسهامه ووسائله ، وتحذيرهم – دائماً – منها(٢) .

وقد نبهتنا آيات حادثة الإفك إلى هذ الدرس المهم .

حيث يقول تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر} [النور ٢١] .

فهل انتهينا .. ؟

وهل تستجيب لهذا النهى والتحذير ..؟

٨) فى قوله تعالى

{فلا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ..} [الآية ٢٢] .

بيان الموقف من عداوات الأقارب(٢١)

وعداوات الأقارب : آفة اجتماعية قديمة ، مستمرة يصوها الشاعر فى قوله:

يقولون عز فى الأقارب إن دنت وما العز إلا فى فرق الأقارب

تراهم جميعاً بين حاسد نعمة وأخى بعض وآخر غائب

ومن كثرة هذه العداوات وشيوعها : يدور على الألسنة قولهم : "الأب : رب ، والعم : غمّ ، والأخ : فخ ، والولد : كمد ، والأقارب : عقارب" .

كما يقول بعضهم :

إن الأقارب كالعقارب أو أشد من العقارب

والواقع الحياتى : يقدم لنا فى كل حين ما يؤكد هذا ، وأكثر منه .

ولكن : هل ترك الإسلام هذه المشكلة دون علاج لها ، أو إرشاد لعلاجها ٠٠ ؟

ولكن : هل ترك الإسلام هذه المشلكة دون علاج لها ، أو إرشاد لعلاجها ..؟

كلا .. وألف كلا .

لقد اهتم الإسلام بها : اهتماماً كبيراً ، وأولاها عناية فائقة ، ونقدم – وإن كان المجال لا يتسع لغير الإيجاز – مثالين على هذا العلاج .

ففى القرآن الكريم : موقف سيدنا يوسف عليه السلام من إخوته الذين حسدوه ، وأذوه ، وألقوه فى الجب صغيراً ، لا حول له ولا قوة ، وهو موقف : مؤذى . مخزى ، لا ينسى أبداً .

فلما مكن الله بقدرته ومشيئته يوسف عليه السلام ، فى البلاد ، والعباد . وأصبح كبير مصر ، وساقت الإقدار إليه أخوته ، وأصبحوا فى قبضته ٠٠ ماذا فعل معهم ٠٠ ؟

هل عاقبهم ، هل عاداهم ، هل انتقم منهم ٠٠ ؟

لا ٠٠ وألف لا ٠٠ !!

إنما : عفا عنهم ، وقال لهم {قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} [يوسف ٩٢] .

وفى السنة النبوية : لما عاد محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة ٠٠ بعد أن آذاه فيها قومه وأقاربه ، وعذبوه ، وأخرجوه منها – ودخلها قائداً ، فاتحاً ، منتصراً ، وأصبح الذين آذوه بالأمس ، بين يديه ، ورهن إشارته ٠٠ ماذا فعل ٠٠ ؟

هل عاقبهم ، هل انتقم منهم ٠٠ ؟

كلا ٠٠ وألف كلا ٠٠!!

إنما عفا عنهم ، وقال لهم "اذهبوا فأنتم الطلقاء"(٢٢) .

وهذه : هى شريعة الحب ، شريعة الرحمة ، شريعة الترابط ، شريعة السلام .

وهو نفسه : ما دعت إليه آيات حادثة الإفك .

حيث نزل فى أبى بكر رضى الله عنه ٠٠ لما أقسم أن لا ينفق على قريبه "مسطح" الذى وقع مع وقع فى خطيئة الإفك ٠٠ قوله تعالى : {ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} [النور ٢٢] .

وكان هذا : مثالاً عملياً تطبيقياً على كيفية التصرف مع الأقارب المعادين ٠٠ وهو : الإحسان إليهم ، والاستمرار فى مودتهم ، طاعة الله تعالى ، وطلباً لعفوه وغفرانه .

٩) فى قوله تعالى

{أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم} [النور ٢٦] .

عناية الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ودفاعه عن حرمانه ، وتأكيد طهارته وأهل بيته ، وتكريم أزواجه صلى الله عليه وسلم .

وهو إعلاء لشأن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورداً ٠٠ فى ذات الوقت ٠٠ لكيد المنافقين فى نحورهم ، وإبطال سعيهم وإفسادهم . ولذلك يقول بعض الفقهاء(٨) : "من سب عائشة . فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن : قتل ؛ فإن أهل الإفلك رموا عائشة فبرأها الله تعالى .

فكل من سبها بما برأها الله منه : فهو مكذب لله ومن كذب الله : فهو كافر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : "من أذنب ذنباً ، ثم تاب منه : قبلت توبته ، إلا من خاض فى أمر عائشة" .

وهذا منه : تعظيم ومبالغة فى أمر الإفك . ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة:

برأ يوسف عليه السلام : بشاهد من أهلها .

وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه : بالحجر الذى ذهب بثوبه .

ومريم رضى الله عنها : بإنطاق ولدها .

وعائشة رضى الله عنها : بهذه الآى العظام ، فى كتابه المعجز ، المتلو على وجه الدهر .

فانظر : كم بينها وبين تبرئة أولئك ٠٠!!

وما ذلك : إلا لإظهار علو منزلة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبيان رفعة مقامه(١٠) .

١٠) فى قوله تعالى :

{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ٠٠ } [الآية

{وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ٠٠} [الآية

قال الإمام ابن القيم رحمه الله فى "الجواب الشافى" : فى غض البصر عدة منافع : أحدها – امتثال أمر الله الذى هو عغاية سعادة العبد فى معاشمه ومعاده . وليس ٠٠٠٠ دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتعالى . وما سعد من سعد فى الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامر ربه . وما شقى من شقى فى الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره .

الثانى – أنه يمنع من رسول أثر السهم المسموم ، الذى لعل فيه هلاكه ، إلى قلبه .

الثالث – أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعته على الله . فإن إطلاق البصر يفرّق ..ويشتته ويبعده من الله . وليس على العبد شئ أضر من إطلاق البصر. فإنه يوقع الوحى بين العبد وبين ربه .

الرابع – أنه يقوى القلب ويفرحه . كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الخامس – أنه يكسب القلب نوراً . كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة ، ولهذا ذكر سبحانه النور عقيب الأمر بغض البصر ، فقال {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم} ثم قال إثر ذلك {الله نور السموات والأرض} أى مثل نوره فى قلب المؤمن ، الذى امتثل أوامره واجتنب نواهيه . وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات من

كل جانب . كما أنه إذا ظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كان مكان . ٠٠٠من بدعة وضلالة ، واتباع هوى واجتناب هدى ، وإعراض عن أسباب السعادة ، و٠٠٠ ٠٠٠ الشقاوة . فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذى فى القلب . فإذا فقد ذلك النور بقى ٠٠٠ كالأعمى الذى يجرس فى حنادس الظلام .

السادس – أنه يورث الفراصة الصادقة التى يميز بها بين المحق والبطل والصادق والكاذب . ٠٠٠ شاء بن شجاع الكرمانىّ يقول : من عمر ظاهره باتباع السنة ، وباطنه بدوام المراقبة ، ٠٠٠٠ بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، واعتاد أكل الحرام – لم تخطئ ٠٠٠

وكان شجاع هذا لا تخطئ له فراسة ، والله سبحانه يجزى السيد على عمله بما هو من ٠٠٠ عمله . ومن ترك شيئاً الله عوضه الله خيراً منه . فإذا غض بصره من محارم الله ، عوضه ٠٠٠ بأن يطلق نور بصيرته عوضاً عن حسبه بصره الله . ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة ، ٠٠٠ الصادقة المصيبة ، التى إنما تنال ببصيرة القلب . وضد هذا ما وصف الله به اللوطية من ٠٠٠٠ الذى هو ضد البصيرة ، فقال تعالى {لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون} [الحجر ٧٢] فوصفهم السكرة التى هى فساد العقل ، والعمه الذى هو فساد البصيرة . فالتعلق بالصور يوجب إفساد ٠٠٠ ، وعمه البصيرة بسكر القلب ، كما قال القائل:

سُكران : سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاضة من به سكران !

وقال الآخر :

قالوا : جُننت بمن تهوى فقلت لهم : العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحين

السابع – أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعة وقوة . ويجمع الله له بين سلطان البصيرة الحجة ، سلطان القدرة والقوة . كما فى الأثر "والذى يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله" . ٠٠٠ هذا تجده فى المتبع هواه ، من ذل النفس ورضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله سبحانه فيمن عصاه . كما قال الحسن : إنهم وإن طقطقت بهم البغال . وهملجت بهم البراذين ، فإن المعصية لا تفارق رقابهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه . وقد جعل الله سبجانه العز قرين طاعته ، والذل قرين معصيته ، فقال تعالى {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} [المنافقون ٨] وقال تعالى {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} [آل عمران ١٣٩] والإيمان قول وعمل ظاهر وباطن . وقال تعالى {من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} [فاطر ١٠] أى من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره . من الكلم الطيب . والعمل الصالح . وفى دعاء القنوت "إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت" ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه . وله من العز بحسب طاعته . ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه . وله من الذل بحسب معصيته .

الثامن – أنه يسدّ على الشيطان مدخله من القلب . فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب ، أسرع من نفوذ الهوى فى المكان الخالى . فيمثل له صورة المنظور إليه ، ويزينها ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب . ثم بعده ويمنيه . ويقد على القلب نار الشهوة ، ويلقى عليه حطب المعاصى . التى لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة . فيصير القلب فى اللهب . فمن ذلك اللهب تلك الأنفاس التى يجد فيها وهج النار . وتلك الزفرات والحرقات . فإن القلب قد أحاطت به نيران بكل جانب . فهو فى وسطها كالمشاة فى وسط التنور . ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات بالصورة المحرمة ، أن جعل لهم فى البرزخ تنور من نار ، وأودعت أرواحهم فيه ، إلى حشر أجسادهم . كما أراها الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى المنام فى الحديث المتفق على صحته .

التاسع – أنه يفرغ القلب للفكرة فى مصالحه والاشتغال بها . وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك ويحول عليه بينه وبينها . فتنفرط عليه أموره ويقع فى اتباع هواه وفى الغفلة عن أمر ربه ، قال تعالى {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً} [الكهف ٢٨] وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة يحسبه .

العاشر – أن بين العين والقلب منفذاً وطريقاً يوجب انفصال أحدهما عن الآخر . وأن يصلح بصلاحه ويفسد بفساده . فإذا فسد القلب فسد النظر . وإذا فسد النظر فسد القلب . وكذلك فى جانب الصلاح . فإذا خربت العين وفسدت ، خرب القلب وفسد ، وصار كالمزبلة التى هى محل النجاسات والقاذورات والأوساخ . فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابه إلهي والأنس به والسرور بقربة فيه . وإنما يسكن فيه أضداد ذلك . فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر ، تطلعك على ما وراءها . انتهى .

١١) فى قوله تعالى :

{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد أمنهم خوفاً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير} .

قال القرطبى : قال أبو العالية "مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سنين ، بعد ما أوحى إليه . خالقاً وهو وأصحابه يدعون إلى الله سراً وجهراً .

ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ٠٠ وكانوا فيها : خائفين ، يصبحون ويمسون فى السلاح .

فقال رجل : يا رسول الله ٠٠!! أما يأتى علينا يوم ، نأمن فيه ، ونضع السلاح ٠٠؟

فقال عليه الصلاة والسلام : (لا تلبثون إلا يسيراً ، حتى يجلس الرجل منكم، فى الملأ العظيم ، ليس عليه حديدة) .

ونزلت فى الآية .

وأظهر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب ٠٠ فوضعوا السلاح ، (وأمنوا)(٩) .

هذا ٠٠

ولأن العبرة – كما يقول العلماء – بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ٠٠!!

ولأن لفظ الآية عام ٠٠!!

فإن هذا الوعد ، وهذه البشارة : لهما صفة العموم .

فهو وعد لكل من تحققت منه مطالب الآية ٠٠ فى أى عصر ، وأى مصر.

وهى بشارة إلهية ٠٠ باقية إلى يوم القيامة .

وهذه الآيات الثلاث الكريمة ٠٠ تضمن تسعة أشياء(٢٦) .

ثلاثة منها : مطلوبة .

وثلاثة منها : موعودة .

وثلاثة منها : مرفوضة .

فإذا ما حققت الأمة ؛ الأمور الثلاثة المطلوبة ، ونجت وتخلصت من الثلاثة المرفوضة : نالت الثلاثة الموعودة .

وتوضيح هذا الكلام – باختصار شديد – كالتالى :

أولاً : تطالب الآية المؤمنين : بثلاثة أشياء ٠٠٠ هى :

١– الإيمان {وعد الله الذين آمنوا منكم} .

٢– العمل الصالح {٠٠ وعملوا الصالحات} .

٣– العبادة {٠٠ يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً} .

ثانياً : تعد المؤمنين – بعد تحقق المطالب الثلاثة – بثلاثة أشياء ٠٠ هى :

١– أن يكونوا : أئمة الناس ، والولاة عليهم ٠٠ يعنى : زعماء العالم {ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم} .

٢- التمكين للإسلام {وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم} .
٣- توافر الأمن لهم ولبلادهم من بعد خوفهم {وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً} .
ثالثاً : تحذر المؤمنين ، وترفض منهم وفيهم ٠٠ ثلاثة أشياء ٠٠ هى :
١- خطر العصاة {٠٠ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} .
٢-خطر الغُرور ٠٠٠{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون} .
٣- خطر الحرب النفسية {لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير} .
هذه الأشياء التسعة : فهمها المسلمون الأوائل .
فحققوا : ما طلب منهم .
وتجنبوا : ما حذروا منه .
فنالوا : ما وعدوا به .
نعم ٠٠ حقق الله لهم وعده .
وقد فعله تبارك وتعالى – كما يقول ابن كثير – ولله الحمد والمنة(٢٧) .
"فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها .
وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام .
وهاداه مالك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشة .
ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله ما عنده من الكرامة.
قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث بما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس بصحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها . وجيشاً آخر بصحبة أبى عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً بصحبة عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه بصرى ودمشق ومخالفيهما من بلاد حوران وما والاها .
وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة .
ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مصله فى قوة سيرته وكمال عدله . وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس . وكسر كسرى وأهانة غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع ٠٠٠ عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالهما فى سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة .
ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت المماليك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص ، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلى البحر المحيط ومن ناحية الشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وخذل الله ملكهنم الأعظم خاقان ، وجبى الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن" .
والآية فى نفس الوقت : وعد لجميع المسلمين من الله سبحانه وتعالى ، بأن:
يجعل منهم خلفاء الأرض ، والقادة عليها ، والزعماء لشعوبها .
ويمكلن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، فينتشر نوره ، ويعم هديه ، وتسود مبادؤه ، وتهيمن أحكامه وتشريعاته .

ويبدل خوفهم أمناً . أمناً فى كل شئ ، فى الدين ، فى النفس ، فى المال ، فى الأولاد ، فى الوطن ، فى ٠٠٠ فى ٠٠ إلخ.

أملاً فى : الخروج من هذه الأزمات التى نعانى منها : نحن مسلمى اليوم !! والتخلص من أوزار هذا التخلف المهين ، والانحطاط المشين ٠٠!! والدخول فى سباق الأمم ، فتنهض ؛ فتتولى زمام القيادة العالمية ، إلى الهداية للتى هى أقوم ٠٠!!

وفى ضوء ما تقدم : تعالى معى أيها القارئ الكريم ٠٠ نقرأ هذه الآيات الكريمة – مرة أخرى – قراءة تفسيرية .

يقول تعالى : {وعد الله} وهذه بشارة إلهية فى صورة وعد منه سبحانه ، ووعد الله لا يتخلف {ألا إن وعد الله حق} [يونس ٥٥] .

ولكن ٠٠ وعد من ٠٠؟

وعد ٠٠ {الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات} حال تحليهم بعبادته – وحده – سبحانه .

يعنى : وعد الذين اتصفوا بثلاث صفات ٠٠ هى :

أ- الإيمان ٠٠ بمعنى الثقة واليقين الكامل فى هذا الدين .

ب- والعمل الصالح ٠٠ وهو : كل ما يسعد العباد ، ويصلح البلاد ، ويكون فى إطار ما شرع الله .

جـ- والعبادة ٠٠ بمفهومها الشامل ، الذى ينبئ عنه قوله تعالى {وما خلقت الجن الإنس إلا ليعبدون} [الذاريات ٥٦] .

وعد هؤلاء ٠٠ بماذا ٠٠ ؟

١- {ليستخلفنهم فى الأرض} أى : يجعلهم خلفاء فيها ، وقادة لأهلها ، وروواداً فى نهضتها ، وإسعاد أهلها .

{كما استخلف الذين من قبلهم} أى : ليستخلفنهم استخلافاً كائناً ، كاستخلافه الذين من قبلهم . من الأمم المؤمنة ، الذين أسكنهم الله تعالى فى الأرض ، بعد إهلاك أعدائهم ، من الكفرة الظالمين(٨) .

٢- {وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم} أى : الإسلام .

والمعنى : ليجعلن دينهم ثابتاً مقرراً ، بأن يعلى – سبحانه – شأنه ، ويقوى بتأييده – تعالى – أركانه ، ويعظم أهله فى نفوس أعدائهم – الذين يستغرقون النهار والليل فى التدبير لإطفاء أنواره ، ويستنهضون خيلهم ورجلهم للتوصل إلى إخفاء آثاره – فيكونون بحيث ييأسون من التجمع لتفريق المسلمين عنه ، ولا تكاد تحدثهم أنفسهم للحيلولة بينهم وبين مبادئه والعمل بها .

وقيل المعنى : ليجعله مقرراً ثابتاً ، بحيث يستمر المسلمون على العمل بأحكامه ، ويرجعون إليه فى كل ما يأتون ، وما يذرون .

ولا مانع – عندى – من إرادة المعنيين .

٣- {وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً} أى : يرزقهم الأمن والأمان فى الدنيا ٠٠ على أنفسهم ، وأهليهم ، وأوطانهم ، ومبادئهم ٠٠ إلخ ، وذلك بعد خوفهم – فى الدنيا – من أعدائهم فى الدين ، بمقتضى الطبيعة البشرية .

ثم يقول تعالى : {يعبدوننى} أى : يتحقق لهم ما ذكر ، حال كونهم . يتصفون بهذه الصفة الثالثة : إلى جانب الصفتين السابقتين ، وهما : الإيمان ، والعمل الصالح .

{لا يشركون بى شيئاً} أى : لا يعبدون إلهاً غيرى ، وقيل : لا يراؤن بعبادتى ، وقيل : لا يخافون غيرى(٩) .

وبعد ذلك : يذكر الله تعالى ٠٠ المحاذير الثلاثة ، التى ينبه عباده عليها وينفرهم عنها ، ويبعدهم من مخاطرها . وهى(٢٦) .

١- خطر العصاة فى الصف الإسلامى .

يقول تعالى {٠٠ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} والكفر هنا : من الكفران ، وليس من الكفر الذى هو ضد الإيمان(٨) .

أى : أنه بمعناه اللغوى : وهو ستر الشئ .

وعنى بالكافر : الساتر للحق .

ولذلك : صار فاسقاً .

وعلى ذلك ٠٠ فمن جحد حق الله : فقد فسق عن أمر ربه بظلمه(٢٨) .

أى : ومن جحد وأنكر وعد الله هذا : فقد فسق عن أمر ربه .

ومن فقد الثقة فى هذا الدين ، فقد فسق فى أمر ربه .

ومن انغلق فى فهمه للأعمال الصالحة : فقد فسق فى أمر ربه .

ومن انحرف بالعبادة عن مفهومها الواسع الشامل : فقد فسق عن أمر ربه .

ومن لم يصدق وعد الله بالاستخلاف للمؤمنين فى الأرض : فقد فسق عن أمر ربه .

ومن لم يصدق وعد الله بتمكين الدين الإسلامى : فقد فسق عن أمر ربه .

ومن لم يصدق وعد الله بتبديل المؤمنين – من بعد خوفهم – أمناً : فقد فسق عن أمر ربه .

ومن يزرع الشك فى نفوس المؤمنين بهذ الوعد : فقد فسق عن أمر ربه .

ولأن هؤلاء : مصدر خطر ، ومنبع شقاء ، ودبيب عجز وهزيمة ، وشر مستطير ، ومرض عقال خطير ٠٠ بين أفراد الجماعة المؤمنة : فقد بين المولى – حرصاً منه على أوليائه – هذه الفئة المنهزمة نفسياً ، والتى تحاول زرع الهزيمة حيثما وجدت ، كشفاً لدورها ، وشلاً لفاعليتها ، حتى لا تعوق الأمة عن مسيرة النجاح والصعود لنهضتها وتحقيق آمالها .

٢- خطر الغرور ، أن يظهر من الأمة أو أفرادها ، حال الاتصاف بالمطلوب ، أو بعد تحقق الموعود .

يقول تعالى : {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون} أى : التزموا بشرع الله ، ولا تحيدوا عنه ، وأخلصوا النية والعمل لله وحده ، ولا تظنوا أن ما بكم من نعمة ، هو من عند أنفسكم ، بل هو من عند الله {وما بكم من نعمة فمن الله} [النحل ٥٣] .

وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما جاء به ، وبيّنه ، وقولوا له ولتعاليمه {سمعنا وأطعنا} [النور ٥١] ، ولا تغتروا أبداً ، ولا تقولوا مثل الذين قالوا {سمعنا وعصينا} [النور ٤٦] .

أى : أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الرسول ٠٠ راجين أن ترحموا(٢٩) .

وهذا ٠٠ ما ينبغى أن يكون عليه المسلمون ، مهما بلغوا من درجات الرقى، والتمكين ، والأمن ، صيانة لهم من الهدم ، وللبشرية من الضياع .

٣- خطر الحرب النفسية

حيث يقول تعالى : {ولا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير} .

أى : لا تظنن أيها المؤمن أن الكفار أعداءك ٠٠ يهربون من الله ، وينجون بهروبهم – من عذابه أبداً .

والحرب النفسية : أخطر كثيراً على الأمم والجيوش من حرب القنابل والدبابات ، وأسرع كثيراً فى الوصول بمن تصوب إليه الهزيمة من الصواريخ والنفاثات .

إذ هى توجه مباشرة إلى الإرادة فى الإنسان والتصميم لديه على بلوغ هدفه؛ فتفتك بعزيمته ، وتشل فاعلية رغبته ، وتحيله كافراً بمبادئه التى كان يدافع عنها ، ويحارب من أجلها ، أو على الأقل شاكاً متشككاً فيها ، وفى صلاحيتها .

وهنا : يسهل تخريبه ، وتحطيمه ، وتدميره .

بينما توجه القنابل والدبابات والصواريخ والنفاثات وغير ذلك من أعتى الأسلحة : إلى جسم الإنسان ، الذى قد تصيبه ، وقد لا تصيبه ، فإن أصابته : غذيت المبادئ التى أصيب من أجلها بدمه ، ونمت وترعرت فيمن بعده من أتباعه، وإن لم تصبه : زاده نجاحه فى النجاة من شرها والتغلب عليها إصراراً على مبادئه ودفاعاً عنها .

ومن هنا : كان حرص المولى سبحانه وتعالى على حماية أوليائه من أخطار هذه الحرب النفسية ، التى توجه إليهم من أعدائهم .

وهى : حرب ، دائبة ، مستمرة ، نشطة ، متجددة ، متلوثة ، مؤثرة – كذلك – فى كثير من النفوس .

ولهذا : كان الاهتمام والتركيز الشديد من القرآن الكريم على مواجهة هذه الحرب .

وتتمثل هذه المواجهة فى عدة أمور(٢٦) .

الأول : تجحيم هؤلاء الأعداء ، والتهوين من شأنهم .

الثانى : بيان أن الغلبة لأولاء الرحمن .

الثالث : التأكيد على أن النصر من عند الله .

الرابع : البشارة بسوء مآل ونهاية الأعداء فى الدنيا والآخرة .

وكلها تعطى الثقة الكاملة للمؤمنين ، وتزرع فى نفوسهم الحقيقية ، وتبعد عنهم شح الحرب النفسية ، مهما تجددت وتلونت أساليب هذه الحرب .

وهذا واضح غاية الوضوح فى قوله تعالى :

{لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير}.

ومن الذى يملك إبطال إعجازهم وقوتهم وجبروتهم؟

إنه بالطبع من يملك أن يجعل مأواهم النار!!

وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا :

١- فالذين كفروا ليسوا بغالبين .

٢- والذين آمنوا هم الغالبون .

٣- وأن تعجيز الكافرين ، وغلبة المؤمنين : من الله سبحانه وتعالى ، ولا يملك ذلك – فى الخالدين – إلا هو .

٤- وأن مأوى الكافرين النار .

وهى بشارة بالسوء لهم ، تتضمن البشارة الحسنى للمؤمنين ، الذين مأواهم – بفضل الله – الجنة .

وهى : آية عظيمة ، كافية فى رفع الهزيمة عن نفوس المؤمنين ، حتى لا تصيبهم ، بشتى الوسائل ، وبعديد الألوان .

وهى – كذلك – آية عظيمة كافية فى فتح أبواب النصر ، والغلبة ، والتفوق على أعداء الله سبحانه وتعالى ، أعداء المسلمن ، فى شتى مجالات التفوق والاستعلاء .

ومضمون هذه الآية واضح فى القرآن الكريم غاية الوضوح ، والتركيز عليه بالغ الاهتمام فى نقاطه الأربع .

قال الأستاذ المودودى فى تفسيره لسورة النور :

"هذا وعد من الله تعالى للمسلمين ، بأنه سيجعلهم خلفاء الأرض – أى أئمة الناس وقادتهم – والمقصود من الآية – كما أشرنا إليه من قبل – تنبيه المنافقين على أن هذا الوعد الذى قد قطعه الله تبارك وتعالى للمسلمين ، ليس الخطاب فيه لكل من ينتمى إلى الإسلام ولو إسماً ، بل إنما هو المسلمين الذى هم صادقون فى إيمانهم ، وصالحون باعتبار أخلاقهم وأعمالهم ، ومتبعون لدين الله الذى قد ارتضاه لهم ، وملتزمون لعبادته وعبوديته وحده ، وغير مشركين به شيئاً ، وأما الذين ليسوا على تلك الصفات ، وإنما يدّعون الإيمان بألسنتهم ، فلا يستأهلون هذا الوعد ؛ لأنه لم يقطع لهم ، فلا يرجون أن ينالوا نصيباً منه .

وأمر آخر يجدر بالذكر فى هذا المقام ، هو أن هذا الوعد وإن كان شاملاً للمسلمين فى جميع الأزمان ، ولكن الخطاب المباشر فيه لأولئك المسلمين الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وحقاً إن المسلمين كانوا فى حالة شديدة من الخوف أيام نزول هذا الوعد ، حتى كانوا لا يضعون سلاحهم ، وما كان دين الإسلام قد تمكن لهم ، حتى ولا فى أرض الحجاز ، ولكن هذه الحالة ما تبدلت فى عدة سنوات بحالة الأمن والرفاهية والطمأنينة فحسب ، بل تجاوز فيها الإسلام حدود جزيرة العرب ، وانتشر فى أكبر جزء من إفريقية وآسيا ، ولم ترسخ جذوره فى منبت أرومته فقط ، بل فى أكثر أقطار الأرض .

فهذا شاهد تاريخى بأن الله تعالى قد أنجز وعده فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

ب- إن هذا الوعد قد تحقق لهذه الأمة ، وهو مستمر لكل من تحقق بمواصفات الاستخلاف ، لما ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، إلى يوم القيامة . وفى رواية : حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك . وفى رواية – حتى يقاتلون الدجال – وفى رواية – حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم ظاهرون) قال ابن كثير : وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينهما .

جـ- إن الاستخلاف والتمكين والأمن لا تكون إلا بعد خوف ، واستمرار على الحق ، واستمرار على الإيمان والعمل الصالح ، حتى يأتى النصر ، والذى نلاحظه أن كثيراً من المسلمين إذا جاء الخوف تركوا وانعزلوا ، وأن كثيرين ليسوا متحققين بشروط الاستخلاف ، ومن ثم نرى أن النصر يبطئ على حملة دعوة الله ، والرجاء من أهل الإسلام أن يتحققوا ويتسمروا .

د- فى هذه الآية معجزة من معجزات القرآن ؛ إذ أنها تحدثت عن غيب ووقع .

وها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فنسأله الإيمان به وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذى يرضيه عنا

## ثانى عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- أنظر : السخاوى / جمال القراء ٣٧/٠٠

الفيروزابادى / بصائر ذوى التمييز ٣٣٤/١

القرطبى / الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة النور)

القاسمى / محاسن التأويل ( " " " )

٢- ذكرت هذه المادة فى هذه السورة ٧ مرات فى الآيتان [٣٥ ، ٤٠] .

٣- القاسمى (مصدر سابق)

٤- سيد قطب / فى ظلال القرآن(سورة النور – تفسير الآية ٣٥)

٥- أنظر : مكى بن أبى طالب / التبصرة ص ٢٧٢

السخاوى / جمال القراء ٢٠٩/١

الفيروزابادى (مصدر سابق)

الآلوس / روح المعانى (تفسير سورة النور)

نثر المرجان ٥٨٩/٤

٦- المودودى / تفسير سورة النور ص ٧

٧-

٨- الآلوس / روح المعانى (تفسير سورة النور)
٩- القرطبى (مصدر سابق)
١٠- سعيد حوى / الأساس ( " " " )
١١- المراغى / تفسير المراغى ( " " " )
١٢- الزمخشرى / الكشاف (تفسير النور٠٠الآية١١)
١٣- رواه : البخارى ٠٠ ك النكاح ، "لا يخطب على خطبة أخيه" .
١٤- رواه : أبو داود ٠٠ ك الأدب ، باب "فى حسن الظن" .
١٥- رواه : مسلم ٠٠ ك البر ، باب "تحريم الغيبة ، وأبو داود ٠٠ ك الأدب ، باب "فى الغيبة" ، الترمذى ٠٠ ك البر .
١٦- رواه : البخارى ٠٠ ك الرقاق ، باب "حفظ اللسان" .
١٧- رواه : مسلم ٠٠ ك البر ، باب "تحريم ظلم المسلم" .
١٨- الفخر الرازى / التفسير الكبير (النور ٠٠ تفسير الآية ٢٣)
١٩- الزمشخرى (مصدر سابق) ( " " " )
٢٠- د/عبد الحى الفرماوى / المسلمون بين الأزمة والنهضة ص٣٣
٢١- أنظر : د/عبد الحى الفرماوى زاد الدعاة ط بحث : صلة الأرحام
٢٢- ابن هشام / السيرة النبوية ٢/٢١٤
٢٣- أنظر : القاسمى / محاسن التأويل (تفسير سورة النور)
٢٤- رواه : أبو داود ٠٠ ك ٠٠٠ ، باب "القنوت فى الوتر" .
٢٥- وهو حديث سمرة بن جنوب ٠٠ رواه البخارى ٠٠ ك التعبير ، باب "٠٠٠ الرؤيا بعد صلاة الصبح" .
٢٦- أنظر ذلك بتوسع فى كتابنا "المسلمون بين الأزمة والنهضة" الطبعة الخامسة".
٢٧- ابن كثير / تفسير القرآن العظيم (النور:تفسير الآية ٥٥)
٢٨- الأصفهانى / المفردات (كتاب : الكاف)
٢٩- أبو السعود / إرشاد العقل السليم (تفسير النور٠٠الآية ٥٦)

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الفرقان

## أولاً:اسم السورة

**١ – تسمى بــ"الفرقان"**
**وذلك : لافتتاحها بذكر "الفرقا،" ، فى قوله تعالى :**
**{تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الآية ١] .**
**ويلاحظ أن كلمة "الفرقان" ٠٠ قد وردت فى آيات القرآن الكريم – غير هذه الآية – خمس مرات ، ولكن هذه المرة هى التى افتتحت بها سورة من سور القرآن الكريم .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها : ٧٧ سبع وسبعون آية(٢) .**
**كلماتها : ٨٧٢ ثمانمائة وثنتان وسبعون كلمة .**
**حروفها : ٣٧٣٣ ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً .**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ– فى المصحف ٠٠ بعد : سورة "النور" ، وقبل : سورة "الشعراء" .**
**ب– فى النزول ٠٠ بعد : سورة "يس" ، وقبل : سورة "فاطر" .**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم يعثر على سبب نزول لها .**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة مكية ٠٠ إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة**
**وهى : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .**

## سادساً : فضل السورة

**لم نعثر على آثار خاصة فى ذلك لهذه السورة .**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**نزلت بعد سورة يس .**

**ومناسبتها لما قبلها من وجوه(٣) :**

**(١) إنه سبحانه اختتم السورة السابقة بكونه مالكاً لما فى السموات والأرض مصرفاً له على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة مع النظام البديع والوضع الأنيق ، وأنه سيحاسب عباده يوم القيامة على ما قدموا من العمل خيراً كان أو شراً ، وافتتح هذه بما يدل على تعاليه فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى حبه لخير عباده بإنزال القرآن لهم هادياً وسراجاً منيراً .**

**(٢) اختتم السورة السابقة بوجوب متابعة المؤمنين للرسول صلى الله عليه وسلم مع مدحهم على ذلك وتحذيرهم من مخالفة أمره خوف الفتنة والعذاب الأليم ، وافتتح هذه بمدح الرسول وإنزال الكتاب عليه لإرشادهم سبيل الرشاد ، وذمّ الجاحدين لنبوته بقولهم : إنه رجل مسحور ، وإنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق إلى آخر ما قالوا .**

**(٣) فى كل من السورتين وصف السحاب وإنزال الأمطار وإحياء الأرض الجرز فقال فى السالفة : {ألم تر أن الله يزجى سحاباً الخ} ، وقال فى هذه : {وهو الذى أرسل الرياح بُشراً} الخ .**

**(٤) ذكر فى كل منهما وصف أعمال الكافرين يوم القيامة وأنها لا تجزيهم فتيلاً ولا قطميراً فقال فى الأولى : {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الخ} وقال فى هذه : {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً} .**

**(٥) وصف النشأة الأولى للإنسان فى أثنائهما فقال فى الأولى : {والله خلق كل دابة من ماء} وفى الثانية : {وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً} .**

## ثامناً : هدف السورة

**ويتمثل هدف هذه السورة فى النقاط التالية :**

**١) بيان عالمية هذا الدين .**

**٢) تقوية دعائم الإيمان بهذا الدين .**

**٣) عرض .... المطلوب لإتباع هذا الدين .**

**أولاً : عالمية هذا الدين .**

**يقول الله تعالى :**

**{تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الآية ١] .**

ويقول تعالى :
{وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً} [الآية ٥٦] .

ثانياً : تقوية وتعميق دعائم الإيمان بهذا الدين
أنظر "الوحدانية – النبوة – المعاد" بالصفحات التالية :
الوحدانية :
{الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الآية ١] .
{الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً} [الآية ٢] .
{ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاءَ لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً؟} [الآيتان ٤٥ ، ٤٦] .
{الذى جعل لكم الليل لباساً واليوم سباتاً وجعل النهار نشوراً} [الآية ٤٧] .
{الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً * لنحيى به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى ...} [الآيتان ٤٨ ، ٤٩] .
{الذى مرج البحرين هذا عذب فرات ، وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً} [الآية ٥٢] .
{الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل خبيراً} [الآية ٥٩] .
{الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً} [الآية ٦١] .
{الذى جعل الليل والنهـــار خلقه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً} [الآية ٦٢] .
النبوة
١) اعترضوا على الوحى
{قال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون} [الآية ٤].
فرد الله عليهم بقوله :
{فقد جاؤا ظلماً وزوراً} [الآية ٤] .
{وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً} [الآية ٥] .
فرد الله عليهم بقوله :
{قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً} [الآية ٦] .
٢) اعترضوا على بشرية الرسول وفقره ، وادعوا أنه مسجور :
{وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً} [الآيتان ٧ ، ٨] .
فرد الله عليهم بقوله :
{انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً * تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً} [الآيتان ٩ ، ١٠] .
وبقوله :
{وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً} [الآية ٢٠] .
٣) اعترضوا على عدم كون الرسول ملكاً فقالوا

{لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا} [الآية ٢١] .
فرد الله عليهم بقوله :
{لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ويوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولن حجراً محجوراً} [الآيتان ٢١ ، ٢٢] .
ثم بين تعالى السبب الحقيقى لاعتراضاتهم هذه كلها
فقال :
{بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً} [الآية ١١].
٤) اعترضوا على كيفية إنزال القرآن فقالوا :
{لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة} [الآية ٣٢] .
فرد الله عليهم بقوله :
{كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً} [الآيتان ٣٢ ، ٣٣] .
أولاً : فى صورة مقابلات بين المواقف
أ- {... وأعتدنا لمن كذب بالساعة * إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً *
قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقين كانت لهم جزاءً وبصيراً * لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً} [الآيات ١١-١٦] .
ب- {... لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً * وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً * أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً} [الآيتان ٢٣ ، ٢٤] .
ثانياً : فى صورة عرض بعض مشاهد يوم القيامة
{ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً * الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً * ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً} [الآيات ٢٥-٢٩] .
ثالثاً : عرض الأنموذج المطلوب لاتباع هذا الدين
تقديم : لما ذكر الله تعالى جهالات المشركين وطعنهم فى القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين أيضاً ، وذكر صفاتهم ، وأضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم .
فقال : {وعباد الرحمن الذين....} [الآيات ٦٣-٧٤] .

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من : مقدمة ، ومجموعتين من الآيات
فالمقدمة .. عبارة عن (٣) آيات .
من الآية (١) حتى نهاية الآية (٣) .
وفيها : الحديث عن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنزال القرآن عليه ، لينذر العالم كله .
وبيان كيف كان الناس جميعاً عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم قد عبدوا غير الله ..؟
والمجموعة الأولى .. عبارة عن (٢٨) آية .
من الآية (٤) حتى نهاية الآية (٣١) .

وفيها : عرض مواقف الكافرين من القرآن الكريم ، وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرد عليهم فى مواقفهم هذه .

والمجموعة الثانية .. عبارة عن (٤٦) آية .

من الآية (٣٢) حتى نهاية الآية (٧٧) وهى خاتمة السورة .

وفيها :

عرض شبهة للكافرين حول القرآن والرد عليها .

ثم عرض موقف الكافرين من الرسول ، والرد عليها .

ثم عرض وضع شركى ، والرد عليه .

ثم : تقرير التوحيد ، وتبيان مهمة الرسول ، وما ينبغى أن يقوله ، وما ينبغى أن يكون عليه حاله .

ثم يعرض لنفور المشركين من عبادة الله ، وتعرض فى مقابل ذلك : حال عباد الله .

ويختم بتوجيه كلام للكافرين .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وأبرز موضوعات هذه السورة هى :

(١) إثبات النبوة والوحدانية ، والنعى على عبدة الأصنام والأوثان ، وإثبات البعث والنشور وجزاء المكذبين بذلك مع ذكر شبهاتهم التى قالوها فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى القرآن ثم تفنيدها .

(٢) قصص بعض الأنبياء السالفين وتكذيب أممهم لهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

(٣) العجائب الكونية من مد الظل وجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً وإرسال الرياح مبشرات بالأمطار ومروج البحرين : العذب الفرات ، والملح الأجاج ، وجعل البروج فى السماء ، وجعل الليل والنهار ٠٠٠ لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً .

(٤) الأخلاق والآداب من قوله : وعباد الرحمن إلى آخر السورة .

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

١) فى قوله تعالى :

{تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الآية ١] .

نلاحظ أن بدء النبوة كان بعد إذ أصبح الناس كلهم كافرين ، وأن ختم النبوة كان برسالة محمد إذ أصبح الناس كلهم كافرين ، ومن حكم ختم النبوة أن البشرية لن تعود مرة ثانية إلى أن تصبح كافرة ، ففى الحديث (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله) ثم إن القرآن الذى يقوم بعملية النذارة والبشارة محفوظ إلى قيام الساعة ؛ ومن ثم فلا حاجة إلى بعثة جديدة ، وإنما حاجة إلى تجديد ، وهذا يقوم به أولياء هذه الأمة وعلماؤها "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر دينها(٦).

٢) فى قوله تعالى :

{وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً} [الآية ٣٠] .

هذه الآية ، وإن كانت من الشمركين ، وإعراضهم هو وعدم إيمانهم ، إلا ... الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به ، والأخذ ...، الذى هو حقيقة الهجر . لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك . إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها، ولا يتدبرها إلا ما من يقوم بها ويتمسك بأحكامها .

ومن "فوائد" الإمام ابن القيم رحمه الله . قوله فى هذه الآية : هجر القرآن أنواع :

أحدهما : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه .

والثانى : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمن به.

والثالث : هجر تحكيمه والتحاكم إليه فى أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين ، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .

والرابع : هجر تدبره وتفهمه ، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه .

والخامس : هجر الاستشفاء والتداوى به فى جميع الأمراض وأدوائها . فيطلب شفاء دائه من غيره ، ويهجر التداوى به .

قال : وكل هذا داخل فى هذه الآية ، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

وفى "الإكليل" : إن فى الآية إشارة إلى التحذير من هجر المصحف وعدم تعاهده بالقراءة فيه . وكذا قال أبو السعود : فيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن ، كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم . ثم قال : وفيه من التحذير ما لا يخفى . فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم ، عجل لهم العذاب ولم يُنظروا .

٣) فى قوله تعالى

{ولقد صرفنا بينهم ليذكروا } ٠٠٠ أى المطر [الآية ٥٠] .

من معجزات الإسلام ما قاله ابن عباس وابن مسعود كما نقله عنهما ابن كثير : "ليس عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : {ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً} إن هذا المعنى الذى ذكره ابن مسعود وابن عباس هو الذى يثبته علماء الكون الآن ، إذ يقولون إن نسبة التبخر والأمطار فى العالم لا تزيد ذرة فى عام من عام لأن الحرارة التى تأخذها الأرض سنوياً لا تزيد ولا تنقص ، وإنما المطر ينزل فى مكان ما أكثر من مكان ، وهذا عين ما أثبته بن مسعود وابن عباس فى تفسيرهما للآية(٤) .

وفى الآية كذلك معنى عميق جداً ، وسر من أسرار كفر الكثيرين ، إن كثيرين من الناس يعللون الأشياء على أنها ظواهر طبيعية ، فالمطر ينزل بسبب مجموعة من العوامل الطبيعية ، والنبات يخرج بسبب مجموعة من العوالم الطبيعية ، ونحن لا ننفى القوانين والأسباب ، ولكنا نقول إن كل شئ يعلم الله وإرادته وقدرته ، فأن يزعم أنه لا تدخل لله فى ظواهر الكون فذلك كفر ، والآية فى شطرها الأخير تشير إلى هذا النوع من الكفر . قال عكرمة : يعنى الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، وهذا الذى قاله عكرمة ورد فى الحديث المخرج فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوماً على إثر سماء أصابتهم من الليل (أتدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : "أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، أما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى كافر بالكواكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بى مؤمن بالكواكب") .

٤) فى قوله تعالى :

{وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً} [الآية ٦٣] .

قال ابن كثير : "وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياءً ، فقد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وكأنما الأرض تطوى له . وقد كره بعض السلف المشى بتضعف وتصنع ، حتى

روى عن عمر أنه رأى شاباً يمشى رويداً فقال ما بالك أنت مريض ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالدرة وأمره أن يمشى بقوة ، وإنما المراد بالهو هنا السكينة والوقار ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وائتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا) . وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمر بن المختار عن الحسن البصرى فى قوله : {وعباد الرحمن} الآية قال : إن المؤمنين قوم ذلل ، ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وما بالقوم من مرض ، وإنهم – والله – لأصحاء ، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولا تعاظم فى نفوسهم شئ طلبوا به الجنة ، ولكن أبكاهم الخوف من النار ، إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله نعمة إلا فى مطعم أو مشرب ، فقد قل علمه وحضر عذابه) .

٥) فى قوله تعالى :

{والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين} قال ابن كثير: "يعنى الذين يسألوه الله أن يخرج من أصلا بهم ومن ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له ، قال ابن عباس : يعنون من يعمل بطاعة الله ، أرادوا أن يكونوا مطيعين . وسئل الحسن البصرى عن هذه الآية فقال : "أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن جميعه طاعة الله ، والله لا شئ أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولد ولد أو أخاً أو جميعاً مطيعاً لله" .

قال ابن جريج فى قوله : {هب لنا من أزوجنا وذرياتنا قرة أعين} قال : يعبدونك فيحسنون عبادتك ، ولا يجرون علينا الجرائر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن .... : يعنى يسألون الله تعالى لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام ، وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبير بين نقير عن أبيه قال : جلسنا إلأى المقداد بن الأسود يوماً فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لوددنا أنا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ، فاستغضب المقداد ، فجعلت أعجب لأنه ما قال إلا خيراً ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه ، لا يدرى أو شهده كيف يكون فيه ، والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواماً أكبهم الله على مناخرهم فى جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعروفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم ، قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ لقد بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم على أشر حال بعث عليها نبياً من الأنبياء ، فى فترة جاهلية ، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافر ، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان ، يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار ، وإنها التى قال الله تعالى : {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين} وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه(٤) .

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- الفيروزابادى / بصائر ذوى التمييز ٣٤٠/١

٢- أنظر : مكى بن أبى طالب / التبصرة ص ٢٧٥

السخاوى / جمال القراء ٢٠٩/١

الفيروزابادى (مصدر سابق)

الآلوس / روح المعانى (تفسير:سورة الفرقان)

نثر المرجان ٦٧٢/٤

٣- المراغى / تفسير المراغى (تفسير:سورة الفرقان)

٤- سعيد حوى / الأساس فى التفسير ( " " " )

٥- رواه : أبو داود ..ك الجهاد .

٦- أنظر : السيوطى / الجامع الكبير عن أبى هريرة

٧- القاسمى / محاسن التأويل (تفسير: سورة الفرقان)

٨- رواه : مسلم .

٩- رواه : البخارى ..ك ....، مسلم ..ك الماجد ، أبو داود ٠٠ ك الصلاة ، النسائى ..ك الإمامة ، ابن ماجه ..ك الماجد .

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الشعراء

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بما يلي :-**

**١- سورة الشعراء (١) .**
**وذلك : لأن الله تعالى قد ختمها بأحوال الشعراء ، ردا على المشركين ، في زعمهم : أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان شاعرا ؛ وأن ما جاء به إنما هو من قبيل الشعر ، بقوله تعالى {والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون} ٠٠ [الآيات ٢٢٤-٢٢٦] .**
**حيث فارق بين الشعر والقرآن ، وأثبت للأخير : علو مقامه ، واستقامة مناهجه ، وعز مرامه ، وصدق وعده ووعيده ، وعدل تبشيره وتهديده (٢).**
**وللإشارة : إلى اختصاص السورة بتمييز الرسل عن الشعراء ؛ لأن الشاعر ٠٠ إن كان كاذبا : فهو رئيس الغواة ، لا يتصور منه الهداية ٠٠ وإن كان صادقا : لا يتصور منه الافتراء على الله (٣).**
**وللإشارة كذلك : إلى أن ذكر الشعراء فيها ٠٠ لبيان أنهم في معزل عن الرسالة ، وتبرئة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم عما افتروا عليه من أنه شاعر (٣).**
**٢- الجامعة .**
**فقط وقع في تفسير الإمام مالك ، تسميتها بـــ (الجامعة)**
**(٤) ويبدو أنها سميت بذلك : لأنها جمعت من الموضوعات الشيء الكثير ، أو جمعت من قصص الأنبياء – عليهم السلام – الكثير ، والله أعلم .**
**٣- طسم الشعراء (٥) .**
**وذلك : لبيان المغايرة بينها وبين "طسم القصص" .**
**١ويذكر الإمام البقاعي – لهذه السورة – اسما ثالثا ، وهو :**
**٣- الظلة (٢).**
**وذلك : من قوله تعالى {فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم} [الآية ١٨٩].**
**ويلاحظ : أن {عذاب يوم الظلة} ، الذي أخذ {أصحاب الأيكة} وأهلكهم لما كذبوا نبي الله شعيب عليه السلام ٠٠ لم يذكر في غير هذه السورة – بهذا اللفظ وهذه الصيغة – من سور القرآن الكريم .**
**ويبدو كذلك : أن هذا الاسم ٠٠ للإشارة إلى أن الله تعالى أحرق من الظلة لمن يبارزه بعصيانه (٢) .**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها (٦) : (٢٢٧) مائتان وسبع وعشرون آية وكلماتها (١٢٧٧) الف ومائتان وسبع وسبعون كلمة ، حروفها (٥٥٤٢) خمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفا.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف ٠٠ بعد سورة "الفرقان" وقبل : سورة "النمل" .**
**ب- في النزول ٠٠ بعد : سورة "الواقعة"، وقبل : سورة "النمل"**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على أثر في ذلك .**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة : مكية.. إلا الآيات من قوله تعالى {والشعراء يتبعهم الغاوون ..} إلى آخر السورة ..فمدنية .**

## سادساً : فضل السورة

**ورد في فضل هذه السورة :**
**أ- عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**
**(( أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة : من الذكر الأول ، وأعطيت "طه" و"طسم" من ألواح موسى ، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة : من تحت العرش ، وأعطيت المفصل : نافلة ))(٧) .**
**ب- وعن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( إن الله أعطاني السبع الطوال : مكان التوراة ، وأعطاني المئين : مكان الإنجيل ، وأعطاني الطواسين : مكان الزبور ، وفضلني بالحواميم والمفصل ؛ ما قرأهن نبي قبلي ))(٨).**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**لهذه السورة علاقة وثيقة بما قبلها وبما بعدها .**
**أ- فعلاقتها بما قبلها تتضح فيما يلي :-**
**(١) أنهما بدئتا بمدح الكتاب العزيز .**
**فإذا كان تعالى يقول في فاتحة الفرقان مدحا في هذا الكتاب {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا}**
**فإنه تعالى يقول في صدر الشعراء {تلك آيات الكتاب المبين} .**
**(٢) أنهما ختمتا بالوعيد والتهديد للمكذبين .**
**فإذا كان تعالى ختم الفرقان بقوله {قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما}.**
**فإنه تعالى ختم الشعراء بقوله {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} .**
**(٣) أن الشعراء قد بسطت وفصلت بعض ما أجمل في سورة الفرقان (٩).**

***

**ب- أما علاقتها بما بعدها فيتضح فيما يلي : -**

أن هذه السورة وسورة النمل بعدها وسورة القصص بعدهما كلها مبدوءة بحرف الطاء ، والذي لا يظهر في فواتح سور القرآن بعد ذلك .

وهذه السور الثلاث تتشابه بداياتها إلى حد كبير – ليس في الأحرف فقط ، بل – في الافتتاح :

فسورة الشعراء بدايتها {طسم تلك آيات الكتاب المبين} .

وسورة النمل بدايتها {طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين}.ش

وسورة القصص بدايتها {طسم تلك آيات الكتاب المبين} .

مما يوحي بأن هذه السور الثلاث :

تصب في بحر واحد ، وتتحدث عن محور واحد ، وتدور في فلك واحد مع احتفاظ كل سورة بخصائصها ، ومواصفاتها ، وأسلوبها (١٠).

## ثامناً : هدف السورة

ؤمن بين ما تهدف إليه هذه السورة الكريمة :

(١) بناء الجماعة المسلمة على التقوى .

(٢) بناء الجماعة المسلمة على الطاعة .

(٣) التنفير من الظلم وتهديد الظلمة .

وتتعانق موضوعات وقصص السورة الكريمة في توضيح هذه الأهداف وترسيخها في النفوس .

وفي الوقت نفسه فهذه الأهداف من الأمور الضرورية جدا في بناء أفراد هذه الأمة بل في بناء الأمة ذاتها .

وكانت هذه الأمور مما تركز عليه السورة بهذا الشكل الواضح :

أ- لأن التقوى هي مطلب الله تعالى من كل عبد ؛ إذ الإسلام مجموعة أحكام الله في كل شيء ، ولكن ما يطالب الله به كل مسلم من هذا الإسلام – وما به تستقيم هذه الأحكام – هو التقوى (١٠) .

والتقوى : علاقة بين العبد وربه .

وهدف دعوات الرسل جميعا : توصيل الناس في علاقتهم مع ربهم إلى التقوى .

ولهذا نلاحظ : أن مادة "التقوى" وردت (١٧) مرة تقريبا في السورة بل في كل قصة من قصص السورة ما عدا قصة إبراهيم عليه السلام ، و وردت كلمة {ألا يتقون} ففي قصة موسى {أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون}

وفي قصة نوح {ألا تتقون} .

وفي قصة هود {ألا تتقون}.

وفي قصة صالح {ألا تتقون}.

وفي قصة لوط {ألا تتقون} .

وفي قصة شعيب {ألا تتقون}(١٠).

هذا ..

ب- ولأن المسلم جزء من جماعة ..!!

ولأن مظهر التزامه بالجماعة هو الطاعة ..!!

فهناك تلازم بين التقوى والطاعة (١٠).

نلاحظ ذلك في :

قول نوح لقومه {فاتقوا الله وأطيعون} مرتين [الآيتان ١٠٨، ١٠٩]

وقول هود لقومه {فاتقوا الله وأطيعون} مرتين [الآيتان ١٢٦ ، ١٣١]
وقول صالح لقومه {فاتقوا الله وأطيعون} مرتين [الآيتان ١٤٤ ، ١٥٠]
وقول لوط لقومه {فاتقوا الله وأطيعون} مرة [الآية ١٦٣]
وقول شعيب لقومه {فاتقوا الله وأطيعون} مرة [الآية ١٧٩]
بل نلاحظ في قول صالح عليه السلام {فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون} [الآيات ١٥٠-١٥٢]
ما يفيد أن الطاعة :
ينبغي أن تعطى للرسول صلى الله عليه وسلم كاملة .
كما ينبغى أن لا تعطي لكل مسرف مفسد غير مصلح .
***
وموضوع الطاعة الذي ركزت عليه السورة : من أخطر مواضيع العصر .
فنادرا ما نجد مسلما يضع الطاعة في محلها .
فهو :
إما متمرد على كل شيء .
أو مطيع لمسرف .
أو يرفض الطاعة لأن أحد .
أو لا يعرف لمن يعطي الطاعة .
إن الطاعة في الإسلام : يجب أن تعطى :
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرائه الذين أمرهم .
ثم لخلفائه الراشدين ، ومن أمره الخلفاء الراشدون .
ثم لجماعة المسلمين وإمامهم ، حيث وجد للمسلمين جماعة وإمام .
ولا يجوز أن تعطى منى مسلم : لكل صاد عن سبيل الله غير ملتزم بالإسلام (١٠).
جـ- وإذا توافرت التقوى في أفراد المجتمع الإسلامي ..!!
وإذا سادت الطاعة وأصبحت السمة الرئيسية في المجتمع الإسلامي ..!!
فلا محل للظلم وأهله بين هؤلاء .
ومن هنا : كان تركيز السورة على إعلان الحرب على الظلم ، وتهديد أهله
نلاحظ ذلك جيدا في إرسال كل رسول لمقاومة الظلم والانحراف .
فقصة موسى : (٥٩ آية)
تبرز انحراف مجتمع فرعون وظلمه في تعسفه في المعاملة البشرية .
وقصة إبراهيم : (٣٦ آية)
تبرز انحراف المجتمع وظلمه لنفسه في عبادة الأوثان .
وقصة نوح : (١٨ آية)
تبرز انحراف المجتمع وظلمه لنفسه في عبادة الأوثان كذلك .
وقصة هود : (١٨ آية)
تبرز انحراف مجتمع عاد وظلمه في الاعتزاز بالقوة المادية والطغيان بها وبسببها .
وقصة صالح : (١٩ آية)
تبرز انحراف مجتمع ثمود وظلمهم في سوء توزيع الثروات .

وقصة لوط : (١٦ آية)
تبرز انحراف مجتمع لوط وظلمهم وشذوذهم في المعاملة الجنسية .
وقصة شعيب : (١٦ آية)
تبرز انحراف أهل مدين وظلمهم وإجحافهم في المعاملات المالية (١١).
ولاحظ وضوح هذا الهدف في قول الله تعالى {وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين * قوم فرعون} [الآيتان ١٠ ، ١١]
ولما كانت صور الظلم هذه كلها موجودة في دنيا الناس من لدن محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الساعة ..!!
ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة ..
كان التركيز على حرب الظلم وأهله واضحا في كتاب الله ، ولذا نراه واضحا في أسلوب التهديد الذي يناسب الظلمة ويطاردهم في مقدمة السورة وفي خاتمتها .
ففي المطلع {فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون} [الآيات ٦-٨]
وفي الخاتمة {كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرايت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون }[الآيات ٢٠٠- ٢٠٧]
وللرغبة في بقاء هذا الهدف ماثلا في الذهن ، باقيا أثره في النفس كان ختام السورة بتهديد الظلمة في كل عصر وبيئة وعلى أية صورة كان هذا الظلم .
إذ يقول تعالى {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون }.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تنقسم هذه السورة إلى : مقدمة ، ومجموعة من القصص النبوي ، وخاتمة (١٠).
أما المقدمة .. فهي عبارة عن (٩)آيات .
وفيها : الحديث عن القرآن ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن تكذيب القوم له ، وتهديدهم ، وإقامة الحجة عليهم .
ثم تختم بقوله تعالى {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم}.
وأما مجموعة القصص النبوي .. فهي عبارة عن (١٨٢) آية ، وتتكون من قصص سبع .
قصة موسى عليه السلام .
وقصة إبراهيم عليه السلام .
وقصة نوح عليه السلام .
وقصة هود عليه السلام .
وقصة صالح عليه السلام .
وقصة لوط عليه السلام .
وقصة شعيب عليه السلام .
ويلاحظ : أن كل قصة منها تختم بقوله تعالى {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم} .
وأما خاتمة السورة .. فهى عبارة عن (٣٦) آية .
وفيها : الحديث عن القرآن ، والرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن تكذيب القوم له ، وتهديدهم ، وإقامة الحجة عليهم .

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

موضوع السورة الرئيسي : هو موضوع السور المكية جميعها (١٢).
وهي موضوعات : العقيدة ؛ من توحيد الله ، والبعث ، والإيمان بالكتاب والرسل ٠٠ إلخ
يضاف إلى ذلك (١٣):
تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم .
الاستدلال بالآيات الكثيرة على وجود الإله وقد تكرر قوله تعالى {إن في ذلك لآية } (٨)مرات .
قصص الأنبياء مع أممهم لبيان العبرة .
إثبات أن القرآن وحي من الله لا كلام تنزل به الشياطين .
بيان أن محمدا ليس بكاهن ولا شاعر .
التهديد والوعيد للظلمة وعباد الأوثان والمنحرفين عن سواء السبيل .

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- في قوله تعالى {واتل عليهم نبأ إبراهيم}[الآيات ٦٩-١٠٤]
قال الزمخشري :
وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم . ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع . وعلى تقليدهم آبائهم الأقدمين ، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة ، فضلا أن يكون حجة .
ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا ، فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه ، إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته . ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين ، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين .
ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه ، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ، وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا .
ثم بين سبحانه أن الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ، ينظرون إليها ويغتبطون بأنهم المحشورون إليها . والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها (١٤).
٢- في قوله تعالى {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}[ الآية ٢٢٧ ]
الآية فيها : تنفير من الظلم وتخويف منه ، وإبعاد عنه .
والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له .
وقد وردت المادة (٢٨٩) مرة في القرآن الكريم (١٥) وقد يكون : للنفس .
ومن ذلك ( اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي ٠٠٠) (١٥) في الأمور المعنوية ، وقد يكون للغير روي عن مجاهد أنه قال "المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة (١٦)" في التعاملات المادية {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون}[ البقرة ٢٧٨ ، ٢٧٩] ولا ظلم بين المسلمين .
عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه : كان الله في حاجته .
ومن فرج عن مسلم كربة : فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة .

ومن ستر مسلما : ستره الله يوم القيامة ))(١٧).

٣- رد المظالم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (( من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء : فليستحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم .

إن كان له عمل صالح : أخذ منه بقدر مظلمته .(١٧)

وإن لم تكن له حسنات : أخذ من سيئات صاحبه محمل عليه )).

***

عن صفوان بن محرز المازني قال : بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (١٧) :

(( إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك : قال سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم .

فيعطى كتاب حسناته .

وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين }[هود ١٨] ))

٤- في الحكم

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كتب أبي في وصيته سطرين :

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب ٠٠ إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل : فذاك ظني به ورجائي فيه ، وإن يجر ويبدل : فلا أعلم الغيب {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} (١٠)".

وفي بهجة البالس ٣٦٨/١ وقال كعب لعمر بن الخطاب "ويل لسطان الأرض من سلطان السماء " فقال عمر : "إلا من حاسب نفسه" (١٦) .

وقال الشاعر :

إذا جار الأمير وكاتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

٥- دعوة المظلوم :

قال صلى الله عليه وسلم : (( اتق دعوة المظلوم : فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ))(١٧).

وفي صحف إبراهيم "اتق دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين" .

ويقول الشاعر (١٦) :

نامت جفونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

٦- عقوبة الظلمة .

عند الموت .

{ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ٠٠٠}[الأنعام ٩٣] .

عند معاينة العذاب .

{وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل * وتراهم يعرضون علهيا خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب
مقيم }[الشورى ٤٤ ،٤٥] .

{ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة}[يونس ٤٧].

{يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار}[غافر ، ٥٢]

عند الجزاء .

{إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا}[الكهف ٢٩]

{ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ٠٠٠} [إبراهيم ، ٤-٥٢]

وقوله تعالى : {ألم تر أنهم في كل واد يهيمون} استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون ، وتقرير له .

أي ألم تر أنهم في كل واد من أودية الخيال يهيمون على وجوههم ، لا يقفون عند حد معين ، بل يركبون للباطل والكذب وفضول القول كل مركب .

دينهم الهجاء ، وتمزيق الأعراض ، والقدح في الأنساب ، ومدح من لا يستحق المدح ، والغلوّ في الثناء والهجاء .

ثم استثنى تعالى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله :

{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} .

{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا} أي : في شعرهم ، بأن كان غالبه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والآداب الحسنة {وانتصروا} أي بشعرهم على عدوّهم بأن هجوه {من بعد ما ظلموا} أي فكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ، جزاء وفاقا .

قال تعالى : {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم} [النساء ١٤٨]

وقال تعالى : {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم } [البقرة ١٩٤]

قال ابن كثير : وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان (١٨) :

(( اهجهم ، أو قال هاجهم ، وجبريل معك )) .

ويروي الإمام أحمد (١٩) عن كعب بن مالك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (( إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه . والذي نفسي بيده ! لكأن ما ترمونهم به نضح النبل )).

في قوله تعالى {والشعراء يتبعهم الغاوون}[ الآية ٢٢٤ ] ذم الشعر ، والمبالغة في المدح والهجو وغيرهما من فنونه ، وجوازه في الزهد والأدب ومكارم الأخلاق وجواز الهجو لمن ظلم انتصارا . انتهي .

وحكى الزمخشري عن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له : إن صدري ليجيش بالشعر .

فقال : فما يمنعك منه فيما لا بأس به ؟ والقول فيه : إن الشعر باب من الكلام ، محسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام .

قال ابن كثير : لكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار ؟ وفي ذلك نظر .

ولم يرو فيه إلا مرسلات لا يعتمد عليها . والله أعلم .

ولكن الاستثناء دخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ، ثم تاب وأناب ورجع وأقلع ، وعمل صالحا ، وذكر الله كثيرا ، في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه .

كما قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى لما أسلم :

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت ، إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه وأكثرهم له هجوا .

فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتهى .

وقوله تعالى {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون} تهديد شديد ووعيد أكيد ، لما في {سيعلم} من تهويل متعلقه .

وفي {الذين ظلموا} من إطلاقه وتعميمه .

وفي {أي منقلب ينقلبون} من إبهامه وتهويله .

وكأنه لا يمكن معرفته ، وقد رأوا ما حاق بهم في الدنيا .

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

١- انظر : السخاوي ، الفيروزابادي ، السيوطي ، الشوكاني ، الألوسي ، القاسمي "مصادر سابقة في السور السابقة" .
٢- البقاعي / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "سورة الشعراء"
٣- القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة الشعراء"
٤- انظر : السيوطي ، الشوكاني ، الألوسي "مصادر سابقة"
٥- انظر : السخاوي ، والقرطبي، والشوكاني "مصادر سابقة"
٦- انظر : مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٧٨
السخاوي / جمال القراء ٢١٠/١
الفيروزابادي / بصائر ٣٤٤/١
الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة الشعراء"
نثر المرجان ٢/٥
٧- القرطبي / الجامع لأحكام القرآن "تفسير الشعراء "
٨- نفسه .
٩- انظر الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة الشعراء "
المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة الشعراء"
١٠- سعيد حوى / الاساس "تفسير سورة الشعراء"
١١- د/ محمد البهي / تفسير سورة الشعراء ص٧
١٢- سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة الشعراء"
١٣- المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة الشعراء"
١٤- القاسمي / محاسن التأويل "تفسير الشعراء "
١٥- محمد فؤاد عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " مادة ظلم "
١٦- أبو عمر القرطبي / بهجة المجالس وأنس المجالس ٣٦٣/١ وما بعدها
١٧- رواه : البخاري ٠٠ ك المظالم .
١٨- رواه : البخاري ٠٠ ك بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ،ومسلم ٠٠ ك فضائل الصحابة .
١٩- مسند أحمد ٤٥٦/٣ ط الحلبي

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة النمل

## أولاً:اسم السورة

**وتسمى هذه السورة بـــ :**

**١- سورة النمل (١).**

**وذلك : لاشتمال السورة على مقالة النمل، الدالة على نزاهة الأنبياء وأتباعهم عن ارتكاب المكارة عمداً.**

**وهذا : مما يوجب الثقة بهم (٢).**

**٢- سورة سليمان.(٣)**

**وذلك ــ فيما يبدو ــ لأن قصة سليمان عليه السلام، هي التي أخذت المساحة الكبيرة في السورة الكريمة، كما أنها احتوت على دلائل قدرة الله تعالى، وإنعامه على نبي من أنبيائه.**

**٣- طــس (٤).**

**وذلك ــ فيما يبدو كذلك ــ لافتتاح السورة بها؛ ولأنه لا يوجد غيرها في القرآن الكريم.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها(٥) : (٩٣) ثلاث وتسعون آية.**

**كلماتها : (١١٤٩) ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة.**

**حروفها : (٤٧٩٩) أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد : سورة "الشعــراء"، وقبل : سورة "القصص".**

**ب- في النزول.. بعد : سورة "الشعراء"، وقبل: سورة "القصص".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على أثر في ذلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

نزول السورة :
نزلت هذه السورة بمكة.
وقد نزلها قبل سورة الشعراء كما نزل بعدها سورة القصص(٦).
وهذه السور الثلاث هي :
المعروفة بالطواسين.
وهي: مكية.

## سادساً : فضل السورة

لم نعثر على آثار خاصة بها في ذلك : سوى حديث وائلة بن الأسقع، الذي سبق ذكره وتخريجه في سورة الأنعام، فانظره هناك.

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

هذه السورة متناسبة مع ما قبلها غاية التناسب.
فهي ــ فوق أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد سورة الشعراء ــ واضحة العلاقة والارتباط بها من عدة وجوه، منها(٧):
١- أنها كالتتمة لها، إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم في الشعراء من قصص الأنبياء : قصص داود وسليمان.
٢- أن فيها بسطاً وتفصيلاً لبعض القصص ــ الذي ورد ذكره في الشعراء ــ كقصص موسى ولوط عليهما السلام.
٣- أن كلاً منهما قد اشتمل على نعت القرآن، وأنه منزل من عند الله.
٤- أن فيها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من أذى قومه وعنتهم وإصرارهم على الكفر به، والإعراض عنه.
٥- أن كلاً منهما بدأت بمقدمة وانتهت بخاتمة وما بينهما موضوع قصص المرسلين، مع ما في المقدمتين والخاتمتين من تشابه.

## ثامناً : هدف السورة

لهذه السورة الكريمة ــ فيما يبدو لنا قدر طاقتنا البشرية ــ هدفان :
الأول : عرض دعوة الإسلام.

الثاني : التركيز على العلم، ولفت الأنظار لأهميته ومكانته في رحاب هذا الدين.
وفي محاولة السورة إبراز الهدف الأول نرى ما يلي(٨):
١- تركز المقدمة على بيان دعوة الإسلام بإيجاز شديد.
فهذه الدعوة : آيات للهداية وطريق للنجاة.
وهـــي : من عند الله تعالى {تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى ..}
وهـــي : دلائل هداية لمن ينتفعون بها، وبشارات خير لمن يؤمنون بها.
{هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}
وهي : نذير سوء لمن عاند وكابر ولم يخضع نفسه لموجباتها.
{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ}
٢- ثم تواجه السورة بهذه الدعوة أهل الكتاب من بني إسرائيل (وكل أهل الكتاب). ولحرص السورة على إيمانهم، أو لإلزامهم الحجة الناصعة، تذكرهم السورة ببعض أنبيائهم الذين يؤمنون بهم، والذين هم على طريق هذه الدعوة.
فتذكر لهم:
قصة موسى ورسالته إلى فرعون [الآيات ٧-١٤].
وقصة سليمان بن داود [الآيات ١٥-٤٤].
٣- ثم تواجه ــ ثانياً ــ بهذه الدعوة مشركي مكة (وكل المشركين).
ولحرص السورة على إيمانهم، أو لإلزامهم الحجة الناصعة، تسوق السورة بعض الأدلة من الوجود الطبيعي لكل ذي عقل بهدف إقناعه بهذه الدعوة.
فتذكر لهم :
أ- خلق السموات والأرض وإنزال المطر ... إلخ.
{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا....} [الآيتان ٦٠-٦١].
ب- تثبيت الأرض وإرساء الجبال فيها، وشق الأنهار خلالها، والفصل بين الماء العذب والماء الملح.
{أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا....} [الآية ٦١].
جـ- نجدة المضطر، وخلافة الإنسان على الأرض.
{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ.....} [الآية ٦٢]
د- إرسال الرياح محملة بالأمطار إلى الأماكن البعيدة عن مساقط المياه.
{أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...} [الآية ٦٣].
هـ- الخلق في بداية أمره، وإعادة ما خلقه الله بعد فنائه ... إلخ.
{أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...} [الآية ٦٤].
٤- وفي الخاتمة تبين السورة موقف الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته هذه بعد عرضها واضحة على أهل الكتاب والمشركين في هذه الفترة من تاريخ الإسلام وهي الفترة المكية.
ويتلخص موقفه بدعوته في شيئين:
أولهما : التزامه الشخصي بهذه الدعوة وما جاء فيها من عبادة الله وحده.
{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الآية ٩١].
ثانيهما : مواصلته عرض هذه الدعـوة، كما تلقاها وأوحيت إليه، دون إكـراه أو عنـف، لهـذا أو لذاك.
{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ} [الآية ٩٢].

٥- وهذه الدعوة، التي هي الإسلام في وضوحها..
وبمواجهتها لأهل الكتاب والمشركين وبثبات موقف صاحبها عليه تقصد مباشرة إلى إسلام الناس وجوههم لله تعالى.
{إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [الآيتان ٣٠، ٣١].
{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الآية ٤٤].

{وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ} [الآية ٨١].
{... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الآية ٩١].
وهذا الهدف : يبين لنا منهج القرآن في عرض دعوة الإسلام، وأسلوبه الذي يستجلب نجاح الدعاة، وبلوغ الدعوة إلى القلوب بعد فهم العقول.
* * *
هذا... وفي محاولة السورة إبراز الهدف الثاني نرى ما يلي (٩):
١- التأكيد على علم الله المطلق بالظاهر والباطن، بصفة عامة.
{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [الآية ٦]
{وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الآيتان ٧٤، ٧٥]
وفي ذلك ما فيه: من وجوب الإذعان لله تعالى، والخضوع لتشريعه وتنزيله.
٢- التأكيد على علم الله بالغيب بصفة خاصة.
{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ....} [الآية ٦٥].
وفي ذلك ما فيه : من توجيه الإنسان إلى صرف قدراته وطاقاته إلى ما ينفعه البحث فيه، ويفيده التوجه إليه، ووجوب التسليم بهذا الغيب الذي اختص الله بعلمه وأمر بالإيمان به.
٣- بيان أن ما أوتيه الإنسان من علم فهو من الله تعالى وبتوفيقه له وتعليمه إياه.
{....وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ....} [الآية ١٦].
{فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا...} [الآية ٤٢].
{.... وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [الآية ٩٣].
وفي ذلك ما فيه من إرشاد إلى عدم الاغترار بما يعلمه الإنسان مهما بلغ فيه وأوتي منه.
٤- وجوب طلب العلم الدال على موجبات الإيمان والمؤدية إليه.
{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}
٥- امتنان الله على الإنسان بفضيلة العلم.
{.... وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [الآية ٦].
{..... وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...} [الآية ١٥].
{... سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا} [الآية ٩٣].
وفي ذلك ما فيه : من الإشادة بأهمية ومكانة العلم، هذه الفضيلة والنعمة الإلهية، التي تستحق ما يلي:
٦- وجوب شكر الله تعالى على هذه النعمة.
{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ} [الآية ١٥] أي: بهذه النعمة.
ومن ألوان شكر نعمة العلم :

٧- حسن استخدام العلم.

ويكون ذلك بعمارة الكون به، وعدم الإفساد في الأرض، ونشر الدعوة بوسائله، وإقناع المعاندين بأساليبه، وتطويعه للمعاونة على طاعة الله تعالى.

{قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} [الآية ٤٠].

وفي ذلك ما فيه: من إلزام الحجة، وإقناع الخصم، وتبليغ الدعوة.

وبدون الاستخدام الطيب النافع للعلم، فإنه من المؤكد أنه......

٨- لا وزن للعلم غير النافع.

إذ إنه مع عدم الاهتداء به فهو والجهل سواء.

{.... وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الآيتان ٥٤، ٥٥] أي ما انتفعتم ببصيرتكم ولا استفدتم بعلمكم، بل أنتم والجهلة سواء بسواء.

وكذلك : فهمهما تعلمتم، ومهما فعلتم بعلمكم فلا وزن له ولا فائدة منه.

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف ١٠٣ – ١٠٥].

وغاية انحطاط علمهم عدم الوصول به إلى الإيمان باليوم الآخر وشكهم في ذلك.

{بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ} [الآية ٦٦].

هذا... وينبغي أن يكون واضحاً أن اهتمام السورة الكريمة بهذين الهدفين معاً : فيه: لفت للأنظار إلى تعانق هذه الدعوة منذ فجر تاريخها وفي سطور كتابها الخالد القرآن الكريم.

وإلى أن الإسلام قام منذ بزغ فجره على احترام العقل والدعوة إلى النظر والتأمل في الأنفس والآفاق وفي ملكوت السموات والأرض.

ومن هنا(١٠) : فإن الإسلام يرفض العداء التقليدي بين الدين والعلم.

ذاك العداء : الذي نشأ في غير بلاد الإسلام، بين الكنيسة والعلماء، حينما حجرت الكنيسة على الأفكار وعارضت العلم، وتبنت نظريات علمية قديمة، أضفت عليها القداسة والعصمة، وحاربت هنـــاك كل من انتهى بحثه إلى مخالفتها ورمته بالزندقة والإلحاد، ثم حاول المقلدون في الشرق الإسلامي أن يلصقوها بالإسلام.

وعلى ذلك(١١) : فإن قصة العزلة بين الدين والعلم لم تنبت في العالم الإسلامي، ولم يعرفها الإسلام.

وقصة تخدير الدين للمشاعر لم تكن يوماً وليدة هذا الدين، ولم تعرفها طبيعته، ولكنهم يتلقفونها تلقفاً كالببغاء، ويحاكونها محاكاة كالقردة ولا يحاولون أن يفتشوا عن أصلها ونشأتها ولا أن يعرفوا مصدرها ومورد‌ها.

ذلك : أن الدين(١٢) في الإسلام علم والعلم في الإسلام دين، كما تشهد أصول الإسلام وتاريخه جميعاً.

وهذه حقيقة شهدها وشهد بها كثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من(١٣):

مقدمة [من الآية ١ حتى نهاية الآية ٦]

وخاتمة [من الآية ٧٠ حتى نهاية الآية ٩٣ خاتمة السورة].

يتمثل فيهما موضوع السورة الذي تعالجه.

ثم محتوى السورة بين هذه المقدمة وتلك الخاتمة.

وهذا المحتوى عبارة عن فقرتين:

الفقرة الأولى: عبارة عن [٥٢] آية [من الآية ٧ حتى نهاية الآية ٥٨].

وفيها : قصص يعين على تصور موضوع السورة ويؤكده، ويبرز فيه مواقف معينة للعبرة والتدبر في سنن الله وسنن الدعوات. (قصص : موسى، داود، سليمان، صالح، لوط، عليهم السلام).

وكذلك يتحقق بهذا القصص غرض الدعوة في مواجهة أهل الكتاب من بني إسرائيل.

الفقرة الثانية : عبارة عن [١١ آية]، [من الآية ٥٩ حتى نهاية الآية ٦٩] وفيها :

بعض الأدلة من الوجود الطبيعي على وحدة الألوهية.

وحديث عن اليوم الآخر وبعض ما يكون فيه.

وبيان من محمد صلى الله عليه وسلم عن مهمته.

وبهذا : يتحقق عرض الدعوة واضحة في مواجهة المشركين في مكة، وكل من شابههم، في أي مصر، وفي أي عصر.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وموضوع السورة الرئيسي ــ كسائر السور المكية ــ هو :

العقيدة:

وهي الإيمـــان بالله، وعبادته وحده.

والإيمـــان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقـــاب.

والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه.

والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر.

والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله(١٤).

ويوضح هذا الموضوع الرئيسي ويثبته موضوعات فرعية كثيرة في السورة.

منها :(٧)

١- وصف القرآن بأنه هدى ورحمة للمؤمنين.

٢- قصص موسى وسليمان وثمود وقوم لوط.

٣- النعي على المشركين في عبادة الأصنام وإقامة الأدلة على وحدانية الله.

٤- إنكار المشركين للبعث والنشور، والرد عليهم.

٥- علم الله بما في الصدور.

٦- حكم القرآن على ما اختلف فيه بنو إسرائيل.

٧- قطع الأطماع في إيمان المشركين وتشبيههم بالعمى الصم.

٨- بعض أشراط الساعة كخروج الدابة من الأرض، وحشر فوج من كل أمة، وتسيير الجبال.

٩- الجزاء على العمل خيراً كان أو شراً.

١٠- أمر الرسول أن يوضح منهجه وموقفه {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ....}.

١١- أن الله تعالى يري المشركين آياته فيعرفونها حق المعرفة حين لا يفيدهم ذلك شيئاً.

كل القرآن سورة وآياته وكلماته : فوائد.
ونختار من سورة النمل ما يلي :
١- بمناسبة ذكر النمل في السورة :
ذكر ابن كثير، قال(١٥): روى أن سليمان بن داود ــ عليهما السلام ــ خرج يستسقى، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء، وهي تقول : "اللهم إنا خلق من خلقك، ولا غنى بنا عن سقياك، وإلا تسقنا تهلكنا، فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.
٢- فى قول النملة {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} بعد قولها {لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} كما حكى القرآن....!!
دليل(١٦) على أن جند سليمان كانوا في الذروة من الالتزام السلوكي المعروف ــ حتى عند الحيوان ــ وأنهم لا يتجاوزون إطار الحق والعدل المباح إلى غيره.
وهذا درس في السياسة مهم.
فعلى رئيس الدولة ــ كما يقول المرحوم سعيد حوى ــ أن يضبط جنده بضابط العدل.
وهذا لا يتم إلا بفقه وتربية وإلزام للمخالف.
فليلاحظ هذا الدرس، وليضع الذين يكرمهم الله بالملك مثل هذا الدرس موضع التطبيق.
٣- بمناسبة قوله تعالى {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}
ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى(١٥) أنه كان ينشد هذين البيتين، إمّا له أو لغيره :
إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

٤- ........... في قوله تعالى :
{وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الآيتان ٤٣، ٤٤]

تنبيهات(٢) :
الأول ــ روى كثير من المفسرين ههنا أقاصيص لم تصحّ سنداً ولا مخبراً، وما هذا سبيله، فلا يسوغ نقله وروايته.
قال الحافظ ابن كثير، بعد أن ساق ما رواه ابن أبي شيبة عن عطاء مستحسناً له، ما مثاله: قلت: بل هو منكر غريب جداً، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم.
ثم قال: والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم، كرويات كعب ووهب، سامحهما الله تعالى، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ.
وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة.

الثاني ــ أشير في (التوراة) في الفصل الرابع من سفر الملوك الثالث إلى تفصيل نبأ سليمان عليه السلام وعظمة ملكه وسلطانه.

ومما جاء فيه أن سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من نهر الفرات إلى أرض فلسطين وإلى تخم مصر، وإن ملوك الأطراف كانوا يحملون له الهدايا خاضعين له كل أيام حياته أي أنها تؤدى له الجزية، وإن كان ملكه محصوراً في فلسطين.

وأن الله تعالى آتاه حكمة وفهما ذكياً جداً، وسعة صدر، ففاقت حكمته حكمة جميع أهل المشرق وأهل مصر، وقال ثلاثة آلاف مثل، وتكلم في الشجر، من الأرز الذي على لبنان إلى الزوفى التي تخرج في الحائط، وتكلم في البهائم والطير والزحافات والسمك.

وأما صرحه وبيته عليه السلام، فقد جاء وصفه في الفصل الخامس من السفر المتقدم، وأنه أكمل بناءه في ثلاث عشرة سنة، وأنه بنى جازَرَ وبيت حورون السفلى وبعلت وتدمر في أرض البرية. وجاء في الفصل العاشر من هذا السفر أيضاً قصة ملكة سبأ ومقدمها من اليمن على سليمان لتخبر حكمته وعظمة ملكه، ودهشتها مما رأته وتحققته، وإيمانها بربه تعالى، ثم إعطاؤه إياها بغيتها، ثم انصرافها إلى أرضها.

وقد ذكرنا غير مرة أن القرآن الكريم لا يسوق أنباء ما تقدم سوق مؤرخ، بل يقصها موجزة ليتحقق أنه مصداق ما بين يديه، ومهيمن عليه، ولينبه على أن القصد منها موضع العبرة والحكمة، ومثار التبصر والفطنة.

الثالث ــ مما استنبط من آيات هذه القصة الجليلة، أن في قوله تعالى {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا} أنه لا بأس بالتبسم والضحك عند التعجب وغيره.

وفي قوله تعالى {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ} استحباب تفقد الملك أحوال رعيته. وأخذ منه بعضهم تفقد الإخوان، فأنشد:

تفقدُ الإخوانِ مُسْتَحْسَنُ
فمـــن بَدَاهُ نِعْمَ مَاقدْ بَدَا

سَنَّ سليمانُ لنا سُنَّةً
وكان فيما سنّه مُقْتَدَى

تفقَّدَ الطير على مُلْكِهِ
فقال: مَالِيَ لَا أرَ الْهُدْهُدَا

وأن في قوله تعالى {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا} الآية، دليلاً على أن العذاب على قدر الذنب، لا على قدر الجسد. وعلى جواز تأديب الحيوانات والبهائم بالضرب عند تقصيرها في المشي وإسراعها ونحو ذلك.

وأن في قوله تعالى {فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} أن الصغير يقول للكبير والتابع للمتبوع: عندي من العلم ما ليس عندك، إذا تحقق ذلك.

وأن في قوله تعالى {قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} قبول الوالي عذر رعيته، ودرءه العقوبة عنهم، وامتحان صدقهم فيما اعتذروا به.

وأن في قوله تعالى {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ} إرسال الطير بالكتب.

وأن في قوله تعالى {كِتَابٌ كَرِيمٌ} استحباب ختم الكتب، لقول السدّى: كريم بمعنى مختوم.

وأن في قوله تعالى {قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي} المشورة والاستعانة بالآراء في الأمور المهمة.

وأن في قوله تعالى {أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ} الآية، استحباب رد هدايا المشركين.

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث


١- انظر : السخاوي، القرطبي، السيوطي، الشوكاني، الألوسي، القاسمي "مصادر سابقة"
٢- انظر : القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة النمل"
٣- انظر : السخاوي، السيوطي، الألوسي.... "مصادر سابقة"
٤- انظر : السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الزركشي / البرهان (النوع ١٤)
الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة النمل"
الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة النمل"
٥- انظر : مكي بن أبي طالب / التبصرة ص ٢٨١
السخاوي / جمال القراء ٢١٠/١
اليروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٤٨/١
الألوسي... نثر المرجان ٧٥/٥ "تفسير سورة النمل"
٦- انظر : السيوطي / الإتقان ٢٦/١، ٢٧.

٧- انظر : المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة النمل"
٨- انظر : د. محمد البهي / تفسير سورة النمل ص٣ وما بعدها (بتصرف)
٩- انظر : الشهيد/سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة النمل" (بتصرف كبير)
١٠- انظر : الشهيد/حسن البنا رسالة "دعوتنا في طور جديد"
١١- انظر : الشهيد / سيد قطب / مقدمة كتاب الإسلام والعلم ص٨
١٢- انظر : د/ يوسف القرضاوي / مقدمة كتاب الإسلام والعلم ص١١
١٣- انظر : الشهيد/سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة النمل"
د/ محمد البهي / تفسير سورة النمل ص٣ وما بعدها
سعيد حوى / الأساس في التفسير "تفسير سورة النمل"
١٤- انظر : الشهيد/سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة النمل"
١٥- انظر : ابن كثير / تفسير القرآن العظيم "تفسير سورة النمل"
١٦- انظر : سعيد حوى / الأساس في التفسير "تفسير سورة النمل"



فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة القصص

## أولاً:اسم السورة

**تسمى هذه السورة ، بـــ :**

**١- سورة القصص(١)**

**وذلك : لاشتمالها ــ كما يقول المهايميُّ ــ على قوله تعالى {فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الآية ٢٥] الدالة على ... أن من هرب من مكان الأعداء، إلى مكان الأنبياء، اعتباراً بقصصهم.. الدالة على .. نجاة الهاربين من مكان الأعداء : أمن من الهلاك.**

**مع اشتمالها ــ أيضاً ــ على ما لا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى عليه السلام(٢).**

**٢- طـــسم(٣).**

**وذلك ــ فيما يظهر ــ لافتتاحها بها.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٤) : (٨٨) ثمان وثمانون آية.**

**كلماتها : (١٤٠١) ألف وأربعمائة وكلمة واحدة.**

**حروفها : (٥٨٠٠) خمسة آلاف وثمانمائة حرف.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف ... بعد : سورة "النمل"، وقبل: "سورة "العنكبوت"**

**ب- في النزول ... بعد : سورة "النمل"، وقبل: سورة "الإسراء".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار في ذلك : سوى الحديث الذي سبق ذكره في سورة الأنعام، فليرجع إليه من شاء.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

نزلت سورة القصص بمكة، والمسلمون يومئذ قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان.
وقد نزلت بعد سورة النمل، التي نزلت هي الأخرى بعد سورة الشعراء(٥).

## سادساً : فضل السورة

لم نعثر على آثار خاصة في ذلك.

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

بين هذه السورة والسورتين قبلها : ترابط واضح، وتلازم شديد، وتناسب بديع.
ويظهر ذلك فيما يلي :
١- إذا كان تعالى قد أوجز في السورتين قبلها ما يتعلق بقصص موسى عليه السلام.
فإنه قد بسط وفصل ذلك في سورة القصص، حيث : شرح تربية فرعون لموسى، وذبح أبناء بني إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين، وما وقع له حيث ورد ماء مدين : من زواج، ثم مناجاة لربه(٦).
٢- إذا كان تعالى قد أجمل في سورة النمل توبيخ المشركين حول موقفهم من يوم القيامة في مثل قوله تعالى {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمِونَ} [الآية ٦٦].
فقد فصل ذلك في سورة القصص على نحو واسع... في مثل قوله تعالى {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ...} [الآيات ٦١-٦٧].
٣- إذا كان تعالى قد فصل في الحديث عن أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط:
فقد أجمل ذلك هنا.. في مثل قوله تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [الآية ٥٨].
٤- إذا كان تعالى في سورة النمل قد بسط الحديث عن: حال من جاء بالحسنة، وحال من جاء بالسيئة في قوله تعالى { مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الآيتان ٨٩-٩٠].
فإنه قد أوجز الحديث عن ذلك في سورة القصص في قوله تعالى {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الآية ٨٤].
إلى غير ذلك من وجوه التناسب(٧).

## ثامناً : هدف السورة

كل موضوعات السورة تدور في إطار خدمة أهداف خمسة.

وهي:

أولاً(٨): إقامة الحجة بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على أهل الكتاب. [الآيات من ٣ حتى ٤٦].

ثانياً(٨): إقامة الحجة بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المشركين. [الآيات من ٤٧ حتى ٧٥].

ثالثاً(٨): تقييم ما في الحياة من متع مادية. [الآيات ٦٠، ٧٦ حتى ٨٤].

رابعاً(٩): وضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم.

إذ تقرر السورة:

أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي : قوة الله.

وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي: قيمة الإيمان.

فمن كانت قوة الله معه: فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة.

ومن كانت قوة الله عليه: فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى.

ومن كانت له قيمة الإيمان: فله الخير كله.

ومن فقد هذه القيمة (الإيمان): فليس بنافعه شيء أصلاً.

ومن ثم يقوم كيان السورة على:

قصة موسى وفرعون في البدء.

وقصة قارون مع قومه ــ قوم موسى ــ في الختام.

الأولى: تعرض قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية المتجبر.

والثانية: قيمة المال ومعها قيمة العلم.. المال الذي يستخف القوم.. والعلم الذي يعتز به قارون.

وقد دلت قصة موسى وفرعون وهي تعرض لقوة الحكم والسلطان..!!

كما دلت قصة قارون مع قومه وهي تعرض لقيمة المال ومعها قيمة العلم..!!

دلت هذه وتلك: على أنه حين يتمحض الشر ويسفر الفساد ويقف الخير عاجزاً والصلاح حسيرا.

ويُخشى من: الفتنة بالقوة والفتنة بالمال..!!

عندئذ: تتدخل يد القدرة سافرة متحدية، بلا ستار من الخلق ولا سبب من قوى الأرض، لتضع حداً للشر والفساد.

خامساً(٨): توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى: التمسك بدعوته، وعدم الانحراف عن القرآن. [الآيات من ٨٥ إلى ٨٨].

### تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من قسمين(١٠):

الأول.. عبارة عن (٤٣) آية.

من الآية الأولى، وحتى نهاية الآية (٤٣).

وفيه:

قصة موسى عليه السلام، من خلال مقدمة وخمسة مشاهد.

الثاني.. عبارة عن (٤٥) آية.
من الآية: ٤٤ وحتى نهاية السورة.
وفيه:
إقامة الحجة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى أن هذا القرآن حق.
ثم الحديث عن موقف أهل الكتاب المخلصين الصادقين من هذا القرآن، وأنهم يؤمنون به.
وفي ذلك: حجة جديدة على أن هذا القرآن من عند الله، إذ يسلم له أهل الكتاب الصادقون.
وهو في ذات الوقت: دعوة لأهل الكتاب أن يؤمنوا.
وفيه أيضاً: الدلالة على الأخلاق العليا التي ينبغي أن يتحقق بها من يدخل في هذا الدين من أهل الكتاب.
وهي في ذات الوقت ـ أخلاق ينبغي أن يتحقق بها كل مؤمن.
وفيه ثالثاً: بيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه لا يهدي من أحب، وإنما الهداية بيد الله تعالى لمن سلك أسبابها.
وفيه رابعاً: عرض لشبهة من شبه الكافرين، في انصرافهم عن الإسلام، ورد عليها بشكل، ثم بآخر.
وفيه أخيراً: تأتي قصة قارون، لترينا عقوبة من عقوبات الله، تحل في إنسان هو من قوم رسول؛ بسبب بغيه.
وفي عرضها: تحذير جديد لمن يبغي من هذه الأمة على هذه الأمة فرداً كان أو جماعة، حاكماً كان أو محكوماً.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

تحتوي هذه السورة على موضوعات عديدة.
ومن هذه الموضوعات(٦):
استعلاء فرعون وإفساده في الأرض.
استضعافه لبني إسرائيل.
إغراق فرعون وجنوده في اليم وإنقاذ بني إسرائيل من ظلمه وجعلهم أئمة في أمر الدين والدنيا.
إلقاء موسى في اليم...إلخ
قتل موسى للقبطي وهربه..إلخ
عودة موسى إلى مصر.
معجزات موسى عليه السلام.
تبليغه رسالة ربه إلى فرعون..
إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
إنكار قريش لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
إيمان بعض أهل الكتاب بالقرآن وإعطاؤهم أجرهم مرتين.
إثبات أن الهداية بيد الله لا بيد رسوله فلا يمكنه أن يهدي من يحب.
أعذار قريش في عدم إيمانهم بيان أن الله لا يعذب إلا بعد أن يقطع الحجة بإرسال الرسل.
حكاية بعض مواقف يوم القيامة.
بيان أن اختيار الرسل لله لا للمشركين.
التذكير ببعض نعم الله.
شهادة الأنبياء على أممهم.
ذكر قارون وبغيه في الأرض ثم خسف الأرض به.
بيان أن ثواب الآخرة لا يكون لمن يريد العلو في الأرض والإفساد فيها... إلى غير ذلك.

نعرض تحت هذا العنوان بعضاً من النكت اللطيفة والفوائد البديعة التي لمحها العلماء في هذه السورة.
ومن ذلك:

١- في قوله تعالى {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الآية، ٣].
إشارة إلى أن هذا هو الحق الخالص الذي يؤمن به المؤمنون بالقرآن، وذلك لأن الكتب السماوية كلها قد حرفت، وهذا القرآن هو الذي وضع الأمر في نعي نصابه فيما تحدث عنه.
فالمؤمن بالقرآن: يعلم أن ما قصه هو الحق، وأن ما خالفه هو الباطل حيثما وجد(١٠).

٢- في قوله تعالى {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء} [الآية، ٢٥].
قال ابن كثير: قال ابن عمر رضي الله عنه: "جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء، ولاجة، خداجة." إسناده صحيح(١١).
قال الجوهري: السلفع من الرجال: الجسور ومن النساء: الجارية السليطة، ومن النوق الشديدة(١٠).

٣- في قوله تعالى {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [الآية، ٢٦].
قال ابن كثير(١١):
عن عبد الله بن مسعود قال:
أفرس الناس ثلاثة:
أبو بكر : حين تفرس في عمر.
وصاحب يوسف: حين قال أكرمي مثواه.
وصاحبة موسى(١٠): حين قالت: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}

٤- في قوله تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [الآيات ٥٢-٥٥].
مما ذكر ابن كثير في سبب نزول هذه الآيات(١١):
قال سعيد بن جبير: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي صلى الله عله وسلم: قرأ عليهم {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} حتى ختمها.
فجعلوا يبكون.
وأسلموا.
ونزلت فيهم هذه الآيات.(١٠)

٥- في قوله تعالى {أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ} [الآية ٥٤].
قال ابن كثير(١١):
عن أبي موسى قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق الله، وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها"(١).

٦- في قوله تعالى {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الآية ٨٣]
قال ابن كثير(١١) :

روى ابن جرير عن علي قال:

إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في معنى هذه الآية.

وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره.

فإن ذلك مذموم.

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "أنه أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد".

وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل: فهذا لا بأس به.

فقد ثبت أن رجلاً قال:

يا رسول الله.. إني أحب أن يكون ردائي حسناً، ونعلي حسنة..

أفمن الكبر ذلك..؟

فقال: ((لا.. إن الله جميل يحب الجمال))(١١).

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي، القرطبي، الفيروزابادي، الشوكاني، اللألوسي، القاسمي "مصادر سابقة"

٢- انظر : القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة القصص"

٣- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١

الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة القصص"

٤- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٨٦

السخاوي / جمال القراء ٢١٠/١

الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٥٣/١

الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة القصص"

نثر المرجان ١٤٥/٥

٥- انظر: السيوطي / الإتقان "النوع الأول"

الشهيد/سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة القصص"

٦- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة القصص"

٧- انظر: الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة القصص"

المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة القصص"

٨- أنظر: د/محمد البهي / تفسير سورة القصص ص٣ وما بعدها.

٩- أنظر: الشهيد/سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة القصص"

١٠- انظر: سعيد حوي / الأساس في التفسير "تفسير سورة القصص"

١١- انظر: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم "تفسير سورة القصص".

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة العنكبوت

## أولاً:اسم السورة

**هذه السورة.. تسمى بما يلي:**
**١- سورة العنكبوت(١):**
**وذلك: لاشتمالها على آية {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ....} [الآية ٤١] المشيرة إلى: أن من اعتمد على قوة الأصنام ونفعها، وحفظها من العذاب.. مثله كمثل العنكبوت: اعتمدت على قوة بيتها، التي لا تحتمل من أدنى الحشرات والرياح، وحفظها عن الحر والبرد، وهذا.. أتم في الدعوة إلى التوحيد، الذي هو أعظم مقاصد القرآن(٢).**
**٢- آلــم أحسب الناس.. ؟(٣)**
**وذلك ــ فيما يبدو ــ لافتتاحها بها.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها: (٦٩) تسع وستون آية.**
**كلماتها: (٩٨٠) تسعمائة وثمانون كلمة.**
**حروفها: (٤١٩٥) أربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "القصص"، وقبل: سورة "الروم".**
**ب- في النزول.. بعد: سورة "الروم"، وقبل: سورة "المطففين".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على سبب لنزولها كلها، سوى ما ذكر في فضل سورة الأنعام. ولكن توافرت المصادر على آيات منها ذات أسباب لنزولها.**
**ومن ذلك(٥):**
**قوله تعالى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ} الآيتان، قال الشعبي: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار الإسلام ولا إسلام حتى تهاجروا.**

فخرجوا عامدين إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم، فنزلت فيهم هذه الآية وكتبوا إليهم أن قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله تعالى فيهم { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ } الآية.

وقال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب كان أو قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة"، فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، وأخبر أنه لابد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله تعالى.

وقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} الآية: قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه جميلة: يا سعد بلغني أنك صبوت فو الله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل حتى غشى عليها، فأتى سعد النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ذلك إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف.

أخبرنا أبو سعد بن أبي بكر الغازي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن حمدان قال: أخبرنا أبو يعلى قال: أخبرنا أبو خيثمة قال: أخبرنا الحسن بن موسى قال: أخبرنا زهير قال: أخبرنا سماك بن حرب قال: حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه قال: نزلت هذه الآية فيّ، قال: حلفت أم سعد لا تكلم أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب ومكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد، فأنزل الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} رواه مسلم عن أبي خيثمة.

وقوله تعالى: {وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} الآية. أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحافظ قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو يعلى قال: أخبرنا أحمد بن أيوب بن راشد الضبي قال: أخبرنا مسلمة بن علقمة قال: أخبرنا داود بن أبي هند عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن مالك قال: أنزلت في هذه الآية: {وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}، قال كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت، لتدعن عن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه،

قلت: لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يوماً لا تأكل فأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها، قال: فلما رأيت ذلك قلت تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فأنزل هذه الآية { وَإِن جَاهَدَاكَ } الآية.

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية، إلا من أولها إلى قوله تعالى {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [الآية ١١].

## سادساً : فضل السورة

لم نعثر على آثار خاصة بها.

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

ووجه اتصالها بما قبلها من وجوه(٦):

١- أنه ذكر في السورة السالفة استعلاء فرعون وجبروته، وجعله أهلها شيعاً، وافتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وعذبوهم على الإيمان، دون ما عذب به فرعون بني إسرائيل، تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم، وحثاً لهم على الصبر، كما قال: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}.

٢- ذكر في السورة السابقة نجاة موسى من فرعون وهربه منه ثم عوده إلى مصر رسولاً نبياً، ثم ظفره من بعد بغرق فرعون وقومه ونصره عليهم نصراً مؤزراً، وذكر هنا نجاة نوح عليه السلام وأصحاب السفينة وإغراق من كذبه من قومه.

٣- نعي هناك على عبده الأصنام والأوثان، وذكر أنه يفضحهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد، وهنا نعى عليهم أيضاً وبين أنهم في ضعفهم كضعف بيت العنكبوت.

٤- هناك قص قصص قارون وفرعون، وهنا ذكرهما أيضاً، وبين عاقبة أعمالهما.

٥- ذكر هناك في الخاتمة الإشارة إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}، وفي خاتمة هذه أشار إلى هجرة المؤمنين بقوله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ}.

## ثامناً : هدف السورة

وهدفها: الحث على الاجتهاد: في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحده، من غير فتور، ومن غير تعريج على غيره سبحانه أصلاً.

فهي: سورة ضعف الكافرين، وقوة المؤمنين.

وهذا سر تسميتها "بالعنكبوت".

وأسمها: دال على مقصودها(٧).

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تكون هذه السورة من: مقدمة، وفقرتين(٨)

المقدمة.. عبارة عن (٤) آيات.

من الآية الأولى، حتى نهاية الآية (٤).

وفيها:

تصحيح لتصورين هامين:

الأول: تصور من يظن أن الإيمان لا يرافقه امتحان.

والثاني: تصور الكافر أنه إذا لم يمتحن فإنه يفلت من عذاب الله عز وجل.

وعلى هذا: فقد دلت هذه المقدمة على أن الإيمان يرافقه امتحان، وأن علامة الصدق في الإيمان النجاح في الامتحان.

**والفقرة الأولى.. عبارة عن (٤٠) آية.**
**من الآية (٥) حتى نهاية الآية (٤٠).**
**علاج قضية الابتلاء والتكليف، من خلال عرض المعاني المجردة.**
**ثم: ضرب الأمثال.. فتضرب أمثالاً من التاريخ، ومثلاً من عالم الواقع، فيما يخدم المعاني السابقة.**

**وأما الفقرة الثانية .. فهي عبارة عن (٢٥) آية.**
**من الآية (٤٥) حتى نهاية الآية (٦٩) وهي خاتمة السورة.**
**وفيها:**
**الأمر: بتلاوة القرآن، وبإقامة الصلاة، وبذكر الله.. وهذه الثلاث هي زاد الطريق في المحنة.**
**ثم يرسم الطريق لمعالجة مواقف كافرة.**
**ويبين أخيراً: ظلم الكافرين، وطريق الهداية للراغبين.**

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

**تزخر هذه السورة الكريمة بكثرة الموضوعات، ومن ذلك(٦):**
**١- اختبار المؤمنين ليعلم صدقهم في إيمانهم.**
**٢- في الجهاد فائدة للمجاهد، والله غني عن ذلك.**
**٣- الحسنات يكفّرن السيئات.**
**٤- الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما مع عدم طاعتهما في الإشراك بالله.**
**٥- حال المنافق الذي يظهر الإيمان ولا يحتمل الأذى في سبيل الله.**
**٦- حال الكافرين الذين يضلون غيرهم، ويقولون للمؤمنين: نحن نحمل خطاياكم إن كنتم ضالين.**
**٧- قصص الأنبياء: كنوح وإبراهيم ولوط وشعيب وصالح وموسى وهارون، وبيان ما آل إليه أمر الأنبياء من النصر، وأمر أممهم من الهلاك بضروب مختلفة من العقاب.**
**٨- حجاج المشركين بضرب الأمثال لهم مما فيه تقريعهم وتأنيبهم.**
**٩- حجاج أهل الكتاب، والنهي عن جدلهم بالفظاظة والغلظة.**
**١٠- إثبات النبوة ببيان صدق معجزته صلى الله عليه وسلم.**
**١١- ذكر بعض شبههم في نبوته، والرد على ذلك.**
**١٢- استعجالهم بالعذاب تهكماً.**
**١٣- أمر المؤمنين بالفرار بدينهم من أرض يخافون فيها الفتنة.**
**١٤- العاقبة الحسنى للذين يعملون الصالحات.**
**١٥- اعترافهم بأن الخالق الرازق هو الله.**
**١٦- بيان أن الدار الآخرة هي دار الحياة الحقة.**
**١٧- امتنانه على قريش بسكناهم البيت الحرام، ثم كفرانهم بهذه النعمة بإشراكهم به سواه.**

١ – في قوله تعالى { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} [الآية ٤٨].
دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وفيها ردّ على من زعم أنه كتب. انتهى.
وقال ابن كثير: وهذه صفته في الكتب المتقدمة. كما قال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} [الأعراف ١٥٧].
وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم.
ومن زعم، من متأخري الفقهاء، كالقاضي ابن الوليد الباجي ومن تابعه، أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: "هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله".
فإنما حملة على ذلك..
رواية في صحيح البخاري(٩) (ثم أخذ فكتب).
وهذه محمولة على الرواية الأخرى (ثم أمر فكتب).
ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي، وتبرءوا منه وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا به في محافلهم.
وإنما أراد الرجل أعني الباجي فيما يظهر عنه، أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة.
وما أورده بعضهم من الحديث، أنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له. انتهى.
وقال الشهاب: وممن ذهب إلى أنه كان يحسن الكتابة، أبو ذرّ الهروى وأبو الفتح النيسابوريّ وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وصنف فيه كتاباً، وسبقة إليه ابن منبه.
ولما قال أبو الوليد ذلك، طعن فيه ورمى بالزندقة وسب على المنابر، ثم عقد له مجلساً فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف، فأجابوا بما يوافقه، وأن معرفة الكتابة بعد أميته لا تنافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى، لكونها من غير تعليم.
ورد الإمام محمد بن مفوز كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: ((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب))(١٠) وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله (كتب) فمعناه أمر بالكتابة. انتهى(١١).
٢ – في قوله تعالى:
{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}[الآية، ٤٩].
{بَلْ هُوَ} أي القرآن {آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي العلماء به وحفاظه. وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور، يتلوه أكثر الأمة ظاهراً. بخلاف سائر الكتب. فإنها لم تكن معجزات، وما كانت تقرأ إلا من المصاحف(١١).

١ - انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
القرطبي / الجامع لأحكام القرآن "تفسير سورة العنكبوت"
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٥٩/١
الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة العنكبوت"
القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة العنكبوت"
٢ - انظر: القاسمي نفسه
٣ - انظر: السخاوي، القرطبي "مصادر سابقة"
٤ - انظر: مكى بن أبي طالب / التبصرة ص٢٨٩
السخاوي / جمال القراء ٢١١/١
الفيروزابادى / بصائر ذوي التمييز ٣٥٩/١
الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة العنكبوت"
نثر المرجان ٢٢١/٥
٥ - الواحدي أسباب النزول ص٢٢٩، ٢٣٠
السيوطي / لباب النقول ص١٦٩، ١٧٠
٦ - انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة العنكبوت"
٧ - البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٤/١٤
٨ - انظر: سعيد حوى / الأساس في التفسير "تفسير سورة العنكبوت"
٩ - انظر: البخاري كالشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالح مع أهل الحرب وكتابة الشروط.
١٠ - انظر: البخاري كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نكتب ولا نحسب"
١١ - القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة العنكبوت"

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير و علوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الروم

## أولاً:اسم السورة

هذه السورة.. تسمى بـــ:

١- سورة الروم(١)

وذلك: لاشتمال قصتها على معجزة.. تفيد للمؤمنين فرحاً عظيماً، بعد حزن يسير، فتبطل شماتة أعدائهم، وتدل على أن العاقبة لهم.

خاصة: وأنها معجزة غيبية، لم تكن قد حدثت بعد، حين الإخبار بها، وهي انتصار دولة الروم ــ أهل الكتاب ــ على دولة الفرس ــ الوثنيين ــ في فترة سنوات قليلة، بعد ذلك الانتصار الكاسح، الذي حققه ــ قبلاً ــ الفرس على الروم.

ويذكر الإمام السخاوي كذلك:

٢- الم غلبت الروم(٢)

وذلك ــ فيما هو واضح ــ لافتتاحها بذلك.

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

وعدد آياتها:(٣) (٦٠) ستون آية.

وكلماتها: (٨٠٧) ثمانمائة وسبع كلمة.

وحروفها: (٣٥٣٠) ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثون حرف.

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

أ- في المصحف.. بعد: سورة "العنكبوت"، وقبل: سورة "لقمان".

ب- في النزول.. بعد: سورة "الانشقاق"، وقبل: سورة "العنكبوت".

## رابعاً : سبب نزول السورة

قال المفسرون(٤): بعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يسمى شهريران، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم، فقتلهم وخربَ مدائنهم وقطع زيتونهم ، وكان قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس فالتقى مع شهريران بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب، فغلب فارس الروم .

وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة، فشق ذلك عليهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى {الــم غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} إلى آخر الأيات.

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت {الــم غُلِبَتِ الرُّومُ} إلى قوله {بِنَصْرِ اللَّهِ}: يعني بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه.

وأخرج ابن جرير نحوه أيضاً عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة، فالرواية الأولى على قراءة غلبت بالفتح؛ لأنها نزلت يوم غلبهم يوم بدر، وعلى ذلك الثانية على قراءة الضمّ، فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس، سيغلبهم المسلمون حتى يصحّ الكلام معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية.

سوى قوله تعالى { فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الآية ١٧]. فهي: مدنية.

## سادساً : فضل السورة

انظر: حديث وائلة بن الأسقــع.

وذلك: في فضل سورة البقرة، حيث إنها من قسم المثاني.

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

لهذه السورة تناسب عام مع سور القرآن وتناسب خاص مع السورة قبلها.

فالتناسب العام هو:

أن هذه السورة من القسم الثالث من أقسام القرآن "الطوال، المئين، المثاني، المفصل".

وهي كذلك: السورة الثانية من قسم المثاني.

وقسم المثاني الذي منه سورة الروم...

يلاحظ عليه أنه: يبدأ بسور أربع تتحدث عن: الإيمان، وأثره العملي، وتبين أبعاده.

وهي: العنكبوت، والروم، ولقمان، والسجده.

ثم تأتي سورة الأحزاب...

لتأمر بمراعاة معان كثيرة، هي بمثابة الطريق للوصول إلى المعاني المذكورة في السور الأربع قبلها.

وسورة الأحزاب مع الأربع قبلها بما تحدثت عنه، يوصل إلى: مقام الشكر.
ومن ثمَّ تأتي سورة: سبأ، لتتحدث عن الشكر، وشروط حصوله.
ثم تأتي سورة: فاطر، لتبين نقطة البداية في طريق الشكر.
ثم تأتي سورة يـــس، لتكمل البناء ضمن الكلام عن مهمة الرسل، الذين رسموا طريق الشكر(٥).
أما التناسب الخاص.
بين هذه السورة وسورة العنكبوت قبلها: فهو تناسب شديد.
وذلك واضح في وجوه عديدة منها(٦):
١- إذا كانت السورة السابقة بدئت وختمت بالجهاد.
فإن هذه السورة: قد بدئت بما يتضمن نصرة المؤمنين، ودفع شماتة أعدائهم المشركين.
وكأن هذه السورة من هذا الوجه، تكمل تتمة لما قبلها.
٢- إذا كان ما سيق في السورة السابقة من الأدلة على التوحيد والنظر في الآفاق والأنفس: جاء مجملاً...!!.
في مثل قوله تعالى { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت ٢٠].
فقد جاء بذلك هنا: مفصلاً.
في مثل قوله تعالى { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...} [الآية: ٨].
وقوله تعالى { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...} [الآية: ٩].
وقوله تعالى { اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الآية ١١].

## ثامناً : هدف السورة

والهدف الرئيسي: الذي تتعانق موضوعات السورة في إبرازه وتعميق فهمه، هو:
الكشف عن الرباط الوثيق: بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها.
وسنن الكون، ونواميس الوجود.
في ظل هذا الرباط: يبدو أن كل حركة وكل نأمة، وكل حادث، وكل حالة، وكل نشأة، وكل عاقبة، وكل نصر، وكل هزيمة.
كلها مرتبطة بهذا الرباط الوثيق، ومحكومة بهذا القانون الدقيق.
هذا الرباط الوثيق بين ذلك كله، والذي تكشف عنه السورة، وتهدف موضوعاتها لإبرازه.
هــو:
أن مدد الأمر في كل شيء لله وحده.
{ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ}
هذا الرباط: هو الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها:
الحقيقة: الموجهة في هذه العقيدة.
الحقيقة: التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات، والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تصديق(٧).

تتكون آيات هذه السورة من: مقدمة، وأربع مجموعات(٥).

المقدمة: عبارة عن (١٠) آيات.

من الآية الأولى حتى نهاية الآية (١٠).

وفيها:

إخبار عن نصر الروم على الفرس، بعد أن غُلبوا منهم، وقد وقع ذلك الإخبار، وتحقق هذا النصر.

واستدلال بوقوع هذا النصر، الذي هو موعود الله تعالى في شأن الروم: على وقوع موعوده في شأن الساعة.

وإخبار أيضاً: عن أن موقف أكثر الناس من اليوم الآخر ــ مع قوة هذا الدليل ــ الكفر والغفلة والانشغال والانغماس في ظاهر الحياة الدنيا.

ثم: دعوة للتفكر في أنفسهم، والنظر في الكون من حولهم، وفي تاريخ الأمم السابقة لهم، وعاقبة تكذيبها وكفرها وظلمها..!!.

لعل وعسى.. أن يردعهم ذلك عن كفرهم، وأن يدفعهم للإيمان بالله واليوم الآخر.

والمجموعة الأولى: عبارة (٢٩) آية.

من الآية (١١) حتى نهاية الآية (٣٩).

وفيها:

إقامة الحجة على مجيء اليوم الآخر ــ الذي ينكرونه ــ وبيان حال المؤمنين وحالهم، وحال الكافرين وحالهم.

عرض بعض آيات الله تعالى، الدالة عليه، مما ينبني عليها تعميق الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر.

ضرب المثل على عجز الكافرين بالله واليوم الآخر، وضلالهم في اتباع أهوائهم.

أمر: بإقامة الوجه لدين الله وحده، والاستقامة عليه، وإقامة الصلاة، وتقوى الله عز وجل.

والنهي: عن الإشراك بالله تعالى، أو تبديل الدين وتحريفه، أو الإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر.

ثم.. إقامة الحجة على الشرك: من خلال توحيد الإنسان لله تعالى في الشدة، حيث تبين أن طبيعته لا يناسبها ولا يصلحها إلا التوحيد.

وأخيراً.. أمر بالإنفاق، الذي هو علامة الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، ومقابلة بينه وبين الربا، فيها: الحث على الإنفاق، والتنفير من الربا.

والمجموعة الثانية: عبارة عن (٨) آيات.

من الآية (٤٠) حتى نهاية الآية (٤٧).

وفيها:

إقامة الحجة على الشرك وأهله، بأدلة جديدة.

وذكر لآثار الشرك السيئة في الحياة البشرية عامة، وعلى أهله خاصة.

والأمر: بإقامة الوجه لدين اله وحده؛ استعداداً لليوم الآخر، الذي يجازى فيه الكافرون بكفرهم، والمؤمنون بفضل الله ورحمته.

وإقامة الوجه لدين الله: تقتضي الشكر لله تعالى على نعمه وآلائه.
وفي ذات الوقت: هي الخير كل الخير، وفيها النصر، وفيها الفوز.

المجموعة الثالثة: عبارة عن (٦) آيات.
من الآية (٤٨) حتى نهاية الآية (٥٣).
وفيها:
إقامة الحجة على الشرك وأهله ـــ كذلك ـــ بأدلة جديدة.
وبيان للطبيعة الكافرة التي لا تنفعها حجة، ولا ينفع معها دليل، ولا تقنعها آية: من موت، وعمي، وصمم.
ويلاحظ: أن هذا الوصف والتحديد لطبيعتهم.. يعني بالضرورة، أن المؤمنين هم الأحياء، السامعون، المبصرون.

المجموعة الرابعة: عبارة عن (٧) آيات.
من الآية (٥٤) حتى نهاية الآية (٦٠).
وفيها:
إشارة: إلى الزمن الطويل المتراخي، الذي يقضيه الإنسان على الأرض، بما يكفيه للاعتبار... ومع ذلك: فإنه يوم القيامة يقسم أنه لم يعش إلا ساعة، وهذه الساعة ـــ في زعمه ـــ لم تكن كافية لتقوم الحجة عليه.. وقد كذب.
ودليل على وجود الله عز وجل، من خلال : انتقال الإنسان من حال إلى حال، كما يراها في نفسه، إذ لولا أن الله العلي القدير هو الذي يفعل ذلك، لما كان..وقد كان.
وتذكير بعلم الله الواسع، الذي لا تغيب ذرات هذا الإنسان، وبقدرة الله الكاملة، التي لا يعجزها أن تعيد هذا الإنسان.
ومن ثم... فإن كل ذلك تدليل على مجيء اليوم الآخر، وضرورة الإيمان به، والاستعداد له.
وبيان أن الله تعالى ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل، ليؤمنوا، فإن لم يؤمنوا: فقد قامت الحجة عليهم ـــ كذلك ـــ بهذا القرآن.
وفي ذات الوقت: فعدم إيمانهم هذا راجع إلى طبيعتهم الفاسدة، ومواقفهم الجاحدة.
ولذلك:
يأتي الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، بالصبر على مواقفهم وعنادهم، وانتصار وعد الله بنصرك عليهم، ووعيده فيهم بالهلاك والعذاب.
والتحذير من: استعجال النصر، أو التأثر والجزع مما يقولون، حيث إنهم ضلال شاكون، لا يستبعد ذلك منهم، ونصر الله آتٍ آت لا محالة

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وهذه السورة مليئة بالموضوعات العديدة التي تخدم هدفها، والتي توضح عقيدة الإيمان وأصول هذا الدين.
ومن هذه الموضوعات(٦):

١- إثبات النبوة بالإخبار عن الغيب.

في مثل قوله تعالى { الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [الآيات ١-٣].

٢- البراهين الدالة على وحدانية الله.

في مثل قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الآية ٢٧].

٣- الاعتبار بما حدث للمكذبين قبل كفار مكة.

في مثل قوله تعالى { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا...} [الآية ٩].

٤- الأدلة الكونية على وحدانيته.

في مثل قوله تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ.....} [الآية ٢٢].

٥- الأدلة على صحة البعث.

في مثل قوله تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} [الآية ٢٠].

٦- ضرب الأمثال على ضياع الشركاء.

في مثل قوله تعالى { ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء....} [الآية ٢٨].

وأيضاً:

٧- الأمر بعبادة الله وحده وهي الفطرة التي فطر الناس عليها.

٨- النهي عن اتباع المشركين الذين فرقوا دينهم بحسب أهوائهم.

٩- من طبيعة المشرك الإنابة إلى الله إذا مسه الضر، والإشراك به حين الرخاء.

١٠- من دأب الناس الفرح بالنعمة والقنوط حين الشدة. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

١١- الأمر بالتصدق على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل.

١٢- الدلائل التي وضعها سبحانه في الأنفس شاهدة على وحدانيته.

١٣- للخير والشر فائدة تعود إلى المرء يوم تجزى كل نفس بما كسبت.

١٤- في النظر في آثار المكذبين عبرة لمن اعتبر.

١٥- تسلية الرسول على عدم إيمان قومه بأنهم صم عمي لا يسمعون ولا يبصرون.

١٦- بيان أن الكافرين يكذبون في الآخرة كما كانوا يكذبون في الدنيا.

١٧- الإرشاد إلى أن الرسول قد بلغ الغاية في الإعذار والإنذار، وأن قومه قد بلغوا الغاية في التكذيب والإنكار.

١٨- أمره صلى الله عليه وسلم بإدامة التبليغ مهما لاقى من الأذى، فإن العاقبة والنصر له، والخذلان لمن كذب به.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

في قوله تعالى { وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ} [الآية ٥٣].

قال ابن كثير (٨): وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} على توهيم عبد الله بن عمر في رواية مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين ألقوا في قليب بدر، بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعة لهم.

حتى قال له عمر: يا رسول الله! ما تخاطب من قوم قد جيفوا؟ فقال: ((والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول، منهم. ولكن لا يجيبون)). وتأولته عائشة على أنه قال: إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقول لهم حق(٩).

وقال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته، تقريعاً وتوبيخاً ونقمة.

ثم قال ابن كثير: والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر، لما لها من الشاهد على صحتها من وجوه كثيرة.

من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً ((ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم، كان يعفره في الدنيا، فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام)). انتهى.

وقال ابن الهمام: أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع استدلالاً بهذه الآية ونحوها.

ولذا لم يقولوا: بتلقين القبر. وقالوا: لو حلف لا يكلم فلاناً، فكلمه ميتاً لا يحنث.

وأورد عليه قوله صلى الله عليم وسلم في أهل القليب ((ما أنتم بأسمع منهم)).

وأجيب تارة بأنه روى عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرته. وأخرى بأنه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم معجزة له. أو أنه تمثيل. كما روى عن علي كرم الله وجهه.

وأورد عليه ما في مسلم من أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا(١٠)، إلا أن يخص بأول الوضع في القبر، مقدمة للسؤال، جمعاً بينه وبين ما في القرآن.

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادى / بصائر ذوى التمييز ٣٦٥/١
٢- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
٣- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٩٢
السخاوي / جمال القراء ٢١١/١
الفيروزابادى / بصائر ذوي التمييز ٣٦٥/١
الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة الروم"
محمد غوث / نثر المرجان ٢٧١/٥
٤- انظر: الواحدي أسباب النزول ص٢٣١، ٢٣٢
السيوطي / لباب النقول ض١٧١، ١٧٢
٥- انظر: سعيد حوى / الأساس في تفسير القرآن "تفسير سورة الروم"
٦- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة الروم"
٧- انظر: سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة الروم"
٨- انظر: القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة الروم"
٩- انظر: صحيح البخاري ك: الجنائز: باب : ما جاء في عذاب القبر
١٠- انظر: مسلم ك: الجنة وصفة نعيمها

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة لقمان

أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة.. تسمى بـــ:**
**أولاً: سورة لقمان:(١)**
**وذلك: لاشتمالها على قصته، التي تضمنت.. فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بالأخلاق والأفعال الحميدة، والنهي عن النميمة.(٢)**

ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها(٣): (٣٤) أربع وثلاثون آية.**
**وكلماتها: (٥٤٨) خمسمائة وثمان وأربعون كلمة.**
**وحروفها: (٢١١٠) ألفان ومائه وعشرة حروف.**

ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف: بعد سورة الروم، وقبل سورة السجدة.**
**ب- في النزول(٤) بعد سورة الصافات، وقبل سورة "سبأ"**

رابعاً : سبب نزول السورة

**أن قريشاً سألت عن قصة لقمان مع ابنه، وعن بر والديه.. فنزلت.(٥)**
**وبالنسبة لبعض آياتها(٦):**
**ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة.. قال له أحبار اليهود: أنك تقول {وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً} أعنيتنا أم قومك؟ قال: كلاً عنيت، فقالوا: إنك تعلم أنا أوتينا التوراة، وفيها بيان كل شيء، فقال: ذاك في علم الله قليل، وأنزل الله عز وجل {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ...} [الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩].**

خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة كلها مكية في رواية عن ابن عباس.
وفي رواية أخرى عنه أيضاً: سوى ثلاث آيات: هي ٢٧، ٢٨، ٢٩.

## سادساً : فضل السورة

لم نعثر في ذلك على آثار خاصة،
بَيْدَ أنها تدخل في الحديث العام في فضل سور القرآن، الذي ذكر في سورة البقرة، وهو حديث "وائلة بن الأسقع، حيث إنها من قسم "المثاني".

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

١ – لما أكمل الله تعالى ما أراد من نفي الشك عن القرآن، وإثبات أنه هدى للمتقين.
وذلك من أول سورة، بعد الفاتحة، وهي سورة البقرة، واستدل على ذلك فيما تبعها من السور، حتى آخر "براءة" التي هي سورة غزوالروم...!!
ولما أكمل سبحانه وتعالى ــ كذلك ــ ما أراد.. من إثبات حكمته عز وجل،
وذلك من أول سورة "يونس" واستدل على ذلك فيما تبعها من السور إلى أن ختم سورة "الروم" ..!!
فقد ابتدأ ــ من هنا ــ دوراً جديداً على وجه أضخم من الأول..
إذ وصفه من أول هذه التالية للروم، وهي لقمان، بما وصفه به في التالية لغزو الروم، وهي يونس..
وذلك الوصف: هو الحكمة.
وزاد أنه: هدى، وهداية للمحسنين.
فهؤلاء: أصحاب النهايات.
والمتقون: أصحاب البدايات(٧).
٢ – أنه قال تعالى(٨) فيما قبل {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} [الروم ٥٨].
وقد أشار إلى ذلك في مفتح هذه السورة.
٣ – أنه قال تعالى(٨) في آخر ما قبلها {وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ} [الروم: ٥٨].
وقال هنا: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا} [لقمان: ٧].
٤ – المؤاخاه بينهما في الافتتاح بـــ (ألـــم)
٥ – لما قال تعالى في الروم(٨) {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ...} [الروم: ٥٦].
قال هنا {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [الآيتان ٣، ٤]
وهذا: هو عين يقينهم بالآخرة..!
كما أنهم المحسنون، الموصوفون بما ذكر.
٦ – وأيضاً(٨) ففي كلتا السورتين: جملة من الآيات، وابتداء الخلق.

٧- وذكر في الروم(٨) {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} [الآية ١٥]، وقد فسر ذلك بالسماع في الجنة.(٩)

وذكر هنا {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} [الآية: ٦]. وقد فسر بالغناء وآلات الملاهي.(٩)

وشتان بين هذا وذاك..!!

٨- في الروم.. قال تعالى(٨) {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٧].

وهنا: يقول تعالى {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان: ٢٨].

وكلاهما: يفيد سهولة البعث.

٩- في الروم.. قال تعالى(٨) {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الآية: ٣٣].

وقال هنا {وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ} [لقمان، ٣٢].

فقد ذكر سبحانه في كل من الآيتين قسماً لم يذكره في الآية الأخرى.

١٠- في الروم..(٨) ذكر مغلوبيه الروم وغلبتهم، المبنيتين على المحاربة بين ملكين عظيمين من ملوك الدنيا.. تحاربا عليها، وخرج كل منهما بذلك عن مقتضى الحكمة، حيث إن الحكيم لا يحارب على دنيا دينة، لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

وذكر في هذه السورة ــ بالمقابل ــ قصة عبد مملوك ــ على كثير من الأقوال ــ حكيم زاهد في الدنيا، غير مكترث بها، ولا ملتفت إليها، أوصى ابنه بما يأبى المحاربة، ويقتضي الصبر والمسالمة.

وبين الأمرين: من التقابل ما لا يخفي.

## ثامناً : هدف السورة

هدفها: إثبات الحكمة للكتاب، اللازم منه حكمة منزلة سبحانه في أقواله وأفعاله.

وقصة لقمان ــ المسمى به السورة ــ دليل واضح على ذلك.(٧)

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون آيات هذه السورة من: ثلاث مجموعات.(١٠)

المجموعة الأولى: عبارة عن (١١) آية

وفيها:

وصف القرآن الكريم: بأنه حكيم، وأنه هدى ورحمة.

وحديث عن المهتدين المحسنين، وموقفهم من هذا القرآن، وما أعد الله تعالى لهم.

وحديث عن الضالين المضلين الكافرين، وموقفهم من هذا القرآن، وما أعد الله عز وجل لهم.

وحديث عن مظاهر من حكمة الله تعالى، الذي أنزل هذا القرآن، وقدرته وإنعامه، يدلل على أنه الله تعالى وحده.. واجب العبادة، وأما غيره.. فلا يستحقها.
وفي ذلك: تأكيد لضرورة إتباع كتابه، والتحقق بشروط هذا الإتباع، من: إحسان، وصلاة، وزكاة، ويقين باليوم الآخر.

المجموعة الثانية: عبارة عن (٨) آيات.
من الآية (١٢) حتى نهاية الآية (١٩).
وفيها:
قصة لقمان عليه السلام، وذكر وصاياه لابنه، وهي نموذج.
ويلاحظ على هذه القصة:
أ- أنها جاءت في سياق الكلام عن القرآن، ووصفه بالحكمة، وبأنه هدى ورحمة للمحسنين.
ب- أنها إشارة على أنه ليس بدعا أن ينزل الله هذا القرآن، حيث أن من سنته تعالى: أن يختار من يشاء فيعطيه الحكمة.
جـ- وإشارة إلى أن من أخذ القرآن الحكيم: فإنه يؤتي الحكمة، كما أوتي لقمان عليه السلام.
د- أن إيتاء الحكمة: يقتضي شكرا، ولذلك: فعلينا أن نقابل نعمة الله علينا بالقرآن.. بالشكر.
هـ- أنها برهان على حكمة القرآن، حيث يختار لنا الحكمة، كما أن أوامره ونواهيه، وأخباره كلها، هي التي يوصي بها الحكماء.
وإذا تأملنا وصايا لقمان التي جاءت بها هذه المجموعة من الآيات: فإننا نلاحظ عليها ــ أيضاً ــ ما يلي:-
أ- أنها نموذج على الحكمة.
ب- أنها أوامر ونواه: تعلم الإحسان.
حيث إن: إدخال الوصية بالوالدين، والأمر بإتباع سبيل المؤمنين.. بين هذه الأوامر والنواهي: يؤكد هذا المعنى.
كما أنه: للعبادة، والعشرة مع الوالدين، والتعامل مع أهل الإيمان، والمراقبة، والصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتواضع، وترك تصعير الخد، وترك المشي المرح، والقصد في المشي، وغض الصوت في الكلام.. لكل ذلك، وكلها آداب: دخل في الإحسان..
وفي ذات الوقت: فهي مظاهر من الإحسان والهداية

المجموعة الثالثة: عبارة عن (١٥) آية.
من الآية (٢٠) حتى نهاية الآية (٣٤).
وهي خاتمة آيات السورة.
وفيها:
بيان لضرورة الاهتداء بكتاب الله تعالى... من خلال لفت نظر الناس إلى نعم الله تعالى، التي تقتضي شكراً.
وأن مظهر هذا الشكر: الإيمان بكتاب الله تعالى، وإتباعه.
وتختم المجموعة ــ وكذلك السورة ــ بالدعوة إلى تقوى الله تعالى وخشيته، وعدم الاغترار بالدنيا وزينتها، والشيطان وفتنته.. وتقرير أن الله وحده سبحانه، هو الذي يعلم مفاتح الغيب.
وهذا يقتضي: الإيمان بالله، واللجوء إليه، وإسلام الوجه له، والعمل بشرعه، وإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما حوته السورة الكريمة من الموضوعات
هو ما يلي:(١١)

١- القرآن هداية ورحمة للمؤمنين.
٢- قصص من ضل عن سبيل الله بغير علم، واتخذ آيات الله هزوا.
٣- وصف العالم العلوي، والعالم السفلي، وما فيهما من العجائب الدالة على وحدانية الله.
٤- قصص لقمان وإيتاؤه الحكمة، وشكره لربه على ذلك، ثم نصائحه لابنه.
٥- الأمر بطاعة الوالدين إلا فيما لا يرضى الخالق.
٦- النعي على المشركين في ركونهم إلى التقليد إذا دعوا إلى النظر في الكون وعبادة الخالق له.
٧- لا نجاة للإنسان إلا بالإخبات لله وعمل الصالحات.
٨- تسلية الرسول على عدم إيمان المشركين.
٩- تعجيب رسوله من المشركين بأنهم يقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء، ثم هم يعبدون معه غيره ممن هو مخلوق مثلهم.
١٠- نعم الله ومخلوقاته لا حصر لها.
١١- الأمر بالنظر إلى الكون وعجائبه لنسترشد بذلك إلى وحدانية الصانع لها.
١٢- تحميق المشركين بأنهم في الشدائد يدعون الله وحده، وفي الرخاء يشركون معه سواه.
١٣- الأمر بالخوف من عقاب الله يوم لا يجزي والد عن والده.
١٤- مفاتيح الغيب الخمسة التي أستأثر الله بعلمها.
١٥- إحاطة علمه تعالى بجميع الكائنات ظاهرها وباطنها.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [الآية، ٦].
فما هو لهو الحديث ... ؟
وما هو شراؤه ... ؟
وما صلة ذلك في الإضلال عن سبيل الله ... ؟
يقول الاستاذ/ سعيد حوي: للعلماء في ذلك كلام كثير، ولننقل هنا ما يتضح به هذا النص.(١٠)
عن ابن مسعود: أنه الغناء.(١٢)
وعن الحسن البصري: أنه الغناء والمزامير.
وقال قتادة: والله لعله لا ينفق فيه مالاً، ولكنه شراؤه: استحبابه.
ثم قال: بِحَسْبِ المرء من الضلالة، أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع..!!
وقال الضحاك: يعني الشرك.
واختار ابن جرير: أنه كل كلام يصد عن آيات الله، وإتباع سبيله.
وقال صاحب الظلال:(١٣) ولهو الحديث.. كل كلام: يلهي القلب، ويأكل الوقت، ولا يثمر خيراً، ولا يؤتي حصيلة تليق بوظيفة الإنسان المستخلف في هذه الأرض، بعمارتها بالخير والعدل والإصلاح.

هذه الوظيفة: التي يقرر الإسلام طبيعتها وحدودها ووسائلها، ويرسم لها الطريق.
والنص عام: لتصوير نموذج من الناس، موجود في كل زمان، وفي كل مكان، واضح السمات، وهو أعم من هذا الحادث الخاص، الذي يروي أنه ورد فيه.
إذ كان هذا النموذج قائماً في عهد الدعوة الأولى، في الوسط المكي الذي نزلت فيه هذه الآيات.
وهذا النموذج من الناس: يشتري لهو الحديث بماله، ويشتريه بوقته، ويشتريه بحياته، يبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص، يفني عمره المحدود، الذي لا يُعاد ولا يعود.
يشتري هذا اللهو {لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} ... !!
فهو: جاهل محجوب، لا يتصرف عن علم، ولا يرمي عن حكمة.
وهو: سيء النية والغاية.. يريد ليضل عن سبيل الله، يضل نفسه، ويضل غيره، بهذا اللهو، الذي ينفق فيه الحياة.
وهو: سيء الأدب، يتخذ سبيل الله هزواً، ويسخر من المنهج الذي رسمه الله للحياة والناس.
ومن ثم: يعالج القرآن هذا الفريق بالمهانة والتهديد، قبل أن يكمل رسم الصورة بقوله تعالى {أولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}.
ووصف العذاب بأنه (مهين): مقصود هنا للرد على سوء الأدب، والاستهزاء بمنهج الله وسبيله القويم.
ويقول الأستاذ/ سعيد حوي(١٠):
وعلى كل حال: فقد فهمنا أن للهو الحديث صلة في الإضلال عن سبيل الله.
سواء كان لهوا الحديث: غناءً، أو سمراً بباطل، أو سمراً بكفر.
وسواء تمثل ذلك: بقصيدة، أو ديوان شعر، أو قصة، أو غير ذلك.
ولاشك أن الذي يبذل جهداً أو مالاً لإشاعة ذلك بقصد الإضلال أو الصد عن سبيل الله: فإنه ممن يضل عن سبيل الله.
٢- قوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} [الآية، ١٢].
في ذلك: إشارة إلى أن من أخذ القرآن الحكيم.. فإنه يؤتي الحكمة، كما أوتي لقمان عليه السلام.
وتصريح كذلك: بأن إيتاء الله الحكمة.. يقتضي شكراً.
وهذا يفيد: أن علينا أن نقابل نعمة الله علينا بهذا القرآن الحكيم... بأن نشكر الله تعالى، وذلك لمصلحتنا، إذ رب العزة غني عنا.
وتفيد وصية لقمان لابنه عقب هذه الآية: أن من الشكر لنعمة إيتاء الحكمة... أن يوصي الإنسان بها أولاده، ويربيهم عليها.
وهذا درس لنا.. نفهم منه:
أن علينا أن نربي أولادنا على أخذ القرآن، والعمل به.
وأن ذلك من جملة الشكر على النعمة.
٣- في قوله تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} [الآية: ١٢] عرض لنموذج من البشر آتاه الله الحكمة.(١٠)
وإذ يقول الله تعالى {وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة٢٦٩].
فإنه من الواجب إذن : التعرف على المعاني التي جاءت في قصة لقمان، والتي آتاه الله إياها، وجعلته حكيماً.
حيث إن من عرف هذه المعاني، وتحقق بها في نفسه، وأيضاً ألزم نفسه النُّصْح بها لأولاده، وللعامة: فإنه حكيم.
وأيضاً: فقد أعطانا الله عز وجل بهذه الآيات ميزاناً نزل به حكمة الحكماء، ونتعرف به على من وفقه الله تعالى، فآتاه الحكمة.

وبهذا يكون واضحاً: أن من لم يتحل بهذه المعاني التي وردت في قصة لقمان، معرفة لها، والتزاماً بها، ونصحاً للغير بفضائلها.. فليس بحكيم، وعليه أن يراجع نفسه فوراً.

وأولى الناس بذلك الدعاة..!!

٤- في قوله تعالى {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [الآية، ١٤].

يقول النسفي:(١٤) وقد نبه الله تعالى ــ أي بهذه الآية ــ على أن الحكمة الأصلية، والعلم الحقيقي: هو العمل بها، وعبادة الله، والشكر له.

حيث فسر ــ سبحانه ــ إيتاء الحكمة: بالحث على الشكر.

وقيل: لا يكون الرجل حكيماً، حتى يكون حكيماً في قوله، وفعله، ومعاشرته، وصحبته.

وقال السرى السقطي: الشكر أن لا تعصي الله بنعمة.

وقال الجنيد: أن لا ترى معه شريكاً في نعمه.

وقيل: هو الإقرار بالعجز عن الشكر.

والحاصل:

أن شكر القلب: المعرفة.

وشكر اللسان: الحمد.

وشكر الأركان: الطاعة.

ورؤية العجز في الكل: دليل قبول الكل.

٥- في قوله تعالى {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [الآية، ١٩].

{وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ} أي نقص من رفعه، وأقصر، فإنه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس، إنكارهم على صوت الحمير.(٢)

كما قال {إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} معللاً للأمر على أبلغ وجه وآكده و(أنكر) بمعنى أوحش. من قولك (شيء نكر) إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت، كما يقال في العرف للقبيح (وحش) وأصله ضد الأنس والألفة. فهو إما مجاز أو كناية.

قال الزمخشري: الحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقة، ومن استفحاشهم لذكره مجرداً، وتفاديهم من اسمه، أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به، فيقولون (الطويل الأذنين) كما يكني عن الأشياء المستقذرة.

وقد عُدّ في مساوئ الآداب، أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولى المروءة.

ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً، وإن بلغت منه الرحلة.

فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وأن جعلوا حميراً، وصوتهم نهاقاً ــ مبالغة شديدة في الذم والتهجين.

وإفراد التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه. وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان.

٦- في قوله تعالى {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...} [الآية، ٢٠].

ما يفيد:(١٠) أن كل شيء في السموات والأرض مسخر للإنسان. فالسموات: مسخرة للإنسان، إذ يمتع بها ناظريه، ويتعرف بها على الله عز وجل، ويروى من خلال التعرف عليها ظمأه إلى المعرفة.

ثم إن نظام الكون مرتبط بعضه ببعض، بقوانين الجاذبية، وذلك من مظاهر تسخير السموات.

وبدون الشمس والقمر: تتعذر الحياة: وذلك من مظاهر التسخير.

ومن النجوم: تصل إلى الأرض إشعاعات.

وبالنجوم: يهتدي الإنسان......

وكل ذلك: نوع تسخير.

وفي عصرنا: وصل الإنسان إلى القمر..!!
وما ندري ماذا سيكون في المستقبل..؟ فهل سيصل الإنسان إلى كواكب أخرى.. ؟ وما ندري .. كم سيكون ذلك من فوائد..؟
وفي ذلك كله: نوع تسخير.
أما تسخير كل ما في الأرض للإنسان، من بحار، وتراب، وظاهر، وباطن: فهو واضح.
أقول:
أليس ذلك كله من نعم الله على الإنسان..؟
ثم: أليس ذلك كله يستحق الشكر لله تعالى، بالقول والعمل، وحسن الاستخلاف..؟

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٧٠/١
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة لقمان"
٢- القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة لقمان"
٣- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٩٤
السخاوي / جمال القراء ٢١٢/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٧٠/١
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة لقمان"
محمد غوث بن ناصر الدين محمد بن نظام الدين أحمد النائطي الأركاني نثر المرجان في رسم نظم القرآن ط مطبعة شمس الإسلام ــ حيدر أباد الدكن ٣١٩/٥
٤- انظر: الزنجاني / تاريخ القرآن ص١١١
المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة لقمان"
٥- انظر: الواحدي أسباب النزول ص.....
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة لقمان"
٦- انظر: الشهاب حاشية الشهاب على البيضاوي "تفسير سورة لقمان"
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة لقمان"
٧- انظر: البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٤٠/١٥
٨- انظر: الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة لقمان"
٩- انظر: القرطبي / الجامع لأحكام القرآن "تفسير سورة لقمان"
١٠- انظر: سعيد حوى / الأساس في تفسير القرآن "تفسير سورة لقمان"
١١- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة لقمان"
١٢- انظر: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم "تفسير سورة لقمان"
١٣- انظر: سيد قطب / في ظلال القرآن "تفسير سورة لقمان"
١٤- انظر: النسقي / لباب التأويل "تفسير سورة لقمان"

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة السجدة

أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بما يلي:**

**١- سورة السجدة(١):**

**وذلك: لأن آية السجدة منها.. تدل على أن آيات القرآن من العظمة، بحيث تخرّ وجوه الكل لسماع مواعظها، وتنزه منزلها عن أن يعارض في كلامه، وبشكره على كمال هدايته.(٢)**

**٢- سورة المضاجع(٣):**

**وذلك ــ فيما يبدو ــ لقوله تعالى فيها {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الآيتان ١٥، ١٦].**

**٣- سجدة لقمان(٤):**

**وذلك: لتمييزها عن "حم السجدة"، فلا تلتبس بها.(٤)**

**٤- الــم تنزيل السجدة(٥):**

**وذلك: لما ورد في الأحاديث الشريفة.**

**ومن ذلك:**

**ما أخرجه الشيخان(٦) .. عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، يقرأ في الفجر يوم الجمعة: {الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ} السجدة و{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ}.**

**وما رواه: الإمام أحمد، عن جابر قال:(٧) كان النبي صلى الله عليه وسلم، لا ينام حتى يقرأ {الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ} السجدة و{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}.**

ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها(٨): (٣٠) ثلاثون آية.**

**وعدد كلماتها: (٣٨٠) ثلاثمائة وثمانون كلمة.**

**وعدد حروفها: (١٥١٨) ألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً.**

ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد سورة "لقمان"، وقبل سورة "الأحزاب".**

**ب- في النزول(٩)... بعد سورة "المؤمنون" وقبل سورة "الطور".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار في ذلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة مكية.**
**سوى الآيات: ١٨، ١٩، ٢٠.**
**وهناك(٩) من يستثني ــ مع ذلك ــ الآيتين ١٦، ١٧.**
**إلا أن الإمام الألوسي(١٠) يستبعد ذلك لشدة ارتباطهما بما قبلهما(٣).**

## سادساً : فضل السورة

**ورد في فضل هذه السورة: عدة آثار.**
**وهي على النحو التالي:**
**١- عن أبي هريرة(١١)، قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة، {الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ} السجدة و{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ}.**
**٢- وعن جابر(١٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان لا ينام حتى يقرأ {الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ} و {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}.**
**٣- وعن ابن عباس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم... كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة {الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ} و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ} وأن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقرأ في صلاة الجمعة، سورة الجمعة، والمنافقين".(١٣)**
**٤- إضافة إلى حديث: وائلة بن الأسقع المذكور في مفاتيح سورة البقرة.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**١- إذا كانت سورة لقمان: اهتمت بالحث على اتباع الكتاب الكريم وهو القرآن..**
**فإن السجدة: قد اهتمت بنفي الريب والشك عن ساحته وبينت أنه تنزيل من رب العالمين.**
**٢- ويقول السيوطي:**

إن السجدة شرح لمفاتح الغيب الخمسة، التي ذكرت في خاتمة السورة قبلها، في قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ....} الآية.

وبيان ذلك:

أن قوله تعالى في سورة السجدة {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الآية، ٥].

شرح لقوله تعالى في سورة لقمان {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}.

ولذلك:

عقب سبحانه وتعالى بقوله {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}.

وأن قوله تعالى في السجدة {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ....} [الآية، ٢٧].

شرح لقوله سبحانه في لقمان {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}.

وأن قوله تعالى في السجدة {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الآيات ٧-٩].

شرح لقوله سبحانه في لقمان {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}.

- وأن في قوله تعالى في لقمان {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ} [الآية، ٥].

مع قوله تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي.....} [الآية، ١٣].

شرح لقوله تعالى {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}.

وأن قوله تعالى في السجدة {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [الآيات، ١١، ١٢].

شرح لقوله تعالى {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}.

٣- اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية.

٤- لما ذكر سبحانه في "لقمان" دلائل التوحيد، وهو الأصل الأول، ثم ذكر جل وعلا: المعاد، وهو الأصل الثاني، وختم جل شأنه به السورة.

ذكر تعالى في بدء هذه السورة: الأصل الثالث، وهو النبوة.

## ثامناً : هدف السورة

وهدفها: هو إنذار الكفار بهذا الكتاب، السار للأبرار، بدخول الجنة، والنجاة من النار.

واسمها "السجدة" منطبق على ذلك بما دعت إليه آياتها من الإخبات، وترك الاستكبار (١٤).

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة وثلاث مجموعات.(١٥)

المقدمة.. عبارة عن (٣) آيات.

من الآية الأولى... حتى نهاية الآية (٣).
وفيها:
تقرير: نفي الشك عن القرآن، وأنه من عند الله.
ونفي: أن يكون من عند محمد صلى الله عليه وسلم.
وبيان: الحكمة في إنزال القرآن، وهو الإنذار لأمة لم يرسل لها رسول من قبل.

والمجموعة الأولى... عبارة عن (٦) آيات.
من الآية (٤) وحتى نهاية الآية (٩)
وفيها:
الحديث عن الله تعالى، وأنه الخالق، وأنه المدبر، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأنه الذي أحسن كل شيء خلقه، وأنه خالق الإنسان، وأنه الجاعل له السمع والأبصار والأفئدة.
وهذا كله يقتضي: أن يدبر الله أمر عبادة، وأن يرسل لهم رسولاً، وأن ينزل عليهم وحياً..
ومن ثم : كان هذا القرآن.
وكذلك: فيها الحديث عن التذكر (أفلا تتذكرون) وعن الشكر (قليلا ما تشكرون)..!!
والتذكر والشكر: يحتاجان إلى مذكر ودليل على الشكر..
ومن ثم: كان هذا القرآن.

والمجموعة الثانية.. عبارة عن (١٣) آية
من الآية (١٠) حتى نهاية (٢٢).
وفيها:
الحديث عن مظهر من مظاهر انعدام الشكر، وهو الكفر باليوم الآخر، الذي هو أثر عن الكفر بآيات الله.
ومن ثم: تأتي آيات تذكر علامة الإيمان بآيات الله، فنعرف بذلك: حال من يشك ويرتاب، وحال من لا يشك ولا يرتاب.
ثم تأتي: آيات تقارن بين هؤلاء وهؤلاء، وتذكر بمآل هؤلاء وهؤلاء.
وبذلك: تتضح دعوة آيات هذه المجموعة إلى الإيمان وترك الشك.

والمجموعة الثالثة والأخيرة.. عبارة عن (٨) آيات.
من الآية (٢٣) حتى نهاية الآية (٣٠)
وفيها:
الحديث عن إيتاء الله الكتاب لموسى عليه السلام.
ولذلك: فليس القرآن بدعا في أن يكون الله تعالى قد أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وآتاه إياه.
وذلك دعوة للإيمان.
وكذلك: بيان لما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من أهل الكفر.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما اشتملت عليه السورة الكريمة من الموضوعات(١٦) هو:

١- إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أن مشركي العرب لم يأتهم رسول من قبله.

٢- إثبات وحدانية الله، وأنه المتصرف في الكون، المدبر له على أتم نظام وأحكم وجه.

٣- إثبات البعث والنشور، وبيان أنه يكون في يوم كألف سنة مما تعدون.

٤- تفصيل خلق الإنسان في النشأة الأولى، وبيان الأطوار التي مرت به، حتى صار بشراً سوياً.

٥- وصف الذلة التي يكون عليها المجرمون يوم القيامة، وطلبهم الرجوع إليه الدنيا لإصلاح أحوالهم، ورفض ما طلبوا لعدم استعدادهم للخير والفلاح.

٦- تفصيل أحوال المؤمنين في الدنيا، وذكر ما أعده الله لهم من النعيم، والثواب العظيم في الآخرة.

٧- استعجال الكفار لمجيء يوم القيامة استبعاداً منهم لحصوله.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- في قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [الآية: ١١].

روى ابن ابي حاتم.. عن جعفر بن محمد قال: سمعت أبي يقول: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار...

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا ملك الموت أرفق بصاحبي.. فإنه مؤمن..!!

فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقرَّ عيناً، فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر، في برّ وبحر، إلا وأنا أتصفحهم كل يوم خمس مرات، حتى أني أعرف بصغرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضئه ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها.

قال جعفر: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة.

فإذا حضرهم عند الموت، فإن كان ممن يحافظ على الصلاة: دنا منه الملك، ودفع عنه الشيطان، ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة.

٢- في قوله تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [الآية: ١٦].

روى الإمام أحمد.. عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه، ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله..!

أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار.

قال: "لقد سألت عن عظيم، وأنه ليسير على من يسره الله عليه.

تعبد الله ولا تشرك به شيئاً.

وتقيم الصلاة.

وتؤتي الزكاة.

وتصوم رمضان.

وتحج البيت.

ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير...؟

الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

ثم قال:

ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه..؟

فقلت: بلى يا رسول الله..!!

فقال:

رأس الأمر: الإسلام.

وعموده: الصلاة.

وذروة سنامة: الجهاد في سبيل الله.

ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله..؟

فقلت: بلى يا رسول الله..!!

فأخذ بلسانه، ثم قال: كف عليك هذا.

فقلت: يا رسول الله...!! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به..؟

فقال: ثكلتك أمك يا معاذ..! وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم.. إلا حصائد ألسنتهم..؟؟(١٧)

[الحديث رواه: الترمذي والنسائي وابن ماجة في سننهم من طرق عن معمر، وقال الترمذي:حسن صحيح].

٣- في قوله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [الآية، ٢٢].

روى ابن جرير... عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ثلاث من فعلهن فقد أجرم: عقد لواءً في غير حق، أو عق والديه، أو مشى مع ظالم بنصره، فقد أجرم. قال تعالى {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}.

٤- في قوله تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [الآية: ٢٤]

أخبر تعالى: أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين.

حيث إن:

الصبر: يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة.

واليقين: يدفع الشكوك والشبهات(١٨).

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٧٣/١
السيوطي / الإتقان (النوع ١٧)
الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة السجدة"
الألوسي / روح المعاني "تفسير سورة السجدة"
القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة السجدة"
٢- انظر: القاسمي نفسه
٣- انظر: الفيروزابادي والسيوطي، والآلوسي "مصادر سابقة"
٤- انظر الفيرزابادي والآلوسي "مصادر سابقة"
٥- انظر: الآلوسي، والقاسمي "مصادر سابقة"
٦- البخاري ــ واللفظ له ــ كتاب الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة. مسلم.. كتاب: الجمعة
٧- قال ابن كثير: تفرد به أحمد.
٨- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٩٦
السخاوي / جمال القراء ٢١٢/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٧٣/١
النيسابوري / غرائب القرآن "تفسير سورة السجدة"
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة السجدة"
محمد غوث / نثر المرجان ٣٤٦/٥
انظر: الزنجاني / تاريخ القرآن ص١١١، ص١١٣
انظر: الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة السجدة"
١١- أخرجه البخاري، الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ومسلم...، الجمعة، باب ما يقرأ في فجر يوم الجمعة.
١٢- أخرجه: الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، وقال: هذا حديث صحيح.
والدرامي.. في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب في فضل سورة تنزيل السجدة، وتبارك.
والحاكم في المسند، كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة.
هذا ...
وصححه الألباني.
١٣- أخرجه مسلم... كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة.
١٤- البقاعي / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٢/١٥
١٥- سعيد حوى / الأساس في تفسير القرآن "تفسير سورة السجدة"
١٦- المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة السجدة"
١٧- أخرجه: الترمذي والنسائي وابن ماجة، في سننهم من طرق عن معمر، وقال الترمذي: حسن صحيح.
١٨- بدائع التفسير ٤١٦/٣

# مفاتيح سورة الأحزاب

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة.. تسمى بـ:**
**١- سورة الأحزاب:(١)**
**وذلك: لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب، في قوله تعالى {يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا...} [الآية، ٢٠].**
**خاصة: وأن قصتها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متضمنه لنصره بالريح، بحيث كفى الله المؤمنين القتال، وقد بها بين المؤمنين والمنافقين.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**آياتها:(٢) (٧٣) ثلاث وسبعون آية.**
**وكلماتها: (١٢٨٠) ألف ومائتان وثمانون كلمة.**
**وحروفها: (٥٧٩٦) خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد سورة "السجدة"، وقبل: سورة "سبأ".**
**ب- في الترتيب.. بعد سورة "آل عمران" وقبل: سورة "الممتحنة".(٣)**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار في ذلك تفيد سببها لنزولها كلها.**
**بَيْدَ أن هناك من الآثار الصحيحة ما يدل على أسباب لنزول بعض آياتها.**
**ونكتفي بذكر سبب نزول أولها فعن ابن عباس أنه قال:(٤)**
**أن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مدنية.**

## سادساً : فضل السورة

**لم نعثر على آثار صحيحة في فضل هذه السورة.. سوى حديث (وائلة بن الأسقع) حيث إنها من قسم المثاني.**
**ومن أراد مراجعة الحديث: فلينظره في فضل سورة البقرة.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**تشابه مطلع الأحزاب مع خاتمة السجدة قبلها.(٥)**
**فإن سورة السجدة: ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، في قوله تعالى {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ} [الآية، ٣].**
**والأحزاب: بدئت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، وإتباع ما أوحي إليه، من الله عز وجل.**
**وبين الخاتمة والمطلع من التناسب: ما لا يخفى.**

## ثامناً : هدف السورة

**تهدف سورة الأحزاب إلى:**
**١- فهم التقوى، والالتزام بها.**
**٢- تعرفنا كيف نتعامل مع الأحداث، والمحن.**
**٣- تحدد أطر المجتمع المسلم والأخلاقيات العليا لأفراده.**
**٤- تذكر الإنسان بمحاسبة نفسه، وأن يكون على ذكر الله، مسلّم له تعالى.**
**٥- كما أنها(٥) تَحُثُّ على الصدق والإخلاص في التوجه إلى الخالق، من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله.**
**فهو الذي يعلي من يشاء، وإن كان ضعيفاً، ويردي من يريد، وإن كان قوياً.**
**لذلك: فلا يهتمن الماضي لأمره، برجاء لأحد منهم في بره، ولا خوف منه في عظيم شره، وخفي مكره.**

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من عشرة أقسام.(٧)

ويلاحظ جيداً: أن كل قسم منها يبدأ بصيغة النداء (يا أيها)، إما (يا أيها النبي) وإما (يا أيها الذين آمنوا)

كما يلاحظ: أن هذين الندائين.. يتناوبان في السورة تناوباً مطرداً، إلا في آخر السورة.. إذ تتكرر (يا أيها الذين آمنوا) مرتين.

وعلى هذا: فكل بداية بـ (يا أيها) سنعتبرها قسماً مستقلاً.

إلا في الندائين الأخيرين، فسنعتبرهما قسماً واحداً.

وهذه هي الأقسام العشرة:

القسم الأول: عبارة عن (٨) آيات.

من الآية الأولى ... وحتى نهاية الآية (٨).

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبي)

وفيه: مجموعة الأوامر التي صدرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأمته من خلال شخصه الكريم.

وهي: التي تحدد الطريق العملي للسلوك.

وهي:

التقوى.

وترك طاعة الكافرين والمنافقين.

وإتباع الوحي... وهو: الكتاب والسنة.

والتوكل على الله تعالى.

ويلاحظ: أن الصلة بين هذه الأوامر واضحة.

فالتقوى: لا تكون مع طاعة الكافرين والمنافقين؛ إنْ الكافرون والمنافقون: يرغبون في أن يحرفوا المؤمنين.

والتقوى، وترك طاعة الكافرين والمنافقين، وإتباع الوحي: كلها تحتاج إلى توكل على الله، وتفويض أمر له، ومعرفة به، ومن ثم: جاء الأمر بالتوكل.

وإذا استقرت هذه الأمور: جاءت في هذا القسم الأحكام.

القسم الثاني.. عبارة عن (١١) آية

من الآية (٩) حتى نهاية الآية (١٩)

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)

وفيه: بيان فضل الله على المؤمنين في ساعات المحنة.

وفي ذلك: نوع تذكير على أنه على المؤمنين أن يطيعوا ويطمئنوا، فالله معهم إن كانوا صادقين.

وقد رأينا من خلال هذا التذكير: مظهراً من مظاهر الوفاء بالعهد، ومظهراً من مظاهر نقضه.

كما رأينا: مظهراً من مظاهر النفاق، ومظهراً من مظاهر الإيمان.

ورأينا ــ ثالثاً ــ الطريق العملي للتحقق بكمال الإيمان.. بذكر طريق القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورأينا ــ كذلك ــ صورة عملية للامتحان الشديد الذي يعقبه نصر.

ورأينا صورة عملية للتوكل الصحيح.

القسم الثالث.. عبارة عن (١٣) آية.

من الآية (٢٨) حتى نهاية الآية (٤٠)

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبي).

وفيه:

الذكر التفصيلي لأخلاقيات أهل الإيمان.
ونلاحظ أولاً: أنه قد صدرت عدة أوامر للقدوة العليا للمسلمات، وهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
وهي:
١- إرادة الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم، والدار الآخرة.
٢- التنزه عن الفواحش كلها.
٣- عدم الخضوع بالقول واللين فيه، مع الكلم الطيب.
٤- القرار في البيوت، إلا لحاجة مشروعة.
٥- عدم التبرج.
٦- إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.
٧- الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم.
٨- ذكر الكتاب والسنة.
وإذا استقرت هذه المعاني : تأتي آية تتحدث عن الصفات العليا للرجل والمرأة.
وهي: الصفات التي يستحق بها أهلها مغفرة الله وجنته.
وهكذا .. يرفع هذا القسم: الرجل والمرأة إلى ذرى التقوى، بالدلالة على الطريق.
ثم تأتي ــ بعد ذلك ــ آية: تبين مظهراً من مظاهر هذا الإسلام.
القسم الرابع.. عبارة عن (٤) آيات.
من الآية (٤١) حتى نهاية الآية (٤٤).
وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)
وفيه:
الأمر بالذكر الكثير؛ حيث إن ذلك هو الطريق لصلاة الله علينا.
وهذا: بيان للطريق العملي، الذي ينبغي أن يسلكه راغب الهداية، لينأى عن الضلال.
كما أن الذكر الكثير: طريق الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو واحد من صفات المسلمين.
القسم الخامس... عبارة عن (٤) آيات.
من الآية (٤٥) حتى نهاية الآية (٤٨)
وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبي)
وفيه:
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بأنه شاهد، وبشير، ونذير، وداع إلى الله بإذنه، وسراج منير.
وبعد هذا الخطاب: يأمره بتبشير المؤمنين، ومقاطعة الكافرين والمنافقين.
القسم السادس.. عبارة عن (آية واحدة).
وهي الآية (٤٩)
وفيها: نموذج على إضاءة هذا الإسلام للإنسان طريقه في كل شيء.
وذلك: من خلال حكم من أحكام الإسلام، تسوقه، ويدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
القسم السابع.. عبارة عن (٣) آيات.
من الآية (٥٠) حتى نهاية الآية (٥٢)
وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبي)
وفيه:

هدم لما يتصوره كثير من الناس.. من أن الزواج يتنافى مع العبادة، بل هدم لما يزعمه بعضهم من أن الزواج يتنافى مع مقام "عالم الدين".

وقد جاء هذا القسم بهدم هذه المزاعم هذه المزاعم في سورة تهدِّم الكثير من عادات الجاهلية وأفكارها.

وبذلك: بين هذا القسم أحكاماً من أحكام الله ينبغي الإيمان بها، والتسليم لها.

القسم الثامن.. عبارة عن (٦) آيات.

من الآية (٥٣) حتى نهاية (٥٨).

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)

وفيه:

حديث عن آداب المؤمنين مع بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ومع أزواجه الطاهرات.

القسم التاسع.. عبارة عن (١٠) آيات

من الآية (٥٩) حتى نهاية الآية (٦٨).

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها النبي)

وفيه:

الأمر للمؤمنات في وجوب الستر، والستر في المجتمع الإسلامي: ضروري لإقامة التقوى عند الذكور والإناث.

وفيه كذلك:

التهديد للكافرين والمنافقين، الذين لا همّ لهم إلا نشر الفاحشة والفجور والإشاعات.

القسم العاشر... عبارة عن (٥) آيات.

من الآية (٦٩) حتى نهاية الآية (٧٣) وهي خاتمة السورة.

وهو: يبدأ بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)

وفيه:

النهي عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بالتقوى، والقول السديد، ووصف الإنسان بالظلم والجهل.

ويلاحظ: أن مجيء الأمر بالتقوى والقول السديد، بعد النهي عن إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم.. يوحي بأننا مطالبون بشيئين: ترك الكلام المؤذي، وقول الكلام السديد، وذلك بصفة عامة.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما حوته السورة الكريمة من أغراض ومقاصد.. هو:(٨)

١- الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين.

٢- وجوب إتباع ما ينزل به الوحي مع ضرب المثل لذلك.

٣- إبطال العادة الجاهلية وهي إعطاء المتبنّي حكم الابن، وبيان أن الدين منه براء.

٤- إبطال التوريث بالحلف والتوريث بالهجرة، وإرجاع التوريث إلى الرحم والقرابة.

٥- ذكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم في وقعة الخندق بعد أن اشتد بهم الخطب.

٦- تخيير النبي نساءه بين شيئين: الفراق إذا أردن زينة الحياة الدنيا، أو البقاء معه إذا أحببن الله ورسوله والدار الآخرة.

٧- التشديد عليهن بمضاعفة العذاب إذا ارتكبن الفواحش ، ونهيهن عن الخضوع في القول وأمرهن بالقرار في البيوت، وتعليمهن كتاب الله وسنة رسوله، ونهيهن عن التبرج.

٨- قصة زينب بنت جحش وزيد مولى رسوله صلى الله عليه وسلم.
٩- ما أحل لنبيه من النساء وتحريم الزواج عليه بعد ذلك.
١٠- النهي عن إيذاء المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم إذا دخلوا بيته لطعام ونحوه.
١١- الأمر بكلام أمهات المؤمنين من وراء حجاب إذا طلب منهن شيء إلا الآباء والأبناء والأرقاء.
١٢- أمرهن بإرخاء الجلباب إذا خرجن لقضاء حاجة.
١٣- تهديد المنافقين وضعاف الإيمان والمرجفين في المدينة.
١٤- سؤال المشركين عن الساعة متى هي؟
١٥- النهي عن إيذاء النبي حتى لا يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا...} [الآية، ٩].

هذه الآية وما بعدها: تسجيل لمعركة الأحزاب.

ويقول الأستاذ/ سعيد حوي:(٧) ونلاحظ أن القرآن الكريم، سجل لنا.. معركة بدر، ومعركة أحد، وإجلاء بني النضير، ومعركة الأحزاب، وصلح الحديبية، وغزوة حنين، وغزوة تبوك.

وفي كل معركة عبرة رئيسية لهذه الأمة، إذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، هي النموذج الكامل لكل صور الحياة، التي تلابس سير الأمة الإسلامية.

فغزوة بدر: عبرتها الرئيسية: أن لله نصراً خاصاً ينزله على عبادة المؤمنين، إذا تحققوا بشروطه، ولو كانت الموازين العادية للنصر ليست متوفرة لهم.

وغزوة أحد.. عبرتها الرئيسية: أن أي إخلال بطاعة القيادة، يترتب عليه خلل.

وغزوة الأحزاب.. عبرتها الرئيسية: أنه متى تألب أعداء الله على المسلمين.. فإنه سيبعث لهم فرجاً من حيث لا يحتسبون، إذا ثبتوا وصدقوا.

وغزة حنين.. عبرتها الرئيسية: أن أي خلل نفسي تخرج به النفس الإسلامية عن ربانيتها، واعتمادها على الله وحدة، يؤدي إلى الهزيمة.

وغزوة تبوك.. عبرتها الرئيسية: أن المعلم عليه في كل حال أن يشارك في الجهاد مهما كان الوضع قاسياً.

وصلح الحديبية.. عبرته الرئيسية: أني يرى المسلم في قرار قيادته الإسلامية.. الحكمة، ويسلم له، ولو كان غير مرتاح له، أو مقتنع به.

٢- في قوله تعالى {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الآية، ٣٣].

روى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس ... قال:

"جئن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلن: يا رسول الله..!! ذهب الرجال، بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى، فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله..؟

فقال صلى الله عليه وسلم: من قعدت منكم في بيتها: فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله."

وروى البزار عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرقها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحه ربها وهي في قعر بيتها.

٣- في قوله تعالى{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} [الآية، ٣٩].

روى ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال، ثم لا يقوله، فيقول الله ما يمنعك أن تقول منه؟ فيقول: رب خشيت الناس، فيقول: فأنا أحق أن يخشى منه".

٤- في قوله تعالى {اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الآية، ٤١].

روى أحمد

جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال أحدهما: يا رسول الله..!! ... أي الناس خير...؟

قال: "من طال عمره وحسن عمله".

وقال الآخر: يا رسول الله ..!! إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمرني بأمر أتشبث به".

قال "لا يزال لسانك رطباً بذكر الله"

وروى أحمد:

أنه صلى الله عليه وسلم قال "أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون"

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة."

٥- في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الآية، ٤٩].

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة.(٩)

منها إطلاق النكاح على العقد وحده. وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها.

وقد اختلفوا في النكاح: هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال: واستعمال القرآن، إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية. فإنه استعمل في العقد وحده لقوله تعالى {إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ}.

وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها.

وقوله تعالى {الْمُؤْمِنَاتِ} خرج مخرج الغالب؛ إذا لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك، بالاتفاق.

وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المسيب والحسن البصري وزين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية، على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لقوله تعال {إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ} فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله.

وهذا مذهب الشافعي وأحمد وطائفة كثير من السلف والخلف. وأيّده ما روي مرفوعاً "لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك"(١٠).

وأيضاً ما روي عن علي والمِسْوَر بن مخرمة رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم :"لا طلاق قبل النكاح"(١١)

وقوله تعالى {فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} هذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها. فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت.

ولا يستثني من هذا إلا المتوفي زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً، وإن لم يكن دخل بها، بالإجماع أيضاً.

وقوله تعالى {فَمَتِّعُوهُنَّ} المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها، قال تعالى {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} [البقرة،

٢٣٧]. وقال عز وجل {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [البقرة، ٢٣٦].

وعن ابن عباس: إن كان سمى لها صداقاً، فليس لها إلا النصف وإن لم يكن سمى لها صداقاً، فأمتعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل.

وعليه:

فالآية في المفوضة التي لم يسم لها.

وقيل: الآية عامة، وعليه، فقيل الأمر للوجوب، وأنه يجب مع نصف المهر المتعة أيضاً، ومنهم من قال للاستحباب، فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء.

٦- في قوله تعالى {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا} [الآية، ٥٢].

في قوله تعالى {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} دليل على جواز النظر من الرجل إلى التي يريد نكاحها من النساء.

ويدل عليه ما روى عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل.(١٢)

وروى مسلم عن أبي هريرة(١٣) أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً. قال الحميدي: يعني هو الصَّغر.

وعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت امرأة. فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: هل نظرت إليها؟ قلت: لا. قال: فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما.(١٤)

٧- في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الآية، ٥٣].

هذا خطاب لبعض الصحب، وحظر عليهم أن يدخلوا منازله صلى الله عليه وسلم بغير إذن.

كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام.

قال ابن كثير: أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول؛ فإن هذا مما يكره الله ويذمه.

وهذا دليل على تحريم التطفل، وهو الذي تسمه العرب الضيفن.

وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتاباً في ذم الطفيليين، وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها.

وأقول:(٩) قد يكون معنى قوله {غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} نهياً لهم أن يدخلوا ــ مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوين ــ قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه، عجلة وانتظاراً لنضج الطعام.

فإن ذلك مما يؤذي قلب صاحب الدعوة، لشغل هذه الحصة معهم بلا فائدة، إلا ضيق صدر الداعي وأهله، وشغل وقته وتوليد حديث، وتكلف لكلام لا ضرورة له، وإطالة زمن الحجاب على نسائه.

وما ذلك إلى من شؤم التعجيل قبل الوقت.

ولذلك قال تعالى {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا} أي إذا دعيتم إلى الدخول في وقته، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده.

فــ (لكن) استدراك من النهي عند الدخول، مع الإذن المطلق الذي هو الدعوى بتعليم أدب آخر، وإفادة شرط مهم، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه.

وهذا المنهي عنه لم يزل يرتكبه ثقلاء القرويين ومن شاكلهم من غلظاء المدنيين الذين لم يتأدبوا بآداب الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

وهو أنهم إذا دعوا لتناول طعام يتعجلون المجيء قبل وقته بساعات، مما يغم نفس الداعي وأهله، ويذهب لهم جانباً من عزيز وقتهم عبثاً إلا في سماع حديثهم البارد، وخدمتهم المستكرهة كما قدمنا.

فعلى ما ذكرناه يكون في الآية فائدة جميلة، وحكم مهم. وهو حظر المجيء قبل الوقت المقدّر. ولذا قيل: إنها آية الثقلاء.

ثم أشار سبحانه إلى أدب آخر بقوله تعالى {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا} أي تفرقوا ولا تمكثوا {وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} أي لحديث بعضكم بعضاً، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له، حيث {إِنَّ ذَٰلِكُمْ} أي المنهي عنه في الآية {كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} أي لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه {فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ} أي من الإشارة إليكم بالإنتشار {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ } يعني أن انتشاركم حق. فينبغي أن لا يترك حياء.

وفي هذه آية الحجاب التي أمر الله بها أمهات المؤمنين، بعد أن كان النساء لا يحتجبن.

وفيها جواز سماع كلامهن ومخاطبتهن.

وفيها تحريم أذى النبي صلى الله عليه وسلم بسائر وجوه الأذى.

وقال ابن كثير: هذه آية الحجاب.

وفيها أحكام، وآداب شرعية.

وهي مما وافق تنزيلها قول عمر رضي الله عنه، كما روى البخاري(١٥) عنه أنه قال: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فأنزل الله آية الحجاب.

وكان يقول لو أطاع فيكن، ما رأتكن عين.

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، التي تولى الله تزويجها بنفسه تعالى.

وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة (في قول قتادة والواقديّ وغيرها).

وزعم أبو عبيدة، معمر بن المثنى، وخليفة بن خياط، أن ذلك كان في سنة ثلاث. فالله أعلم.

وروى البخارى(١٥) عن أنس قال: لما تزوج رسول الله صلى زينب بنت جحش، دعا القوم فطمعوا ثم جلسوا يتحدثون. فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد أنطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} الآية.

ورواه مسلم(١٦) أيضاً والنسائي.

وعن أنس أيضاً قال: بنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو. فقلت: يا رسول الله! ما أجد أحداً أدعوه، قال: ارفعوا طعامكم، وبقى ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، قالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت أهلك؟ يا رسول الله ! بارك الله لك.

فتقرَّى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدرى آخبرته أو أخبر، أن القوم خرجوا. فرجع، حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة، والأخرى خارجة، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

انفرد به البخاري.(١٥)

وأخرج نحوه مسلم والترمذيّ. كما بسطه ابن كثير.(٩)

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): قال عياض: فرض الحجاب مما اختصصن به.

فهو فرض عليهن بلا خلاف، في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها، ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات، إلا ما دعت إليه ضرورة.

ثم استدل بما في (الموطأ) أن حفصة لما توفى عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها.

وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها يستر شخصهاً.

وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن.

وقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن.

وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعهن منهن الحديث، وهن مستترات الابدان لا الأشخاص.

ومما يؤيده ما رواه البخاري(١٥) في التفسير عن عائشة رضي الله عنها. قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفنها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة! أماوالله! ما تخفين علينا، فانظرى كيف تخرجين.

قالت: فانكفات راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وإنه ليغشى وفي يده عَرْق، فدخلت فقالت: يا رسول..!! إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا.

قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه، وإن العَرْق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أَذِنَ لكن أن تخرجن لحاجتكن.

قال الكرماني: فإن قلت وقع هنا أنه كان بعد ما ضرب الحجاب وفي الوضوء ــ أي من البخاري ــ أنه كان قبل الحجاب. فالجواب لعله وقع مرتين.

قال ابن حجر: قلت بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني.

والحاصل أن عمر رضي الله عنه وقع في قلبه نفرة من إطلاع الاجانب على الحريم النبوي، حتى صرح بقوله له عليه الصلاة والسلام: احجب نساءك، وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب، ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن أصلاً، ولو كن مستتراتن، فبالغ في ذلك فمنع منه، وأذن لهن في الخروج لحاجتهن، دفعاً للمشقة، ورفعاً للحرج.

وإنما نقلنا الجمع بين الروايتين، لما اتفق من نقل كثير من المفسرين إحدى الروايتين ونقل آخرين الثانية، مما يوقع الواقف في شبهة الاختلاف، فآثرنا توسيع الكلام لتحقيق المقام.

زادنا الله من فضلة علما، إنه هو العليم العلام.

٨- في قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الآية، ٥٦].

قال الرازيّ: لما أمر الله المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر إلى وجوه نسائه احتراماً، كمّل بيان حرمته.

وذلك لأن حالته منحصرة في اثنتين: حالة خلوته وذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} وحالة يكون في ملأ، والملأ إما الملأ الأعلى وإما الملأ الأدنى، أما في الملأ الأعلى فهو محترم، فإن الله وملائكته يصلون عليه، وأما في الملأ الأدنى فذلك واجب الاحترام بقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وقد روى البخاري(١٧) عن أبي العالية قال: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة= الدعاء.

وقال ابن عباس: يصلون يبرّكون، أي يدعون له بالبركة.

فيوافق قول أبي العالية، لكنه أخص منه.

وبالجملة: فالصلاة تكون بمعنى التمجيد والدعاء والرحمة على حسب ما أضيف إليه في التنزيل أو الأثر.

وقد أطنب الإمام ابن القيم في (جلاء الإفهام) في مبحث معاني الصلاة، وأطال فأطاب. فلينظر.

وفي البخاري(١٧) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، أنه قيل: يا رسول الله! أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟

قال: قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم! بارك على آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه، عن أبي مسعود البدري، أنهم قالوا: يا رسول الله! أما السلام فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا؟ فقال: قولوا: اللهم ! صل على محمد وعلى آل محمد، وذكره.

ورواه الشافعي في مسنده عن أبي هريرة بمثله.

ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله، على أنه يجب على المصلي: أن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته.

ووافقه الإمام أحمد في روايةٍ.

وقال به إسحق ابن راهويه والإمام ابن المواز المالكي وغيرهم.

كما بسطه ابن القيم في ٠جلاء الأفهام) وابن كثير في (التفسير) وقد تقصّياً، عليهما الرحمة، أيضاً الروايات في الأمر بالصلاة وكيفيتها. فأوسعا. فيرجع إليهما.

تنبيهات:

الأول ــ تدل الآية على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلقاً، لأن الأصل في الأمر للوجوب..

فذهب قوم إلى وجوبها في المجلس مرة، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس.

وآخرون إلى وجوبها في العمر مرة واحدة، ثم هي مستحبة في كل حال.

وآخرون على وجوبها كلما ذكر.

وبعضهم إلى أن محل الآية على الندب.

قال ابن كثير: وهذا قول غريب..

فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة.

فمنها واجب

ومنها مستحب على ما نبينه.

فمنه بعد النداء للصلاة، لحديث (إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ) الحديث(١٨)

ومنه عند دخول المسجد لحديث (كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، ثم قال: اللهم! اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك،(١٩) وإذا خرج صلى على محمد وسلم، ثم قال: اللهم! اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك.

ومنه الصلة، فتستحب على قول الشافعي في التشهد الأول منها، وتجب في الثاني.

ومنه في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، لقول أبي إمامة: من السنة ذلك، وهذا من الصحابي في حكم المرفوع، على الصحيح.

ومنه ختم الدعاء، فيستحب الصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن آكد ذلك دعاء القنوت.

ومنه يوم الجمعة ليلتها، فيستحب الإكثار منها فيهما،

ومنه في خطبة يوم الجمعة، يجب على الخطيب في الخطبتين الإتيان بها.

وهو مذهب الشافعي وأحمد.

ومنه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم لحديث (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام) تفرد به أبو داود(٢٠) وصححه النووي في (الأذكار)، وعن الحسن بن الحسن بن علي، أنه رأى قوماً

عند القبر فنهاهم وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني.

قال ابن كثير: فلعله رآهم يسيئون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة، فنهاهم.

وقد روى أنه رأى رجلاً ينتاب القبر، فقال: يا هذا! ما أنت ورجل بالأندلس، منه إلا سواء. أي الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه.

الثاني ــ الصلاة على غير الأنبياء،

إن كانت على سبيل التبعية، كنحو: اللهم صلي على محمد وآله وأزواجه، فهذا جائز إجماعاً،

وأما استقلالاً

فجوّزه قوم؛ لآية {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} [الآية، ٤٣]. وآية {أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ} [البقرة، ١٥٧]. وآية {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة، ١٠٣]. ولحديث(٢١) (كان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم! صل عليهم، فأتاه أبوا أوفى بصدقته فقال: اللهم! صل على آل أبي أوفى.

وكرهه قوم؛ لكون صيغة الصلاة صارت شعاراً للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: قال عمر صلى الله عليه، كما لا يقال قال محمد عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً، لكون هذا من شعار ذكر الله عز وجل.

وحملوا ما ورد من ذلك في الكتاب والسنة على الدعاء لهم.

وقال ابن حجر: إن ذلك وقع من الشارع، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه ولم يثبت عنه إذن في ذلك.

وقد يقال: كفى في المرويّ المأثور المتقدم إذناً.

والاستدلال بأن ذلك من حقه فيه مصادرة على المطلوب، على أن المرجح أن الأصل الإباحة حتى يرد الحظر، ولا حظر هنا. فتدبر.

وأما السلام،

فقال الجوينيّ: هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: على عليه السلام، وسواء في هذه الأحياء والأموات.

وأما الحاضر فيخاطب به، فيقال: سلام عليك، وسلام عليكم، أو السلام عليك أو عليكم، وقد غلب ــ كما قال ابن كثير ــ على كثير من النساخ للكتب، أن يفرد عليّ رضي الله عنه بأن يقال (عليه السلام) من دون سائر الصحابة.

قال: والتسوية بينهم في ذلك أولى.

والخطب سهل.

ومن رأى المرويّ في هذا الباب، علم أن الأمر أوسع من أن يحرج فيه.

على أن هذه المسألة من فروع تخصيص العرف،

الثالث ــ قال النووي: إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فليجمع بين الصلاة والتسليم. لا يقتصر على أحدهما، فلا يقول (صلى الله عليه) فقط، ولا (عليه السلام) فقط.

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

فالأولى أن يقال صلى الله عليه وسلم تسليماً.

الرابع ــ قال الرازيّ: إذا صلى الله وملائكته عليه، فأي حاجة على صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجاته إليها، وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منه، رحمة بنا، ليثبتنا عليه.

ولهذا جاء في الحديث (من صلى عليّ مرة، صلى الله عليه بها عشراً).

وكان سبق لي من أيام معدودات أن كتبت(٩) في مقدمة مجموعة الخطب في سر الصلاة عليه، ما مثله: ويُسَنّ يوم الجمعة إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ليذكر الرحمة ببعثته، والفضل بهدايته والمنة باقتفاء هديه وسنته، والصلاح الأعظم برسالته، والجهاد للحق بسيرته، ومكارم الأخلاق بحكمته، وسعادة الدارين بدعوته، صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ما ذاق عارفٌ سرّ شريعته، وأشرق ضياء الحق على بصيرته، فسعد في دنياه وآخرته.

الخامس ــ قال الرازي: ذكر (تسليماً) للتأكيد ليكمل السلام عليه، ولم يؤكد الصلاة بهذا التأكيد، لأنها كانت مؤكدة بقوله {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}.

وقيل: إنه من الاحتباك، فحذف (عليه) من أحدهما، و(المصدر) من الآخر.

قال القاضي: قيل معنى {وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} أي انقادوا لأوامره، فالسلام من التسليم والإنقياد.

السادس ــ قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): سئلت عن إضافة الصلاة إلى الله دون السلام، وأمر المؤمنين بها وبالسلام،

فقلت: يحتمل أنا يكون السلام له معنيان: التحية والإنقياد، فأمر به المؤمنين لصحتهما منهم، والله وملائكته لا يجوز منهم الإنقياد، فلم يضف إليهم، دفعاً للإيهام، والعلم عند الله.

وقال الشهاب: قد لاح في تخصيص السلام بالمؤمنين دون الله وملائكته، نكته سرية، وهي أن السلام تسليمه عما يؤذيه، فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكر ما يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، والأذية إنما هي من البشر وقد صدرت منهم، فناسب التخصيص بهم والتأكيد.

٩- في قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الآية، ٥٨].

قال الزمخشري: أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبداً، وأما أذى المؤمنين والمؤمنات، فمنه ومنه.

في هذه الآية تحريم أذى المسلم، إلا بوجه شرعي، كالمعاقبة على ذنب.

ويدخل في الآية= كل ما حرم للإيذاء، كالبيع على بيع غيره، والسوم على سومه، والخطبة على خطبته.

وقد نص الشافعي على تحريم أكل الإنسان مما يلي غيره، إذا اشتمل على إيذاء.

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عائشة مرفوعاً (أربى الربا عند الله، استحلال عرض امرئ مسلم) ثم قرأ هذه الآية.

وأخرج عن قتادة في هذه الآية: إياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه ويغضب له.

وقد زعموا أن عمر بن الخطاب قرأها ذات يوم، فأفزعة ذلك، حتى ذهب إلى أبي بن كعب، فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر! إني قرأت آية من كتاب الله فوقعت مني كل موقع {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ} الآية، والله! إني لأعاقبهم وأضربهم، فقال له: إنك لست منهم، إنما أنت مؤدب، إنما أنت معلم.

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١

الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٧٧/١

الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة الأحزاب"

٢- القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة الأحزاب"

انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٢٩٧

السخاوي / جمال القراء ٢١٢/١

الفيروزابادي / بصائر ٣٧٧/١

الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة الأحزاب"

محمد غوث / نثر المرجان ٣٦٩/٥

٣- انظر: الزنجاني / تاريخ القرآن ص١١١- ١١٣

٤- انظر: الواحدي / أسباب النزول ص٢٣٦

السيوطي / لباب النقول ص١٧٤

٥- انظر: البقاعي / نظم الدرر ٢٧٣/١٥

الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة الأحزاب"

٦- انظر: البقاعي / نظم الدرر ٢٧٣/١٥

٧- انظر: سعيد حوي / الأساس في التفسير "تفسير سورة الأحزاب"

٨- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة الأحزاب"

٩- انظر: القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة الأحزاب"

١٠- رواه: أبو داود، الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روى في هذا الباب.

١١- أخرجه: ابن ماجة في سننه كتاب الطلاق، باب لا طلاق قبل النكاح.

١٢- أخرجه: الترمذي.. كتاب: التفسير.

١٣- كتاب النكاح.....

١٤- أخرجه الترمذي.. كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

١٥- أخرجه في صحيحه.. كتاب: التفسير، سورة الأحزاب، باب قوله {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ}

١٦- في صحيحه ــ كتاب: النكاح.

١٧- أخرجه في صحيحه.. كتاب: التفسير، سورة الأحزاب، باب {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}

١٨- البخاري... كتاب: الآذان، باب: ما يقول إذا سمع المنادي.

١٩- الترمذي.. كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فيما يقول عند دخول المسجد.

٢٠- أبو داود.. كتاب: المناسك، باب: في زيارة القبور.

٢١- البخاري.. كتاب: الزكاة، باب: صلاة الإمام ودعاؤه لصاحب الصدقة.

# مفاتيح سورة سبأ

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة.. تسمى بـــ:**
**سورة سبأ:(١)**
**وذلك: لتضمن قصتها آية { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ} [الآية: ١٥]**
**تدل على نعيم الجنة.. في السعة، وعدم الكلفة، والخلو عن الآفة، وتبدلها بالنقم لمن كفر بالنعم.(٢)**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها:(٣) (٥٤) أربع وخمسون آية.**
**وعدد كلماتها: (٨٨٠) ثمانمائة وثمانون كلمة.**
**وعدد حروفها: (٤٥١٢) أربعة آلاف وخمسمائة واثنتا عشرة حرفا.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "الأحزاب"، وقبل: سورة "فاطر".**
**ب- في النزول.. بعد: سورة "لقمان، وقبل: سورة "الزمر".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على سبب لنزول السورة.**
**ولكن توجد رواية.. توحي بجو نزولها، وتعد سبباً لنزول بعض آياتها.**
**إذ يروي:**
**أن أبا سفيان قال لكفار مكة(٤)، لما سمعوا قوله تعالى { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب: ٧٣]: كأن محمداً يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت، ويتخوفنا بالبعث..!!**
**واللات والعزى.. لا تأتينا الساعة أبداً، ولا نبعث.**
**فقال تعالى: قل يا محمد { بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ: ٣].**
**وباقي السورة: تهديد لهم وتخويف.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية، سوى قوله تعالى { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [الآية: ٦]. فهي مدنية.**

## سادساً : فضل السورة

**هذه السورة جليلة القدر، عظيمة الشأن.**
**حيث إنها تدخل ضمن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي رواه: وائلة بن الأسقع.**
**وذلك: لأنها عن قسم المثاني.**
**ومما ينبغي التنبيه عليه: أن حديث أبي بن كعب ....**
**الذي فيه (من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً وصاحباً).**
**هو: حديث موضوع [أنظر: مفاتيح سورة الفاتحة، فضل سورة الفاتحة].**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**١- قال تعالى في آخر الأحزاب {.... لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...} [الآية: ٧٣].**
**وذكر في مطلع هذه صفات لله تعالى تناسب هذا الحكم السابق، إذ يقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [الآيتان: ١، ٢].**
**٢- في الأحزاب: سؤال الكفار عن الساعة على سبيل الاستهزاء.. في قوله { يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ....} [الآية: ٦٣].**
**وهنا: حكى عنهم إنكارهم صريحا، وطعنهم على من يقول بالمعاد.. في قوله { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ...} [الآية: ٣].**

## ثامناً : هدف السورة

**بيان: أن الدار الآخرة ـــ التي أشار إليها آخر الأحزاب بالعذاب والمغفرة، بعد أن أعلم أن الناس يسألون عنها ـــ كائنة لا ريب فيها، لما في ذلك من الحكمة، وله عليها من القدرة، وفي تركها من عدم الحكمة، والتصوير بصورة الظلم.(٥)**

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وثلاثة أقسام.(٦)
ويلاحظ: أن كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يبدأ بقوله تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا}
المقدمة.. عبارة عن (آيتين)
من الآية الأولى... وحتى نهاية الآية الثانية.
وفيها:
الإخبار عن استحقاق الله عز وجل للحمد، لأنه المالك، والعليم، والحكيم، والخبير، والرحيم، والغفور.
فموضوع وجوده عز وجل ــ إذن ــ بديهة.
وموضوع حمده وشكره كذلك: بديهة.
ويلاحظ: أن هذه المقدمة التي تأتي بين يدي مناقشة أقوال الكافرين، كما سنرى: تشعر أن كفر الكافرين وعدم شكر الجاحدين، في غير محله.
وهي بهذا تبين: ما يستحقه الله عز وجل، لكماله وإنعامه.
والقسم الأول.. عبارة عن (٤) آيات.
من الآية (٣) حتى نهاية الآية (٦).
وفيه:
ذكر كفر الكافرين بالآخرة، والرد عليهم
وذكر حكمة مجيء اليوم الآخر.
والقسم الثاني.. عبارة عن (٢٤) آية.
من الآية (٧) حتى نهاية الآية (٣٠).
وفيه:
يلاحظ جيداً: الحديث في بدايته ونهايته بشكل صريح عن اليوم الآخر.
كما يلاحظ: أنه بين هذه البداية وتلك النهاية لهذا القسم جاء الحديث:
عن داود وسليمان عليهما السلام.
وعن سبأ.
وعن أوامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها كلاماً يتساءل به تارة، ويقرر من خلاله أخرى.
وقد أقام هذا القسم: الحجة على منكري البعث من خلال لفت النظر إلى قدرة الله تعالى على العذاب في الدنيا، بإنزال الكسف من السماء، وبالخسف في الأرض.
حيث إن القادر على ذلك: قادر على التعذيب في اليوم الآخر، وقادر بالتالي على إيجاد اليوم الآخر.
القسم الثالث.. عبارة عن (٢٤) آية.
من الآية (٣١) حتى نهاية (٥٤) وهي خاتمة السورة.
وفيه:
علاج موضوع الكفر: بالقرآن، وباليوم الآخر.
تارة من خلال: عرض مشاهد، من مشاهد يوم القيامة. [الآيات ٣١-٣٣].
وتارة من خلال: الرد المباشر على فكرة خاطئة [الآيات ٣٤-٣٩].
وتارة من خلال: الدلالة على طريق الهداية [الآيات ٤٠- ٤٢].

وتارة من خلال: البيان للواقع [الآيات ٤٣-٤٥].
ثم ينتهي القسم بمجموعة أوامر موجهه للرسول صلى الله عليه وسلم، بصيغة (قل) [الآيات ٤٦-٥٤].

### عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما اشتملت عليه السورة الكريمة من حكم وأحكام(٧)
١- حمد الله والثناء عليه بما هو أهله.
٢- مقال المشركين في إنكار البعث والرد عليهم بأنه آتٍ لا شك فيه.
٣- الاستهزاء بالرسول وحكمهم عليه بأنه إما مفتر وإما مجنون.
٤- النعم التي آتاها الله تعالى سبحانه داود وسليمان عليهما السلام.
٥- ما كان لسبأ من النعم ثم زوالها لكفرانهم بها وإتباعهم وسوسة الشيطان.
٦- النعي على المشركين لعبادتهم الأوثان والأصنام مع بيان أنها لا تفيدهم يوم القيامة شيئاً.
٧- الحجاج والجدل بين الأتباع والمتبوعين من الكافرين يوم القيام وإلقاء كل منهم التبعة على الآخر.
٨- بيان أن المترفين في كل أمه هم أعداء الرسل، لإعتزازهم بأموالهم وأولادهم، وإعتقادهم أنهم ما آتاهم ربهم ذلك إلا لرضاه عنهم ثم رده سبحانه عليهم.
٩- سؤال الملائكة أمام المشركين بأنهم هل طلبوا منهم عبادتهم؟ ليكون في ردهم ما يكفي في تبكيتهم.
١٠- مقال المشركين عند سماع القرآن وإدعاؤهم أنه ليس بوحي من عند الله بل الداعي مفتر ليصدّ الناس عن دين الآباء والأجداد.
١١- عظتهم بما حل بمن قبلهم من الأمم.
١٢- أمرهم بالتأمل والتدبر في الأدلة التي أمامهم لعلهم يرعوون عن غيهم.
١٣- إثبات أن الرسول نذير مبين، لا مفتر ولا مجنون.
١٤- الرسول لا يطلب أجراً على دعوته، بل أجره على الله.
١٥- طلب المشركين يوم القيامة أن يرجعوا إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول ويعملوا صالح الأعمال، ثم الرد عليهم بأن ذلك قد فات أوانه وأن لا سبيل إلى تحقيقه.

### حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

الدرس الأول:(٦)
في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [الآية ٣]
قال ابن كثير: .... هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهنّ مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لمّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد.
فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى:
{وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [الآية ٥٣]
والثانية هذه {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ ٣].
والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الآية ٧]

الدرس الثاني

قوله تعالى:

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الآية ١٩]

قال ابن كثير: (روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن؛ إن أصابه خير حَمَد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حَمَد ربه وصبر، يؤجر. المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته".

وقد رواه النسائي في اليوم والليلة، من حديث أبي إسحاق السبيعي به، وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه "عجباً للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن".

قال عبد: حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} قال: كان مطرف يقول: نعم العبد الصبّار الشكور، الذي إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر.

في قوله تعالى {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [الآية ٢٠] قال ابن كثير: قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء ٦٢] وقال: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف ١٧] والآيات في هذا كثيرة.

وقال الحسن البصري لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة، ومعه حواء، هبط إبليس فرحاً بما أصاب منهما، وقال: إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف، وكان ذلك ظناً من إبليس، فأنزل الله عز وجل {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} فقال عند ذلك إبليس: لا أفارق ابن آدم مادام فيه الروح، أعده وأمنية وأخدعه، فقال الله تعالى: "وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت، ولا يدعوني إلا أجبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفرني إلا غفرت له" [رواه ابن أبي حاتم].

الدرس الرابع:(٦)

في قوله تعالى {وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الآية ٣٣] قال ابن كثير: روى ابن أبي حاتم.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن جهنم لمّا سيق إليها أهلها تلقاهم لهبا، ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب" وروى أيضاً عن الحسن بن يحيى الخشني قال: ما في جهنم دار ولا مغار، ولا غل ولا قيد ولا سلسلة، إلا اسم صاحبة عليها مكتوب قال: فحدثته أبا سليمان ــ يعني الداراني رحمة الله عليه ــ فبكى، ثم قال: ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه، فجعل القيد في رجلية، والغل في يديه، والسلسلة في عنقه، ثم أدخل النار، وأدخل المغار؟ اللهم سلّم).

الدرس الخامس

في قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} [الآية ٣٤] قال ابن كثير: (روى ابن أبي حاتم.. عن أبي رزين قال: كان رجلان شريكان، خرج أحدهما إلى الساحل، وبقى الآخر، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبة يسأله ما فعل؛ فكتب إليه: أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم، قال: فترك تجارته، ثم أتى صاحبه، فقال: دلني عليه ــ قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب ــ قال : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلام تدعو؟ قال: "أدعوى إلى كذا كذا" قال أشهد أنك رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: "وما علمك بذلك؟" قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم، قال

فنزلت هذه الآية {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} الآية، قال فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت".

وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم؟ فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل.

الدرس السادس(٦)

في قوله تعالى{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى} قال ابن كثير: روى الإمام أحمد.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

الدرس السابع(٧)

في قوله تعالى {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [الآية ٣٧] قال ابن كثير: روى ابن أبي حاتم.. عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لغرفاً، ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها" فقال أعرابي: لمن هي؟ قال صلى الله عليه وسلم: "لمن طيّب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلّى بالليل والناس نيام".

الدرس الثامن(٦)

في قوله تعالى:

{وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [الآية ٣٩]

قال ابن كثير:

ثبت في الحديث "يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك"

وفي الحديث أن ملكين صبحان كل يوم يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكاً تلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انفق بلالاً، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً"

وروى ابن أبي حاتم.. عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يده؛ حذار الإنفاق" ثم تلا هذه الآية {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}

الدرس التاسع(٦)

في قوله تعالى:

{قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [الآية ٤٩]

قال ابن كثير: أي جاء الحق من الله، والشرع العظيم، وذهب الباطل زهق واضمحل كقوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء ١٨]

ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم منها بسيفه قوسه ويقرأ {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء ٨١]

{قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي] أي لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

نعم...

إن الدعوات الإلحادية في عصرنا قد عمّت وطمّت، وقد ظهر الفكر المادي بأفظع صور الزخرفة والزيف، واستعمل لذلك من أساليب الغواية ووسائل الإعلام الكثير والكبير، وأصبح الإنسان يسمع ويقرأ ألفاظ الهزء والسخرية بالعقلية الغيبية، وبالغيوب التي تحدّث عنها الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولقد أصبح الآن من المعلوم بالبديهة أن عشرات الألوف من الأجهزة تسهر ليلاً ونهاراً لتحطّم الإسلام ولتنهيه.
إن من أدرك هذا الواقع
ثم قرأ قوله تعالى: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ...} [سبأ ٣٣]
وقرأ قوله تعالى: {وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ ٥٣]
إن من عرف الواقع وتملى مثل هذه النصوص ١١٠٠/١ فإنه لابد أن يحس بالإعجاز القرآن بشكل واضح، فالإحاطة، والبلاغة، ودقة التصوير، وسلاسة التعبير، واجتماع ذلك كله يجعل الإحساس واضحاً بمظاهر الإعجاز.
تأمل قوه تعالى: {وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}
إنها تفهم على أوجه متعدّدة: فهناك ناس يرجمون الغيب من مكان بعيد، فلا تصل إليهم قذائفهم؛ لأن الغيب محفوظ، وهم أحق من أن يصلوا إليه بأذى، فهؤلاء يدخلون في الصورة التي تحدّثت عنها الآية، وإنك لتراهم في كل مكان.
وهناك ناس يحاولون أن يمسكوا بالغيوب كلها ــ في زعمهم ــ ليرموها إلى آخر درك يستطيعونه ليتخلصوا منها، وهيهات لهم ذلك، أمثال هؤلاء يدخلون في الصورة، وإنك لتجدهم في كل مكان.
فأن تجد النص على مثل هذا الاختصار، وعلى مثل هذا التصوير للواقع، وعلى مثل هذه البلاغة.
ثم أن تجده في محلة من السياق الجزئي والعام للقرآن، يؤدي دوره بمثل هذا الانسجام الرفيع، وهذه السلاسة العذبة.
إن ذلك لشيء يدل على أن هذا القرآن من عند الله.
فالحمد لله على نعمة الإيمان.

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث


١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٨٢/١
البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة سبأ"
القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة سبأ"
٢- انظر: القاسمي نفسه
٣- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣٠٠
السخاوي / جمال القراء ٢١٢/١
الفيروزابادي / بصائر ٣٨٢/١
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة سبأ"
محمد غوث / نثر المرجاني ٤٤٥/٥
٤- انظر: الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة سبأ"
٥- انظر: البقاعي /نظم الدرر "تفسير سورة سبأ"
٦- انظر: سعيد حوي / الأساس "تفسير سورة سبأ"
٧- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة سبأ"



فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة فاطر

## أولاً:اسم السورة

**١- سورة "فاطر"(١):**

**لأن هذا الاسم: مناسب لمقصودها أتم مناسبة، إذ لا شيء يعدل ما في الجنة من تجدد الخلق، فإنه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت.**

**فهي: دار الإبداع والاختراع بالحقيقة.**

**وكذا النار... { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} [النساء ٥٦]**

**٢- سورة "الملائكة"(١):**

**حيث إنهم يبدعون خلقاً جديداً، كل واحد منهم على صورته التي أراد الله كونه عليها، لا يزاد فيها ولا ينقص، كلما أراد الله ذلك، من غير سبب أصلاً غير إرادته المطابقة لقدرته، سبحانه.**

**وهم: من الكثرة على وجه لا يحاط به(٢) { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر ٣١].**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها:(٣) (٤٥) خمس وأربعون آية(١).**

**وعدد كلماتها: (٧٧٧) سبعمائة وسبع وسبعون كلمة.**

**وعدد حروفها: (٣١٣٠) ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد سورة "سبأ"، وقبل: سورة "يس".**

**ب- في النزول.. بعد: سورة "الفرقان"، وقبل: سورة "مريم".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار تفيد في هذا الموضوع.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية

## سادساً : فضل السورة

السورة: تدخل ضمن حديث وائلة بن الأسقع في فضل سور القرآن(٤).
حيث إنها من المثاني.
بيد أنه من المهم أن نبنه على أن حديث كعب بن أبي، والذي فيه عن هذه السورة أن "من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب من الجنة، أن ادخل من أي الأبواب شئت".
حديث موضوع [انظر مفاتيح سورة الفاتحة، فضل سورة الفاتحة].

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

١- لما ذكر سبحانه وتعالى في آخر سورة "سبأ" هلاك المشركين، أعداء المؤمنين، وإنزالهم منازل العذاب في قوله تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ...} [الآيات ٥١-٥٤].
تعيين على المؤمنين حمده تعالى وشكره، كما في قوله تعالى { فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.
إذ قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ....} الآية.
٢- تآخي السورتين في افتتاح كل منهما بـ {الحمد لله}.
٣- تقارب السورتين في المقدار(٥).

## ثامناً : هدف السورة

وهدفها(٢): إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، اللازم منها: تمام القدرة على البعث، الذي عنه يكون أتم الإبقائين، إذ هو الإبقاء بالفعل دائماً أبداً، بلا انقطاع ولا زوال، ولا اندفاع، في دار المقامة التي ذهب عنها الحزن والنصب واللغو، أو في دار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد والهموم.
ولتوضيح ذلك.. تقول:
هذه السورة: هي ختام السور المفتتحة بـ (الحمد) والتي فصلت فيها ـ كما قال العلماء ـ النعم الأربع، التي هم أمهات النعم، المجموعة في (سورة الفاتحة) وهي: الإيجاد الأول، المشار إليه في (سورة الأنعام) ثم الإبقاء الأول، المشار إليه في (سورة الكهف) ثم الإيجاد الثاني، المشار إليه في (سورة سبأ)، ثم الإبقاء الثاني، المشار إليه بهذه السورة.. المفتتحة بالابتداء، الدال عليه بأنها القدرة، وأحكمها، والمفصل أمره فيها، في الحديث عن السعادة والشقاوة تفصيلاً شافياً، على أنه استوفى هذه السورة النعم

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون آيات هذه السورة من: مقدمة، وأربع مجموعات، وخاتمة(٦).

فالمقدمة: عبارة عن (آيتين) فقط.

وهما: الآيتان (١، ٢) من السورة.

وفيهما:

توضيح قدرة الله تعالى، وتأكيد انفراده وتفرده في أمور السموات والأرض، وما فيهما، ومن فيهما.

وذلك، لتأكيد استحقاق الله تعالى وحده للحمد.

والمجموعة الأولى: عبارة عن (آيتين).

وهما: الآيتان (٣، ٤) من السورة.

وفيهما:

تعريف بالله تعالى، بما يذكر بنعمه، ويوصل إلى شكره.

وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له، إذّ ليس التكذيب من الكفار خاصاً به، فقد كذبت رسل من قبله.

وهو تأنيس: يحمل التهديد للمكذبين.

والمجموعة الثانية: عبارة عن (١٠) آيات

من الآية (١٥) حتى نهاية (١٤).

وفيها:

تعميق المعرفة بالله.

وتأكيد: أن وعده حق لا ريب فيه وقوعه.

وتحذير من الصوارف عن: معرفة الله تعالى، أو عن تذكر نعمه، أو عن القيام بشكره سبحانه.. من مثل: الدنيا، والشيطان، الجاه، ... إلخ.

وبيان: أن العزة ليست في مثل هذه الصوارف، بل هي في الاعتماد على الله، والركون إليه، والامتثال لتعاليمه، بالكلم الطيب والعمل الصالح.

والمجموعة الثالثة: عبارة عن (١٢) آية

من الآية (١٥) حتى نهاية الآية (٢٦).

وفيها:

تذكير: بافتقارنا إلى الله تعالى، وأنه هو الغني الحميد.

وبيان: مبدأ "التبعة الفردية" والمسئولية الشخصية، فلا يحمل أحد ــ كما يقتضي العدل ــ وزر أحد.

وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم ــ مرة أخرى ــ وتثبيت له، بتحديد مهمته، والتي أداها خير أداء، وأنه ليس بدعا ــ من دون النبيين ــ في أن يكذبه قومه.

وهو تأنيس ــ كذلك ــ يحمل التهديد للمكذبين.

والمجموعة الرابعة: عبارة عن (١١) آية

من الآية (٢٧) حتى نهاية الآية (٣٧).

وفيها:

بيان بعض ما يعين على شكر الله تعالى من صفات، مثل: الخشية، والعلم، مع تحديد نوع هذا العلم، واتساع مجاله.
ثم تقسيم الناس بالنسبة إلى موقفهم من كتاب الله تعالى، والعمل بما فيه.
وبيان: جزاء السابقين بالخيرات، إلتزاماً بتعاليمه، وعملاً بما فيه.. وجزاء الذين كفروا واستكبروا، وكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم.
والخاتمة: عبارة عن (٨) آيات.
من الآية (٣٧) حتى نهاية الآية (٤٥) وهي خاتمة آيات السورة.
وفيها:
بيان: سعة علم الله تعالى، وإنعامه علينا باستخلافه لنا، مما يستوجب ــ بالضرورة ــ الشكر له، وليس الكفر به.
مواجهة: أهل مكة الطغاة المكذبين، وتهديدهم بعاقبة الذين كفروا وكذبوا ــ مثلهم ــ من قبلهم.
بيان: سنة الله تعالى في عقاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي سنة تختلف عن سنته تعالى في عقاب الأمم السابقة، وذلك لحكمة جليلة، وهي أنهم آخر الأمم... ولذلك: فسنتهم الإمهال، وليس الإهمال، والنسيان.
وهي سنة: تقتضي من العقلاء توبة لله تعالى من المواقف المخالفة المخزية، كما تقتضي شكراً على هذا الإنعام والإمهال فتحاً لباب التوبة، والإنابة.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما اشتملت عليه السورة الكريمة من حكم وأحكام (٧):
١- الأدلة على قدرة الله بإبداعه للكون وأنه المنعم المتفضل.
٢- تذكير الناس بالنعم ليشكروها.
٣- تثبيت فؤاد رسوله بذكر قصص المكذبين للأنبياء والمرسلين.
٤- نداء الناس عامة بأن يتحلوا بالفضائل، ويتخلوا عن الرذائل، ولا يتبعوا خطوات الشيطان، وينظروا فيما أبدع الرحمن، من الآيات في الأرض والسموات.
٥- ضرب الأمثال لما سلف من القسمين، وإيضاح الطائفتين المؤمنة والكافرة.
٦- تقسيم المؤمنين إلى علماء محققين، وصالحين متقين، ثم تقسيمهم من حيث العمل أقساماً ثلاثة.
٧- وصف عاقبة الكافرين والمؤمنين وما يلقاه كل منهما يوم القيامة.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

الدرس الأول(٨)
في قوله تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الآية ٢]
في هذه الآية الثانية من السورة صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى.

وحين تستقر هذه الصورة في قلب بشري يتم فيه تحول كامل في تصوراته ومشاعره واتجاهاته وموازينه وقيمة في هذه الحياة جميعاً.

إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض وتصله بقوة الله.

وتيئسه من مظنة كل رحمة في السماوات والأرض، وتصله برحمة الله.

وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض، وتفتح أمامه باب الله.

وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض، وتشرع له طريقة إلى الله.

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد؛ ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه،وتكريمه بما كرمه؛ وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته؛ وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير.

ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح، ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حال، وفي كل مكان.. يجدها في نفسه، وفي مشاعره؛ ويجدها فيما حوله، وحيثما كان، وكيفما كان، ولو فقد كل شيء مما يعد الناس فقده هو الحرمان.. يفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء، وفي كل وضع، وفي كل حالة، وفي كل مكان، ولو وجد كل شيء مما يعده الناس علامة الوجدان والرضوان!

وما من نعمة ــ يسمك الله معها رحمته ــ حتى تنقلب هي بذاتها نقمة. وما من محنة ــ تحفها رحمة الله ــ حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك ــ مع رحمة الله ــ فإذا هو مهاد، وينام على الحرير ــ وقد أمسكت عنهــ فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور ــ برحمه الله ــ فإذا هو هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور ــ وقد تخلت رحمة الله ــ فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار!

ولا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكها دون سواه، لا ضيق ولا كان صاحبها في غياهب السجن، أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك، وا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم، وفي مراتع الرخاء.

فمن داخل النفس ــ برحمة الله ــ تتفجر ينابيع السعادة والرضى والطمأنينة.

ومن داخل النفس ــ مع إمساكها ــ تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة!

هذا الباب وحدة يفتح وتغلق جميع الأبواب، وتوصد جميع النوافذ، وتُسدّ جميع المسالك.. فلا عليك، فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء...

وهذا الباب وحدة يغلق وتفتح جميع الأبواب فما هو بنافع، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء! هذا الفيض يفتح، ثم يضيق الرزق، ويضيق السكن، ويضيق العيش، وتخشن الحياة ويشوك المضجع.. فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة. وهذا الفيض يمسك. ثم يفيض الرزق ويقبل كل شيء، فلا جدوى. وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء!

المال والولد، والصحة والقوة، والجاه والسلطان تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله، فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان.

يبسط الله الرزق ــ مع رحمته ــ فإذا هومتاع طيب ورخاء؛ وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة. ويمسك رحمته، فإذا هو مثار قلق وخوف، وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار.

ويمنح الله الذرية ــ مع رحمته ــ فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله. ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء، وسهر بالليل وتعب بالنهار!

ويهب الله الصحة والقوة ــ مع رحمته ــ فإذا هي نعمة وحياة طيبة، والتذاذ الحياة.

ويسمك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويدّخر السوء ليوم الحساب!

ويعطي الله السلطان والجاه ــ مع رحمته ــ فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهما، ومصدر طغيان وبغي بهما، ومثار حقد وموجدة على صاحبها لا يقر له معهما قرار ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار.

والعلم الغزير، والعمر الطويل، والمقام الطيب، كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال.. مع الإمساك ومع الإرسال.

وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه، وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة.

والجماعات كالآحاد، والأمم كالأفراد، في كل أر وفي كل وضع، وفي كل حال.. ولا يصعب القياس على هذا الأمثال!

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله! فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك. ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة؛ ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة، وثقتك بها وتوقعها في كلأمر هو الرحمة، والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها. {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف ٨٧]

ورحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ولا في أي حال.

وجدها إبراهيم ــ عليه السلام ــ في النار.

ووجدها يوسف ــ عليه السلام ــ في الجب كما وجدها في السجن.

ووجدها يونس ــ عليه السلام ــ في بطن الحوت في ظلمات ثلاث.

ووجدها موسى ــ عليه السلام ــ في اليم وهو طفل مرد من كل قوة ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه.

ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، فقال بعضهم لبعض {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته} [الكهف ١٦] ووجدها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم، وصاحبه في الغار والقوم يتعقونهما ويقصون الآثار.

ووجدها كل من آوى إليها يأساً من كل ما سواها، منقطعاً عن كل شبهة في قوة، وعن كل ......... في رحمة، قاصداً باب الله وحده دون الأبواب.

ثم إنه متى فتح الهل أبواب رحمته فلا ممسك لها.

ومتى أمسكها فلا مرسل لها.

ومن ثمّ فلا مخافة من أحد، ولا رجاء في أحد، ولا مخافة من شيء، ولا رجاء في شيء، ولا خوف من فوت وسيلة، ولا رجاء مع الوسيلة. إنما هيمشيئة الله.

ما يفتح الله فلا ممسك، وما يمسك الله فلا مرسل، والأمر مباشرة إلى الله.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.. يقدر بلا معقب على الإرسال والإمساك، ويرسل ويسمك وفق حكمة تكمن وراء الإرسال والإمساك.

{وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ} فلا رجاء في أحد من خلقة، ولا خوف لأحد من خلقة. فما أحد بمرسل من رحمة الله ما أمسكه الله.

أية طمأنينة؟ وأي قرار؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقره هذه الآيات في الضمير.

آية واحدة ترسم للحياة صور جديدة؛ وتنشيء في الشعر قيماً لهذه الحياة ثابته؛ وموازين لا تهتز ولا تتأرجح ولا تتأثر بالمؤثرات كلها، ذهبت أم جاءت، كبرت أم صغرت، جلّت أم هانت، كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء!

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص والوى والقيم والاعتبارات، ولو تضافر عليها الإنس والجن، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها، ولا يمسكونها حين يفتحها.. {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

الدرس الثاني(٨)

في قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [الآية ١٠] قال ابن كثير: وروى ابن جرير عن المخارق بن سليم قال: قال لنا عبد الله ــ ابن مسعود ــ رضي الله عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى، أن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمربهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل.

ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}...

وقال كعب الأحبار: إن لسبحان الله،والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لدوياً حول العرش، كدوي النحل، يذكرن لصاحبهن، والعمل الصالح في الخزائن.

وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه.

وقد روي مرفوعاً عن الإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الذين يذكرون الله، من جلال الله، من تسبيحه، وتكبيره، وتحميده، وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرن بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به"

[وهكذا رواه ابن ماجه].

الدرس الثالث(٨)

في قوله تعالى {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ} [الآية ١١]

قال ابن كثير: روى النسائي عند تفسير هذه الآية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه" [وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود]

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فليحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر".

{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...}

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا...}

٢- ذكرت السورة بالنعم التي توصل إلى التوحيد، ثم بينت أن الناس قسمان: شاكر، وكافرن وذكرت السورة أن طريق الشكر يبدأ بالخشية، وإقام الصلاة، ويغذيه التفكر، وقراءة القرآن: {أَلَمْ تَرَ...} {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ...}

٣- في المقطع الأول أمرنا الله أن نذكر نعمته وفي المقطع الثاني حذّرنا من الدنيا ومن الشيطان أن يفتننا، وفي المجموعة الأولى من المقطع الثالث بين لنا أن نقطة البداية في السير إلى الله الخشية، وحدثنا عن مثيرات الخشية، وستكمّل مجموعات المقطع الثالث هذا الموضوع.

٤- بدأت السورة بذكر الأسس التي لابدّ منها من أجل الانطلاق في السير نحو الشكر، من تذكير،وتحذير، وتعريف، وأمر، ونهي، ثم لفتت نظر الإنسان إلى ما حوله، وها هي في ما تبقى منها تذكر مغذيات السير.

الدرس الرابع

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}

قال النسفي: ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء، ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطمع الأغنياء، وذكر الحميد ليدل به على انه لاغني النافع بغناه خلقه، والجواد المنعم عليهم، إذ ليس كل غني نافعاً بغناه، إلا إذا كان الغنى جواداً منعماً وإذا جاء وأنعم حمده المنعم عليهم.

قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر، فمن ادعى الغنى حجب عن الله، ومن أظهر فقره أو صله فقره إليه، فينبغي للعبد أن يكون مفتقراً بالسر إليه، ومنقطعاً عن الغير إليه، حتى تكون عبوديته محضة، فالعبودية: هي الذل والخضوع، وعلامته أن لا يسأله من أحد.

وقال الواسطي، من استغنى بالله لا يفتقر، ومن تعزز بالله لا يذل.

وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنياً بالله، وكلما ازداد افتقاراً ازداد غنى.

وقال يحيى: الفقر خير للعبد من الغنى؛ لأن المذلة في الفقر، والكبر في الغنى، والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة، خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال.

وقيل صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء.

وقال الشبلي: الفقر يجر البلاء وبلاؤه كله عز.

الدرس الخامس

في قوله تعالى: {وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الآية ١٨]

قال ابن كثير:

قال عكرمة في قوله تعالى: {إن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا} الآية قال: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني.

وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول:

يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً، فيقول له: يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرّة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده، يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخّوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً.

ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة ــ أو يا هذه ــ أي زوج كنت لك؟ فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبياً لي لعلي أنجو بها مما ترين، قال فتقول: ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً إني أتخوف مثل الذي تتخوف.

ويقول الله تعالى: {وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا} الآية.

ويقول تبارك وتعالى: {لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا} [لقمان ٢٣].

ويقول تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس ٣٤-٣٧] [رواه ابن أبي حاتم رحمه الله].

الدرس السادس

في قوله تعال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} [الآية ٢٨] قال ابن كثير: "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

روى علي بن أبي طالحة عن ابن عباس في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن من عبادة من لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه، ومحاسب بعمله.

وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل.

وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية.

وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب.

قال أحمد بن صالح المصري معناه: أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية، ويكون تأويل قوله نور يريد به: فهم العلم، ومعرفة معانيه.

وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى، ويعلم الحدود، والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله، ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل.

الدرس السابع

في قوله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [الآية ٣٢] قال النسفي: وإنما قدم الظالم للإيذان بكثرتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل وقال ابن عطاء، إنما قدّم الظالم لئلا ييأس من فضله. وقيل إنما قدّمه ليعرفه أن ذنبه لا يبعده من ربه.

وقيل: إن أو الأحوال معصية، ثم توبة، ثم استقامة.

وقال سهل: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل.

وقال: أيضاً السابق الذي اشتغل بمعاده، المقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده، والظالم الذي اشتغل عن معاده.

قيل: الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة، والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة، والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق.

وقيل: الظالم من أخذ الدنيا حلالاً كانت أو حراماً، والمقتصد من يجتهد أن لا يأخذها إلا من حلال، والسابق من أعرض عنها جملة.

وقيل: الظالم طالب الدنيا، والمقتصد طالب العقبى، والسابق طالب المولى

وقد حقق ابن كثير المقام في هذه الآية. فذكر الاختلافات فيها، ثم رجح وأقام الدليل، ومجمل ترجيحه اعتمدناه في التفسير. ولننقل(٨) هنا تحقيقة كله مع حذف الأسانيد.

قال: (روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} قال: هم أمه محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وروى أبو القامس الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم أنه قال ذات يوم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" قال ابن عباس رضي الله عنهما: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه

وسلم. وكذا روي عن غير واحد من السلف: أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير. وقال آخرون: بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة، ولا من المصطفين الوراثين لكتاب.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} قال هم أصحاب المشأمة.

وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق.

ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة: وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها.

والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة.

وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية.

وكما جاءات به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها بعضاً ونحن إن شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر.

(الحديث الأول) روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: "في هذه الآية {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة" هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة بن نحوه ومعنى قوله: بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة.

(الحديث الثاني) روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشرن ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}. (طريق أخرى) روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} قال: "فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة" ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: اللهم آنس وحشتي، وارحم غربتي، ويسر لي جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد به منك، سأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدّث به منذ سمعته منه، ذكر هذه الآية {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصدي فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، وذلك قوله تعالى {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}.

(الحديث الثالث) روى الحافظ أبو القاسم الطبراني عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} الآية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلهم من هذه الأمة".

(الحديث الرابع) روى ابن أبي حاتم عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم أنه قال: "أمتي ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده، يقول الله تعالى صدقوا لا إله إلا أنا؛ أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحدة، واحملوا خطاياهم علىأهل النار، وهي التي قال الله تعالى {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت ١٣]. وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال

الله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم: فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يمحص ويكشف" غريب جداً.

(أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه) روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء؟ ــ وهو أعلم تبارك وتعالى ــ فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك شيئاً، فيقول الرب عز وجل: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي.

وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الآية.

(أثر آخر) روى أبو داود الطيالسي عن عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الآية، فقالت لي: يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات: فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد له رسول الله صلى الهل عليه وآلهع وسلم بالجنة، وأما المقتصد: فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم، وأما الظالم لنفسه: فمثلي ومثلكم قال: فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا، وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات، لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال عبد الله بن المبارك رحمة الله: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} قال: هي لأهل بدونا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وسابقنا أهل الجهاد، رواه ابن أبي حاتم.

وقال عوف الأعرابي: حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: حدثنا كعب الأحبار رحمة الله عليه قال: إن الظالم لنفسه من هذه الآمة، والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله تعالى قال {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} إلى قوله عز وجل {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ} قال: فهؤلاء أهل النار، رواه ابن جرير من طرق عن عوف به ثم قال: إن ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعباً عن قوله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} إلى قوله {بِإِذْنِ اللَّهِ} قال: تماست مناكبهم ورب كعب، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

ثم روى ابن جرير عن أبي إسحاق السبيعي في هذه الآية {مَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الآية، قال أبو إحساق: أما ما سمعت من ذي ستين سنة فكلهم ناج.

ثم روى ابن جرير أيضاً ــ بسنده ــ عن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه قال: إنها أمه مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله. ورواه الثوري عن إسماعيل ابن إسماعيل عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه بنحوه.

وقال أبو الجارود: سألت محمد بن علي ــ يعني الباقر ــ رضي الله عنهما عن قول الله تعالى {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} فقال: هو الذين خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

فهذا ما تيسر من غيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام.

وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة، فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله: قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق فقال: ما أقدمك أي أخي؟ قال حديث بلغني أنك تحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله تعالى به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنماورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" [وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه].

وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواه فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري، ولله الحمد والمنة.

حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني أضع علمي وحمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي".

الدرس الثامن

في قوله تعال: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [الآية ٤٣] قال ابن كثير: روى ابن أبي حاتم عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياك ومكر السيء، فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولهم من الله طالب"

وقال محمد ابن كعب القرظي: ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به: من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها في كتاب الله تعالى {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}

{إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم} [يونس ٢٣] {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} [الفتح ١٠]

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- السخاوي، الفيروزابادي، البقاعي، السيوطي، الآلوسي، القاسمي "مصادر سابقة"

٢- انظر: البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة فاطر"

٣- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣٠٦

السخاوي / جمال القراء ٢١٣/١

الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٨٦/١

الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة فاطر"

محمد غوث / نثر المرجان ٤٩٩/٥

٤- انظر: فضل سورة البقرة (في مفاتيح سورة البقرة).

٥- انظر: الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة فاطر"

٦- انظر: سعيد حوى / الأساس "تفسير سورة فاطر"

٧- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة فاطر"

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة يس

أولاً:اسم السورة

**هذه السورة تسمى بما يلي:**

**١- سورة يس:(١)**

**وذلك: لافتتاحها بقوله تعالى {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ}.**

**٢- المُعــمّة (٢)**

**٣- الدافعة(٢)**

**٤- القاضية:(٢)**

**وذلك: لما أخرجه البيهقي من حديث أبي بكرة مرفوعاً "سورة يس تدعى في التوراة.."المعمة"، تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وتدعى "الدافعة"، "والقاضية".. تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة".**

**وقال: إنه حديث منكر.(٣)**

**بل المدار على الإيمان وصحته بالإعتراف بالحشر والنشر، وهو مقرر فيها على أبلغ وجه وأحسنه،**

**ولذا: شبهت بالقلب، الذي به صحة البدن وقوامه.**

**٥- القلب:(٤)**

**وذلك: لاهتمامها، وحديثها عن البعث، الذي هو من أجل مقاصدها، والذي به يكون صلاح القلب.(٤)**

**٦- سورة حبيب النجار:(٥)**

**وذلك: لاشتمالها على قصته(٥)، في قوله تعالى {وَجَاء مِنْ أَقصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...} [الآية، ٢٠].**

**٧- العزيزة:(٦)**

**وذلك: لما روي عن محمد بن علي أنه قال:**

**"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن أفضل من كل شيء دون الله، وفضل القرآن على سائر الكلام.. كفضل الله على خلقه.!!**

**فمن وقَّر القرآن: فقد وقر الله.**

**وحرمة القرآن عند الله: كحرمة الوالد على ولده.**

**القرآن: شافع مُشفَّع، وما حل(٧) مصدق!!**

**فمن شفع له القرآن: شفع.**

**ومن محل به القرآن: صُدِّق.**

**ومن جعله إمامه: قاده إلى الجنة.**

**ومن جعله خلفه: ساقه إلى النار.**

**وحملة القرآن: هم المحفوفون برحمة الله، المُلْبَسون نور الله، المعلمون كلام الله..!!**

**من والاهم: فقد والى الله..!!**

**ومن عاداهم: فقد عادى الله..!!**

**يقول الله تعالى: يا حملة القرآن..!! استجيبوا لربكم.. بتوقير كتابه، يزدكم حباً، ويحببكم إلى عبادة.**

**يدفع عن مستمع القرآن: بلوى الدنيا.**

**ويدفع عن تالي القرآن: بلوى الآخرة.**

ومن استمع آية من كتاب الله: كان له أفضل مما تحت العرش
وإن في كتاب الله لسورة تدعى "العزيزة" ويدعى صاحبها "الشريف" يوم القيامة.. تشفع لصاحبها في أكثر من ربيعة ومضر، وهي "سورة يس"(٦).

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

عدد آياتها:(٨) (٨٣) ثلاث وثمانون آية.(١)
وعدد كلماتها: (٧٢٧) سبعمائة وسبع وعشرون كلمة.
وعدد حروفها: (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف حرف.

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

أ- في المصحف.. بعد: سورة "فاطر"، وقبل: سورة "الصافات".
ب- في النزول.. بعد: سورة "الجن"، وقبل: سورة "الفرقان".

## رابعاً : سبب نزول السورة

لم يعثر البحث على آثار تفيد سببا لنزول السورة كاملة.
ولكن: في نزول صدرها، ورد ما يلي..
عن ابن عباس قال:(٩) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت (يس والقرآن الحكيم) إلى قوله (أم لم تنذرهم لا يؤمنون)
قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد.

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية
سوى قوله تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الآية ٤٥].
فهي مدنية.

## سادساً : فضل السورة

أولاً: انظر ما ورد من فضل لها عند ذكر أسمائها في أول هذا البحث.

ثانياً: ما ورد في حديث وائلة بن الأسقع، حيث إنها من السور المثاني.

ثالثاً: مما يجدر ذكره والتنبيه عليه هنا.. أنه قد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة وأخرى موضوعة.

ومن ذلك:

ما ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم": إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن: يس، ومن قرأ يس: كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات".

وهذا: حديث موضوع، كما بين الألباني في ضعيف الجامع ص٢٧٩.

كذلك: ما ورد عن معقل بن يساد، رضي الله عنه، أنه قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرؤا يس على موتاكم".

وهو حديث ضعيف، كما بين الألباني في المشكاة ٦٦٨/١.

ومن ذلك: حديث أبي بن كعب (الموضوع) [النظر: مفاتيح سورة الفاتحة، فضل السورة].

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

١ – حديث السورتين عن النذير صلى الله عليه وسلم.

حيث إنه لما ذكر سبحانه في سورة "فاطر" قوله عز وجل {وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ} [الآية ٣٧].

وقوله تعالى {وَأَقسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ} [الآية ٤٢].

وأريد به: محمد صلى الله عليه وسلم..!!

وقد أعرضوا عنه، وكذبوه، صلى الله عليه وسلم..!!

فقد افتتح هذه السورة: بالإقسام على صحة رسالته، عليه الصلاة والسلام، وأنه على صـــــراط مستقيم، لينذر قومـــــــاً ما أنذر آباؤهم. [الآيات ١-٦].

٢ – حديث السورتين عن جريان الشمس والقمر.

حيث إنه سبحانه لما قال في سورة "فاطر" {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} [الآية ١٣].

قال في هذه السورة {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [الآيتان ٣٨، ٣٩].

إلى غير ذلك من وجوه الترابط.

## ثامناً : هدف السورة

هو: بناء أسس العقيدة الإسلامية

فهي تتعرض:

لبيان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وحكمتها ومضمونها وموقف الناس منها ونوعيه: المستجيبين القابلين لها، وكذلك الرافضين لها، المنصرفين عنها.

وكذلك:(٩) لطبيعة الوحي وصدق الرسالة منذ افتتاحها، {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} ... وتسوق قصة "أصحاب القرية" إذ جاءها المرسلون، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة...

كذلك تتعرض: لقضية الألوهية والوحدانية.. فيجيء استنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ليحاج قومه في شأن المرسلين {وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي....}

والقضية التي يشتد التركيز عليها في السورة: هي قضية البعث والنشور، وهي تتردد في مواضع كثير في السورة.

وهذه القضايا المتعلقة ببناء العقيدة من أساسها: تتكرر في السور المكية، ولكنها ــ كما هو الحال هنا ــ تعرض في كل مرة من زاوية معينة، تحت ضوء معين، مصحوبة بمؤثرات تناسب جوها، وتتناسق مع إيقاعها وظلالها.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من مقطعين:(١٠)

الأول.. عبارة عن (٣٠) آية.

من الآية (١) إلى نهاية الآية (٣٠) من السورة.

وفيه:

تبيان فحوى الرسالة، ومضمونها، وحكمتها..

ومن ثمّ: يبدأ هذا المقطع بعرض موقف الكافرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن دعوته.

الثاني.. عبارة عن (٥٣) آية.

من الآية (٣١) حتى نهاية الآية (٨٣) خاتمة السورة.

وفيه:

يكون الإنذار، عن طريق التذكير بهلاك السابقين وعدم عودتهم، وبالتذكير برجوع الخلق كلهم إلى الله عز وجل.

ثم يكون التدليل على قدرته سبحانه على الإهلاك وعلى البعث، بما يقوم معه الدليل على إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي ذلك كله: حث للإنسان ليتبع رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

وعلى هذا..

فقد بدأ هنا المقطع بلفت النظر إلى هلاك الماضيين.

ثم ثنى بلفت النظر إلى النعمة.

ثم ثلث بلفت النظر إلى ما يوجب الإيمان باليوم الآخر.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وهي تتجلى في النقاط التالية:(١١)

١- بيان أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله حقاً، وأنه نذير للأميين وغيرهم.

٢- المنذرون من النبي صلى الله عليه وسلم صنفان: صنف ميئوس من صلاحه، وآخر قد سعى لفلاحه.

٣- أعمال الفريقين تحصى عليهم، فتحفظ أخبارهم، وتكتب آثارهم.

٤- ضرب المثل لهم بأهل أنطاكية، إذ كذبوا الناصح لهم وقتلوه فدخلوا النار ودخل الجنة بما قدم من إيمان وعمل صالح وهداية وإرشاد.

٥- الدليل الطبيعي والعقلي على البعث.

٦- تبيان قدرة الله ووحدانيته وعلمه ورحمته الشاملة.

٧- جزاء الجاحدين على كفرانهم أنعم الله عليهم وسرعة أخذهم وندمهم حين معاينة العذاب.

٨- الجنة ونعيمها وما أعد للمؤمنين فيها.

٩- توبيخ الكافرين على اتباعهم همزات الشياطين.

١٠- قدرته تعالى على مسخهم في الدنيا وطمس أعينهم.

١١- الإنتفاع بالأنعام في المأكل والمشرب والملبس.

١٢- إثبات البعث بما أقامه من أدلة في الآفاق والأنفس.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- في قوله تعالى {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن ...} [الآيتان ٢٠، ١٩].

أقول:(١٢)

إن من محاسن التنزيل الكريم وبلاغته الخارقة، هو الإيجاز في الأنباء التي يقصها، والإشارة منها إلى روحها وسرها، حرصاً على الثمرة من أول الأمر، واقتصاراً على موضع الفائدة، وبعداً عن مشرب القصاص والمؤرخين؛ لأن القصد من قصصه الاعتبار والذكرى، وما من حاجة إلى تسمية تلك المبهمات كائنة ما كانت.

ثم إن المفسرين رحمهم الله عنوا بالبحث والأخذ والتلقي، فكان من سلف منهم يَرَوْنَ فيما يَرَوْنَ أن من العلم تفصيل مجملات التنزيل وإبانه مبهماته، حتى جعل ذلك فنّاً برأسه وألف فيه مؤلفاته.

ولا بأس في التوسع من العلم والإزدياد منه بأية طريقة كانت، لاسيما وقد رفع عنا الحرج بالتحدث عن بني إسرائيل.

إلا أنه يؤاخذ من يجزم بتعين مبدهم ما، إن كان جزمه من غير طريق القواطع.

فإن القاطع هو ما تواتر أو صحّ سنده إلى المعصوم، صحة لا مغمز فيها: وهذا مفقود في الأكثر، ومنه بحثنا المذكور، فإن تعيين أن البلدة أنطاكية وتسمية الرسل، إنما روي موقوفاً ومنقطعاً، وفي بعض إسناده متهمون.

ولذا قد يرد على من يقطع بذلك ما لا مخرج له منه.

فالمفسر أحسن أحواله أن يمشي مع التنزيل، إجمالاً فيما أجمله وتفصيلاً فيما فصله، ولا يأخذ من إيضاح مبهماته إلا بما قام عليه قاطع أو كان لا ينبذه العلم الصحيح.

وإلا فليعرض عن تسويد وجوه الصحف بذلك، بل عن تشويهها.
والذي حمل السلف على قص ما نحن فيه، هو تلقيهم له عن مثل كعب ووهب، وموافقة من في طبقتهما لهما فيه.
وهذا أولاً،
وثانياً شهرة بلدة أنطاكية في ذلك العهد، لاسيما وقد أسس فيها معبداً أحد رسل عيسى عليه السلام.
ثالثاً ما جرى في أنطاكية لما قدم ملك الرومان وتهدد كل من أبى عبادة الأوثان بالقتل، وكان في مقدمة الآبين رجل مقدم في المؤمنين، فأراده على الشرك فأبى وجهر بالتوحيد، فأرسله من أنطاكية موثقاً وأمر بأن يطعم للوحوش: فألقى في رومية على أسدين كبيرين فابتلعاه، ولما قدم لهما استبشر وتهلل لنيل الشهادة في سبيل الله.
وكذلك يؤثر عن رجل مؤمن كان يدافع عن المؤمنين في عهد الرومانيين لغيرته وصلاحه، فطلب منه الحاكم أن يرتد فأبى وجهر بوجوب عبادة الإله الواحد، ونبذ عبادة من لا يضر ولا ينفع، فهدده بأن يضربه من الرأس إلى القدم، فأجاب بأنه مستبشر بنعمة الله وكرامته الأبدية، ثم أمر به الحاكم فقتل مع رفته.
والشواهد في هذا الباب لا تحصى، معروفة لمن أعار نظره جانباً مما كتب في تواريخ مبدأ ظهور الأديان، وما كان يلاقيه من أعدائه ومقاوميه.
فللقصة الكريمة هذه مصدقات لا تحصى.
رابعاً شهرة المرسلين برسل عيسى عليه السلام، وكانوا انبثوا في البلاد لمحو الوثنية والكف عن الكبائر والشرور التي كانت عليها دولة الرومان وقتئذ.
هذا.. وما ذكره ابن كثير من وقوف عذاب الاستئصال بعد نزول التوراة يحتاج إلى قاطع، وإلا فقد خربت كثير من البلاد الأثيمة بعدها، وتدمرت بتسليط الله من شاء عليها.
والصيحة أعم من أن تكون صيحة سماوية أو صيحة أرضية.
وهي صيحة من سلط عليهم للانتقام منهم، حتى أباد ملكهم وقهر صولتهم ومحا من الوجود سلطانهم.
وإن كان عذاب الصيحة ظاهرة الأول.
وبالجملة: فنحن يكفينا من النبأ الاعتبار به وفهمه مجملاً، وأما تعيينه، بوقت ما، وفئة ما، فهو الذي ينشأ منه ما ينشأ، وما بنا من حاجة إلى الزيادة عن الاعتبار، وتخصيص مالا قاطع عليه.
الثاني ــ ذكر الرازي في قوله تعالى {إِذْ أَرْسَلْنَا} لطيفة، إن صح أن الرسل المنوه بهم هم رسل عيسى عليه السلام، وهي أن إرساله لهم كإرساله تعالى، لأنه بإذنه وأمره.
وبذلك تتمة التسلية للنبي صلوات الله عليه، لصيرورتهم في حكم الرسل.
ثم قال: وهذا يؤيد مسألة فقهية، وهي أن وكيل الوكيل بإذن الموكل، وكيل الموكل لا وكيل الوكيل. حتى لا ينعزل بعزل الوكيل إياه، وينعزل إذا عزله الموكل الأول.
الثالث ــ في قوله تعالى {وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى} تبصرة للمؤمنين وهداية لهم ليكنوا في النصح باذلين جهدهم كما فعل.

٢- في قوله تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الآية ٤٠]
{لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ} أي تجتمع معه في وقت واحد، وتداخله في سلطانه فتطمس نوره {وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} أي يسبقه بأن يتقدم على وقته فيدخل قبل مضيه، أو المراد بالليل والنهار آيتاهما، أي ولا القمر سابق الشمس فيكون عكساً للأول، أي ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس.

والمعنى على هذا، أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه، فيطمس نوره، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى،

وعليه فسر إيثار (سابق) على(مدرك) كما قبله هو أن السبق مناسب لسرعة سير القمر؛ إذ السبق يشعر بالسرعة، ولا إدراك بالبطء، وكذلك الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة، والقمر يقطعه في شهر، فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك، والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق.

ويؤخذ(١٢) من هذه الآية أن النهار، تابع لليل، وهو المذهب المعروف للفقهاء.

وبيانه من الآية: أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل.

وإنما نفي الإدراك: لأنه هو الذي يمكن أن يقع، وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس، فإنه لا يقال (أدرك السابق اللاحق) ولكن (أدرك اللاحق السابق) وبحسب الإمكان توقيع النفي.

فالليل إذاً متبوع والنهار تابع.

فإن قيل: هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار، وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقاً؟

فالجواب: أن هذا مشترك الإلزام.

وبيانه: أن الأقسام المحتملة ثلاثة:

إما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء،

أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة،

أو اجتماعهما.

وهذا القسم الثالث منفي بالاتفاق.

فلم يبق إلا تبعية النهار لليل وعكسه.

وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً، لأن من قال إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال (ولا الليل يدرك النهار) فإن المتأخر إذا نفى إدراكه كان أبلغ من سابقه، مع أنه يتناءى عن مقتضى قوله {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ} تنائيا لا يجمع شمل المعنى باللفظ، فإن لله تعالى نفى أن تكون مدركة، فضلاً عن أن تكون سابقة.

فإذا أثبت ذلك، فالجواب المحقق عنه، أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل، وتخلل زمن آخر بينهما.

وحينئذ يثبت التعاقب، وهو مراد الآية.

وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما: فإنه غير معتبر.

ألا ترى إلى جواب موسى بقوله {قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي} [طه ٨٤]..!!؟ فقد قربهم منه عذرا عن قوله تعالى {وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ}..!!؟ فكأنه سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره.

فكيف لو كان متقدماً وهم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة..؟

فذاك لو اتفق، لكان سياق الآية: يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً. فحينئذ يكون القول بأسبقية النهار لليل، مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل.

فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية، وبين السبق بوناً بعيداً، ومخالفاً أيضاً لبقية الآية، حيث أنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً، لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك، ولا يبلغ به عدم السبق.

ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدر الآية صريحاً، ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن.

وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده، والله الموفق للصواب من القول وتسديده.

**١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١**
**القرطبي / الجامع لأحكام القرآن "تفسير سورة يس"**
**الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٩٠/١**
**البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة يس"**
**السيوطي / الإتقان في علوم القرآن "النوع ١٧"**
**الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة يس"**
**٢- انظر: القرطبي، والبقاعي، والبيضاوي، وأبي السعود، والجمل في "تفسير سورة يس" والسيوطي في الإتقان "النوع ١٧".**
**٣- رواه البيهقي في: شعب الإيمان، باب : في فضل تعظيم القرآن، فصل: فضائل السور والآيات.**
**٤- انظر: البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة يس"**
**٥- انظر: الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٩٠/١**
**٦- انظر: القرطبي / الجامع لأحكام القرآن "تفسير سورة يس"**
**٧- أي : خصم مجادل**
**٨- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣٠٦**
**السخاوي / جمال القراء ٢١٣/١**
**الفيروزابادي / بصائر ٣٩٠/١**
**الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة يس"**
**محمد غوث / نثر المرجان ٥٤٨/٥**
**٩- انظر: الشهيد/ سيد قطب في ظلال القرآن "تفسير سورة يس"**
**١٠- انظر: سعيد حوي / الأساس في التـــفسير "تفسير سورة يس"**
**١١- انظر: المراغي "تفسير المراغي" "تفسير سورة يس"**
**١٢- انظر: القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة يس"**

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الصافات

## أولاً:اسم السورة

هذه السورة تسمى:

الصافات:(١)

وذلك: لافتتاحها بها،(٢) في قوله تعالى {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}

أو: لقوله تعالى(٣) في السورة حكاية عن الملائكة {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات ١٦٥، ١٦٦].

وسواء كانت التسمية لهذه الآية، أو تلك، أو لهما: فإن كلا من الآيتين قد اشتملت على صفات للملائكة تنفي إلهيتهم من الجهات الموهمة لها فيهم.

ومن هنا: ينتفي بذلك إلهية ما دونهم.

وبالتالي: يدل ــ ذلك ــ على توحيد الله.

وهذا: من أعظم مقاصد القرآن.(٤)

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

عدد آياتها:(٥) (١٨٢) مائة واثنتان وثمانون آية.

وعدد كلماتها: (٨٦٢) ثمانمائة واثنتان وستون كلمة.

وعدد حروفها: (٣٨٢٦) ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفاً.

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

أ- في المصحف.. بعد: سورة "يس"، وقبل: سورة "ص".

ب- في النزول.. بعد: سورة "الأنعام"، وقبل: سورة "لقمان".

## رابعاً : سبب نزول السورة

لم نعثر على آثار في ذلك.

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة مكية.

## سادساً : فضل السورة

في فضل هذه السورة: نقول ما يلي...

١- ينطبق عليها ما في حديث "واثلة بن الأسقع"(٦) حيث إنها من السورة المثاني.

٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.. يأمرنا: بالتخفيف، فيؤمنا بالصافات"(٧)

٣- وينبغي التنبيه على ما ذكره الزمخشري في الكشاف من حديث أبي بن كعب، وفيه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين وبريء من الشرك، ويشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين"

حيث إنه: موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[انظر: مفاتيح سورة الفاتحة، فضل السورة].

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

ترتبط هذه السورة بسورة "يس" قبلها ارتباطاً وثيقاً.

حيث:(٨)

١- إن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة التي أشير إليها إجمالاً في السورة السابقة في قوله: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ} [الآية ٣١]

٢- إن فيها تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة مما أشير إليه إجمالاً في السورة قبلها.

٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذاك أنه

ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك، و هو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلا إذا كان المريد واحداً كما يشير إلى ذلك قوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء ٢٢]

## ثامناً : هدف السورة

هذه السورة: تستهدف ــ كسائر السور المكية ــ بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشوك في كل صوره وأشكاله.

ولكنها ــ بصفة خاصة ــ تعالج صورة معينة من صور الشرك هذه، التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، وتقف أمام هذه الصورة طويلاً، وتكشف عن زيفها وبطلانها بوسائل شتى..!!

تلك: هي الصورة التي كانت جاهلية العرب تستسيغها وهي تزعم أن هناك قرابة بين الله ــ سبحانه ــ وبين الجن، وتستطرد في تلك الأسطورة: فتزعم أنه من التزاوج بين الله ــ تعالى ــ وبين الجنة، ولدت الملائكة.

ثم تزعم: أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله..!!

هذه الأسطورة: تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهافتها وسخفها.

وإلى جانب علاج هذه الصورة: تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى، التي تتناولها السورة المكية..!!

فتثبت فكرة التوحيد، مستدلة بالكون المشهود {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الآيتان ٤، ٥]

وتتناول قضية البعث والحساب والجزاء.

وتعرض لقضية الوحي والرسالة.. إلخ.(٩)

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وقسمين.(١٠)

المقدمة.. عبارة عن (١٠) آيات.

من الآية الأولى... حتى نهاية الآية (١٠).

وفيها:

الحديث عن التوحيد، وعن أدلته، وعن حفظ الوحي.

والقسم الأول.. عبارة عن (١٣٨) آية

من الآية (١١) حتى نهاية الآية (١٤٨).

وهو: يبدأ بقوله تعالى {فَاسْتَفْتِهِمْ} [الآية ١١]

وفيه:

الحديث عن: التوحيد، واليوم الآخر، والرسل، كمواضيع متلازمة.

إذ يرتبط الإيمان بالله تعالى بالإيمان باليوم الآخر.. بل إن أكثر كفر الكافرين سببه الكفر باليوم الآخر.

ويرتبط الإيمان بالله تعالى بالإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.. إذ هم الذين يعرفونه حق المعرفة، ويُعَرِّفون عليه حق التعريف.

والقسم الثاني.. عبارة عن (٣٤) آية

من الآية (١٤٩) حتى نهاية الآية (١٨٢) وهي خاتمة السورة.

وهو: يبدأ بقوله تعالى {فَاسْتَفْتِهِمْ} [الآية ١٤٩]

وفيه:

الحديث عن: الله عز وجل، والملائكة، والرسل، والمؤمنين.

كل ذلك في أسلوب يبلور قضايا: التوحيد، والتنزيه، والإيمان، وما يتعلق بذلك.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما حوته السورة من موضوعات(١١)

١- التوحيد ودليله في الآفاق والأنفس.
٢- خلق السموات والأرض ووصفه سبحانه لذلك.
٣- إنكار المشركين للبعث وما يتبع ذلك من محاورة أهل الجنة لأهل النار وهم يطلعون عليهم.
٤- وصف الجنة ونعيمها.
٥- قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وإسماعيل.
٦- دفع فرية قالها المشركون وتوبيخهم عليها إذ قالوا: الملائكة بنات الله.
٧- تنزيه الله عن ذلك.
٨- بيان أن المشركين لا يفتنون إلا ذوي الأحلام الضعيفة المستعدة للإضلال.
٩- وصف الملائكة بأنهم صافون مسبحون.
١٠- مدح المرسلين وسلام الله عليهم.
١١- حمد الله وثناؤه على نفسه بأنه رب العزة ورب الخلق أجمعين.

## حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

في هذه السورة الكريمة من الدروس التربوية والفوائد الدعوية الكثير... والتي نقتطف منها ما يلي:

١- في قوله تعالى:

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الآية ١٠].

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} أي اختلس الكلمة {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ} أي لحقه شعلة نارية تنقضّ من السماء {ثَاقِبٌ} أي مضيء. كأنه يثقب الجوّ بضوئه.

ذكر المفسرون أن الشياطين كانوا يصعدون إلى قرب السماء، فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب، وكانوا يخبرونهم به ويوهمونهم أنهم يعلمون الغيب.

فمنعهم الله تعالى من الصعود إلى قرب السماء بهذه الشهب؛ حيث يرميهم تعالى بها فيحرقهم.

قال ابن كثير: يعني إذا أراد الشيطان أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه.

ولهذا قال جل جلاله {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى} أي: لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره.

كما وردت الأخبار بذلك في تفسير قوله تعالى {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ ٢٣].

قال بعض علماء الفلك: كما أن العرش تحفه الأرواح الغيبية فكذلك الكواكب الأخرى مسكونه مع الحيوانات والدواب بأرواح، منها الصالح (الملك) ومنها الطالح (الشيطان) وكذلك أرضنا هذه.

ففيها من الملائكة ومن الشياطين ما نبصره {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف، ٢٧].

ولا يخفى أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فعدم إدراكنا لهذه الأرواح لا يدل على عدم وجودها.

كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التي نشاهد الآن آثارها العظيمة، لم يكن يدل على عدم وجودها إذ ذاك في العالم.

فمن الجهل الفاضح إنكار الشيء لعدم معرفته أو العثور عليه.

وقد قدّر الله تعالى أن الحيوانات في هذه الأرض، إذا خرجت عنها إلى حيث ينقطع الهواء ويبطل التنفس، تموت في الحال.

وكذلك قدر أن الأرواح الطالحة التي في أرضنا هذه، إذا أرادت الصعود إلى السماء والاختلاط بأرواح التي في الكواكب الأخرى، انقضّ عليها، قبل أن تخرج من جو الأرض، شهاب من هذه الكواكب أو من غيرها، فأحرقها وأهلكها، بإفساد تركيبها ومادتها، حتى لا يحصل اتصال بين هذه وتلك، ولا تطلع على أسرار العوالم الأخرى،

وهذه الشهب التي تنقض، إن كانت صادرة من أجرام ملتهبة، كانت ملتهبة، وإن كانت صادرة من أجرام غير ملتهبة، التهبت فيما بعد لشدة سرعتها واحتكاكها بالغازات التي تمر فيها في وجونا هذا.

ولعل في مادة الشياطين ما يجتذب إليه هذه الشهب ويتحدُ بها، كما تجذب العناصر الكيماوية بعضها بعضاً "مثال ذلك عنصر الصوديوم فإنه يجتذب إليه الأكسجين من الماء فيحلله"

ولا نقول إن جميع الشهب تنقض لهذا السبب، بل منها ما ينقض لأسباب أخرى، كأجتذاب بعض الأجرام السماوية له، ومنها ما ينقض لإهلاك الشياطين، كما بيّنا هنا.

والشياطين مخلوقة من مواد غازية كانت ملتهبة {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} [الحجر، ٢٧].

والمراد بالسماء الدنيا في هذه الآية: الفضاء المحيط بنا القريب منا، أي هذا الجو الذي نشاهده وفيه العوالم كلها.

أما ما وراءه من الأجواء البعيدة عنا، التي لا يمكن أن نصل إليها بأعيننا ولا بمناظيرنا، فهو فضاء محض لا شيء فيه.

فلفظ (السماء) له معان كثيرة، كلها ترجع إلى معني السمو، وتفسر في كل مقام بحسبه.

ثم قال: فكل مسألة جاء بها القرآن، حق، لا يوجد في العلم الطبيعي ما يكذبها؛ لأنه وحي الله حقا، والحق لا يناقضه الحق {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت ٥٣].

وقال أيضاً: يعتقد الآن علماء الفلك أن أكثر الشهب تنشأ من ذوات الأذناب، ويحتمل أن بعضها ناشيء من بعض الشموس المنحلة، أو الباقية الملتهبة، أو من براكين بعض السيارات، أو مما لم ينطفيء من السيارات للآن.

ومتى علمنا أن ذوات الأذناب والسيارات جميعاً مشتقة من الشموس: كان مصدر جميع الشهب هو الشموس أو النجوم.

(قال) : وهذا يفهمنا معنى هذه الآية.

ونظير هذه الآية قوله تعالى {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك ٥]، وقوله عز وجل {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ} [الحجر ١٦، ١٨].

وقوله سبحانه إخباراً عن الجن {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا} [الجن، ٩٨].

٢- في قوله تعالى {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} [الآية ١١٣].

عدة تنبيهات:(٤)

الأول ــ يروي المفسرون ههنا في قصة الذبح روايات منكرة لم يصح سندها ولا متنها:

بل لم تحسن،

فهي مُعْضَلَة تنتهي إلى السدّي وكعب.
والسدّي حاله معلوم في ضعف مروياته.
وكذلك كعب.
قال ابن كثير رحمه الله: لما أسلم كعب الأحبار في الدولة العمرية، جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديماً: فربما استمع له عمر.
فترخص الناس في استماع ما عنده عنه، غثها وسمينها.
وليس لهذه الأمة حاجة إلى حرف واحد مما عنده.
ولقد صدق رحمه الله.
ولذا لا نرى التزيد على أصل ما قص في التنزيل من الضروري له، إلا إذا صح سنده، أو اطمأن القلب به.
وقد ولَع الخطباء في دواوينهم برواية هذه القصة في خطبة الأضحى من طرقها الواهية عند المحدثين. ويرونها ضربة لازب على ضعف سندها وكون متنها منكراً أيضاً أو موضوعاً.
ولما صَنَّفْتُ مجموعة الخطب حذفت هذه الرواية من خطبة الأضحى ككل مرويّ ضعيف في فضائل الشهور والأوقات، واقتصرت على جياد الأخبار والآثار.
وذلك من فضل الله علينا فلا نحصى ثناء عليه.
وأمثل ما روي في هذا النبأ من الآثار: ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا، قال: لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك، عرض له الشيطان عند السعي، فسابقه، فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة.
فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب.
ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات.
ثم تله للجبين، وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض.
فقال له: يا أبت ! إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه:
فعالجه ليخلصه،
فنودي من خلفه: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا.
فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين.
قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش.
الثاني ــ قال السيوطي في (الإكليل): في هذه الآية أن رؤيا الأنبياء وحي، وجواز نسخ الفعل قبل التمكن، وتقديم المشيئة في كل قول.
واستدل بعضهم بهذه القصة على من نذر ذبح ولده، لزمه ذبح شاه.
ثم قال السيوطي: فسّر الذبح العظيم في الأحاديث والآثار بكبش. فاستدل به المالكية على أن الغنم في التضحية أفضل من الإبل.
الثالث ــ استدل بالآية على أنه تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه ــ كما ذكره الرازي ــ في باب الإبتلاء، أي إبتلاء المأمور في إخلاصه وصدقه، فيما يشق على النفس تحمله.
الرابع ــ يذكر كثير الخلاف في الذبيح.
قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد): وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:
هذا القول إنما متلقي من أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم.

فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه (بكره)، وفي لفظ (وحيده)
ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده.
والذي غرّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم اذبح ابنك إسحاق)
قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم، لأنها تناقض قوله (بكرك وحيدك)
ولكن يهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويختارونه دون العرب.
ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.
وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى {لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ} [هود ٧٠، ٧١].
فمحال أن يبشرها بأنه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه.
ولا ريب أن يعقوب داخل في البشارة.
فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ الواحد.
وهذا ظاهر الكلام وسياقه.
فإن قيل: لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجروراً عطفاً على إسحق.
قيل لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به، لأن البشارة قول مخصوص، وهي أول خبر سار صادق.
وقوله {وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ} جملة متضمنة بهذه القيود، فيكون بشارة بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية، أو لما كانت البشارة قولاً كان موضوع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول.
كأن المعني: وقلنا لها من وراء إسحاق يعقوب
والقائل إذا قال: بشرت فلاناً بقدوم أخيه، وثقله في أثره، لم يعقل منه إلا بشارة بالأمرين جميعاً.
هذا مما لا يستريب ذوفهم فيه البتة.
ثم يضعف الجر أمر آخر.
وهو ضعف قولك (مررت بزيد ومن بعده عمرو) لأن العاطف يقوم مقام حرف الجر، فلا يفصل بينه وبين المجرور، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور،
ويدل عليه: أنه سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه في هذه السورة، قال {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الآيات، ١٠٣-١١١].
ثم قال {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [الآية، ١١٢]
فهذا بشارة من الله له، شكراً على صبره على ما أمر به.
وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول.
بل هو كالنص فيه.
فإن قيل: فالبشارة الثانية وقعت على نبوته، أي لما صبر الأب على ما أمر به وأسلم الولد لأمر الله، جزاه الله على ذلك، بأن أعطاه النبوة.
قيل: البشارة وقعت على المجموع، على ذاته ووجوده، وأن يكون نبياً.
ولهذا ينصب (نبياً) على الحال المقدر أي مقداراً نبوته.
فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل، ثم يخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة.

هذا محال من الكلام.
بل إذا وقعت البشارة على نبوته، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى،
وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة،
ولذلك: جعلت القرابين يوم النحر، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله.
ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، دون إسحق وأمه.
ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل.
وكان النحر بمكة: من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زماناً ومكاناً.
ولو كان الذبح بالشام، كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم: لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.
وأيضاً فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليماً؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه.
ولما ذكر إسحق سماه عليما فقال تعالى {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ} [الذاريات ٢٤، ٢٥] إلى أن قال {قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات ٢٨]
وهذا إسحق بلا ريب،
لأنه من امرأته وهي المبشرة به.
وأما إسماعيل فمن السرية.
وأيضاً فإنهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد.
وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك،
وأيضاً فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده.
وإبراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته،
والله تعالى قد اتخذه خليلاً.
والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها.
فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد: جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمره الجليل بذبح المحبوب.
فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد: خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة.
إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس فيه.
وقد حصل المقصود، فنسخ الأمر، وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب.
ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار: إنما حصل عند أول مولود.
ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول.
بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة، ما يقتضي الأمر بذبحه.
وهذا في غاية الظهور.
وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل: غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة.
فإنها كانت جارية.
فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيره سارة.
فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة، ليبرد عن سارة حرارة الغيرة.
وهذا من رحمته ورأفته.
فكيف يأمره سبحانه بعد هذا، أن يذبح ابنها، ويدع ابن الجارية بحاله هذا، مع رحمه الله لها وإبعاد الضرر عنها وخيرته لها؟

فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية؟
بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية، فحينئذ يرق قلب الست على ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأن الله لا يضيع بيتاً، هذه وابنها منهم.
ويرى سبحانه عباده: جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدة، وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة، والتسليم إلى ذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه، من جعل آثارهما وموطيء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة.
وهذا سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه، أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره.
قال تعالى {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص ٥].
{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد ٢١].
وقال السيوطي في (الإكليل): واستدل بقوله تعالى بعد {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ} [الصافات ١١٢]. من قال إن الذبيح إسماعيل.
وهو الذي رجحه جماعة.
واحتجوا له بأدلة.
منها
وصفه بالحلم
وذكر البشارة بإسحق بعده.
والبشارة بيعقوب من وراء إسحق.
وغير ذلك.
وهي أمور ظنية لا قطعية.
ثم قال: وتأملت القرآن فوجدت فيه ما يقتضي القطع أو يقرب منه ــ ولم أرمن سبقني إلى استنباطه ــ وهو أن البشارة وقعت مرتين.
مرة في قوله {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِين * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} [الصافات، ٩٩-١٠٢].
فهذه الآية قاطعة في أن هذا المبشر به هو الذبيح.
ومرة في قوله {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ} [هود، ٧١].
فقد صرح فيها أن المبشر به إسحق.
ولم يكن بسؤال من إبراهيم.
بل قالت امرأته إنها عجوز، وإنه شيخ.
وكان ذلك في الشام لما جاءت الملائكة إليه بسبب قوم لوط وهو في آخر أمره.
أما البشارة الأولى لما انتقل من العراق إلى الشام، حين كان لا يستغرب فيه الولد، ولذلك سأله.
فعلمنا بذلك أنهما بشارتان في وقتين، بغلامين.
أحدهما بغير سؤال، وهو إسحق صريحاً.
والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره.
فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح . انتهى.(٤)
٣- في قوله تعالى {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الآيتان ١٦٥، ١٦٦].
روى ابن جرير عن الوليد بن عبد الله قال: كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} فصفوا.

وقال أبو نضرة: كان عمر رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم، استقيموا قياماً، يريد الله بكم هدى الملائكة.
ثم يقول {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} تأخر يا فلان، تقدم يا فلان، ثم يتقدم فيكبر.
رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.(١١)
وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجداً، وتربتها لنا طهوراً.(١٢)
٤- في قوله تعالى {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ} [الآية ١٧٧].
روى الشيخان(١٣) عن أنس رضي الله عنه قال: صبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر.
فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش..!!
رجعوا وهم يقولون: محمد والله! محمد والخميس.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أكبر خرجت خيبر (إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).
دل تمثله صلى الله عليه وسلم بالآية على شمولها لعذاب الدنيا، أولاً وبالذات.
٥- في قوله تعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الآية ١٨٠].
قال ابن كثير: لما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص، بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال المطلق مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص ــ قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن.
ولهذا قال تبارك وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ} الآيات.
وروي ابن أبي حاتم عن الشعبي مرسلاً: من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه، حين يريد أن يقوم: {سُبْحَانَ رَبِّكَ} الآيات.
وروى أيضاً عن علّى موقوفاً.
وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم مرفوعاً: من قال دبر كل صلاة {سُبْحَانَ رَبِّكَ} الآيات، ثلاث مرات، فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر.
وقد بين الرازي أن خاتمة هذه السورة الشريفة جامعة لكل المطالب العليا فارجع إليه.(٤)

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٣٩٣/١
البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة الصافات"
القاسمي / محاسن التأويل "تفسير سورة الصافات"
٢- انظر: الفيروزابادي / مصدر سابق "تفسير سورة الصافات"
٣- انظر: البقاعي / مصدر سابق "تفسير سورة الصافات"
٤- انظر: القاسمي / مصدر سابق "تفسير سورة الصافات"
٥- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣٠٩
السخاوي / جمال القراء ٢١٣/١
الفيروزابادي / بصائر ٣٩٣/١
الآلوسي / روح المعاني "تفسير سورة الصافات"
محمد غوث / نتثر المرجان ٢/٦
٦- انظر: فضل سورة البقرة.
٧- رواه: النسائي، كتاب: الإمامة، باب: الرخصة للإمام في التطويل
ابن حبان، كتاب: الصلاة، باب صفة الصلاة
وغيرهما
والحديث: إسناده حسن كما في التقريب ص ١٤٦
وكذلك: صححه الشيخ أحمد شاكر، في تعليقه على المسند ١٦/٧
٨- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة الصافات"
٩- انظر: الشهيد/ سيد قطب في ظلال القرآن "تفسير سورة الصافات"
١٠- انظر: سعيد حوي / الأساس "تفسير سورة الصافات"
١١- انظر: ابن جرير / جامع البيان ١١٢/٢٣ ط الحلبي
١٢- رواه: مسلم.. كتاب "المساجد ومواضع الصلاة"
١٣- أخرجه.. البخاري .. كتاب الآذان، باب: ما يحقن بالآذان من الدماء، مسلم.. كتاب النكاح.

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة ص

## أولاً:اسم السورة

**وتسمى هذه السورة بما يلي:**

**١- سورة ص:(١)**

**وذلك: لافتتاحها بها.(٢)**

**وقيل: لأن مخرج هذا الحرف (ص) من طرف اللسان، وله من الصفات، الهمس، والرخاوة.. الخ، وذلك مناسب لذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن على ايديهم إهلاك، بل ابتلوا، وصبروا، وسلمهم الله تعالى من أعدائهم، من الجن والإنس.(٣)**

**٢- سورة داود:(٤)**

**وذلك : لاشتمال السورة على مقصد قصة داود عليه السلام،(٢) في قوله تعالى {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [الآية، ٣].**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**وعدد آياتها: (٨٨) ثمان وثمانون آية.(٥)**

**وعدد كلماتها: (٧٣٢) سبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة.**

**وعدد حروفها: (٣٠٦٩) ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "الصافات"، وقبل: سورة "الزمر".**

**ب- في النزول... بعد: سورة "القمر"، وقبل: سورة "الأعراف".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجائته قريش وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم، فشكوه إلى أبي طالب فقال يا ابن أخي: ما تريد من قومك؟ قال أريد منهم كلمة، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة قال ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقالوا: إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب، فنزل فيهم ــ ص والقرآن ــ إلى قوله ــ بل لما يذوقوا عذاب.(٦)**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة مكية وقيل مدنية وضعف(٧)**

## سادساً : فضل السورة

**تدخل هذه السورة ضمن حديث وائلة بن الأسقع، حيث إنها من السورة المثاني.(٨)**
**ولا يصح فيها الحديث الذي ذكره البيضاوي وأبو مسعود وغيرهما في تفسير هذه السورة، وفيه:**
**"كان النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخرة الله لداود عشر حسنات، وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير".**
**حيث إنه من حديث أبي بن كعب، الذي حكم عليه العلماء بأنه "حديث موضوع".(٩)**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**١- ص تكمل الصفات.. إذ هما يتحدثان عن قضية التوحيد.**
**٢- الصافات تحدثت عن "الياس" وص تحدثت عن خليفته "اليسع".**
**٣- الصافات: تحدثت عن عباد الله المخلصين، وص: تحدثت عن الطريق {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}**
**٤- الصافات عرضت لموضوع التوحيد، وتحدثت عن الرسل، وص: عرضت لموضوع التوحيد، وتحدثت عن المشركين وتكذيبهم للرسل.**
**٥- الصافات عرضت لتخاصم الكافرين قبل دخولهم الكفار [الآية، ٢٢]، وص :عرضت لذلك بعد دخولهم الكفار [الآية، ٦].**
**٦- الصافات عرضت لتساؤل المؤمنين عن الكافرين [الآية، ٥١]. وص: الع.... [الآية، ٦٢].**

## ثامناً : هدف السورة

**المقصود منها بيان ما ذكر في آخر الصافات من أن جند الله هم الغالبون ــ وإن رئى أنهم ضعفاء، وإن تأخر نصرهم ــ غلبة آخرها سلامة للفريقين، لأنه سبحانه واحد لكونه محيطاً بصفات الكمال كما أفهمه آخر الصافات من التنزيه والحمد وما معهما. وعلى ذلك دلت تسميتها بحرف "ص" لأن مخرجه من طرف اللسان، وبين أصول الثنيتين السفليتين، وله من الصفات الهمس والرخاوة والإطباق والإستعلاء والصفير، فكان دالاً على ذلك لأن مخرجه أمكن مخارج الحروف وأوسعها وأخفها وأرشقها وأغلبها، ولأن ما له من الصفات العالية أكثر من ضدها**

وأفخم وأعلى وأضخم، ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن على أيديهم إهلاك، بل أبتلوا وعرفوا وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس، وإلى ذلك الإشارة بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من أن معناه: [الله ــ ...] صادق فيما وعد، أو صدق محمد صلى الله عليه وسلم، أو صاد محمد صلى الله عليه وسلم وسلم قلوب الخلق واستمالها.(٣)

تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون آيات هذه السورة، من: مقدمة، ومجموعتين، وخاتمة.(١٠)

المقدمة: عبارة عن (٨) ىيات

من الآية الأولى، حتى نهاية الآية (٨)

وفيها:

قسم: يشرف القرآن وعلومة ....، وبالتالي شرف من يؤمن عن أنزله، ويتبع من أنزل عليه، ويعمل بما أنزل فيه.

وجواب هذا القسم: الذي يفيد بيان موقف الكافرين منه، حيث أنكروا التوحيد، وكبوا النبوة، ولم ينتفعوا بما فيه من شرف ورفعة.

المجموعة الأولى: عبارة عن (٥٦) آية

من الآية (٩) حتى نهاية الآية (٦٤)

وفيها:

رد على هؤلاء الكافرين، وموقفهم هذا.. ببيان حجمهم، وهوان شأنهم.

ثم.. رد عليهم: ببيان عاقبة المكذبين من أمثالهم في الدنيا.

وتهديد ــ لهم ــ بسبب إنكارهم لليوم الآخر، واستهزائهم باستعجال العذاب الذي ينكروه.

ثم ... أمر للنبي صلى الله عليه وسلم: بالعين إزاء هذا التعنت والاستهزاء والجحود.. يتضمن: الرد عليهم .. بيان عاقبة المتقين من أمثال محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين، وصحبة، في الدنيا.

ثم .. رد آخر عليهم: ببيان عاقبة المتقين في الآخرة.

يعقبن كذلك: رد عليهم ببيان عاقبة المكذبين ــ منهم ومن أمثالهم ــ في الآخرة.

المجموعة الثانية: عبارة عن (٢١) آية

من الآية (٦٥) حتى نهاية الآية (٨٥)

وفيها:

تقرير: لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، التي كذبوه فيها.

وإثبات: لوحدانية الله، التي أنكروها، ولم يؤمنوا بها.

وبيان: لسر فسادهم، وأصل عواتبهم، وسوء مصيرهم.

ويلاحظ أنه في كل من هذا التقرير والإثبات والبيان: رد عليهم كذلك في كفرهم، وفضح لعنادهم، وعيد بسوء ما لهم.

والخاتمة: عبارة عن (٣) آيات.

من الآية (٨٦) حتى نهاية الآية (٨٨) وهي خاتمة آيات السورة.

وفيها:

أمر للنبي صلى الله عليه وسلم: بإعلان صدقة في دعوته، وإخلاصه فيها، وتجرده عن الهوى والغرض، قطعاً لحجتهم، وصرفاً لسوء ظنهم.

وبيان أن شرف القرآن ــ الذي عرض عليكم ــ يناله، ويترفع به، ويلعوا قدرة بسببه، كل من سارع إليه، ودخل في رحابه، وعمل به، وعرف أنه من أهله... في العالمين، كل العالمين، على اختلاف الزمان، واختلاف المكان، والاختلاف الأجناس.

وتهديد لمن ظل على كذبه وإنكاره، ولم يؤمن بوحدانية الله، ويثق في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدقة وإخلاصه لربة فيها، ويكون ممن يتشرفون بهذا القرآن، وينتسبون إليه ويعملون بما فيه.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

هو:(١١)

١- صلف المشركين وإعراضهم عن الحق، مع ضرب المثل لهم بالأمم الماضية التي حادت عن الحق فهلكت.

٢- إنكارهم للوحدانية.

٣- إنكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

٤- إنكارهم للبعث والحساب.

٥- قصص داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم من النبيين عليهم السلام.

٦- وصف نعيم أهل الجنة.

٧- وصف عذاب أهل النار، وتلاعن بعضهم بعضاً، وسؤالهم عن المؤمنين لِمَ لم يروهم في النار؟

٨- قصص آدم عليه السلام.

٩- قسم إبليس ــ ليغوين بني آدم أجمعين إلا عباد الله المخلصين.

١٠- أمر الله نبيه أن يقول للمشركين: ما أطلب منكم أجراً على تبليغ رسالتي ولا أنا بالذي يدعي علم شيء هو لا يعرفه.

١١- إن القرآن أنزل للثقلين كافة.

١٢- إن المشركين بعد موتهم يعلمون حقيقة أمره.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

قوله تعالى {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ...} [الآيات ٢١-٢٥].

في هذه الآية الكريمة عدة فوائد:(٧)

الأولى ــ للمفسرين في هذا النبأ أقوال عديدة ووجوه متنوعة. مرجعها إلى مذهبين: مذهب من يرى أنها تشير تعريضاً إلى وزر ألم به داود عليه السلام ثم غفر له. ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك. فمن ذهب إلى الأول ابن جرير(١٢) فإنه قال: هذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه. وذلك أن داود كانت له. فيما قيل، تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قتل امرأة واحدة، فلما قُتل نكح ــ فيما ذكر ــ داود امرأته، ثم لما قضى للخصمين بما قضى علم أنه ابتلى. فسأل غفران ذنبه وخر ساجداً لله وأناب إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته. هذا ما قاله ابن جرير(١). ثم اسند قصته مطولة من روايات عن ابن عباس والسدي وعطاء والحسن وقتادة ووهب ومجاهد. ومن طريق عن أنس مرفوعاً. ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن.

قال السيوطي في (الإكليل): القصة التي يحكونها في شأن المرأة، وأنها أعجبته، وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعاً.

وفي إسناده ابن لهيعة، وحالة معروف، عن ابن صخر عن يزيد الراقشي وهو ضعيف.

وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفاً.

أقول: أما المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يأت من طريق صحيح. وأما الموقوف من ذلك على الصحب والأتباع رضي الله عنهم، فمعولهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ، أو الثقة بمن حكى عنها. وينبغي على ذلك ذهابهم إلى تجويز مثل هذا على الأنبياء. وقد ذهبت طائفة إلى تجويز ما عدا الكذب في التبليغ. كما فصل في مطاولات الكلام.

قال ابن حزم رحمه الله: وهو قول الكرامية من المرجئة، وابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه. وهو قول اليهود والنصارى. ثم رد هذا القول، رحمه الله، رداً متيناً.

وأما المذهب الثاني، فهو ما جزم به ابن حزم في ا(الفصل) وعبارته: ما حكام تعبالى عن داود عليه السلام قول صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود. وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم، بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم. بغى أحدهما على الآخر على نص الآية. ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضية بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل، وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة، أنه كذب الملائكة، لأن الله تعالى يقول {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ} فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفلنيها. فأعجبوا لم يقحمون فيه الباطل أنفسهم؟ ونعوذ بالله من الخذلان. ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله إن كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره، ثم يعرض زوجها للقتل عمداً، ليتزوجها. وعن أن يترك صلاته لطائر يراه. هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المترمدين، لا أفعال أهل البر والتقوى. فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟ لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله؟ وأما استغفاره وخروره ساجداً، ومغفرة الله له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة، والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي، ولا من مذنب ولا من غير مذنب، فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض، والملائكة كما قال الله تعالى {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر، ٧].

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ} وقوله تعالى {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة. فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة. انتهى كلام ابن حزم، وهو وقوف على ظاهر الآية، مجرداً عن إشارة وإيماء.

وقال البرهان البقاعي في (تفسيره): وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود.

ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السلام.

لأن عيسى عليه السلام من ذريته، ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه. انتهى.

ثم قال: وقوله تعالى {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} أي الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه. وهذه الدعوى تدريب لداود عليه السلام في الأحكام. وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام. ولما ذكر هذا ربما أوهم شيئاً في مقامه صلى الله عليه وسلم، فدفعه بقوله {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص، ٤٠].

القصة لم يجر ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها. وأن ما ذكروه من قصة المرأة باطل وإن اشتهر. فكم من باطل مشهور، ومذكور، هو عين الزور. انتهى.

وقال ابن كثير: قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه، ولكن روي ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية تزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد، وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل. فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً. انتهى.

وقال القاضي عياض في (الشفا): وأما قصة داود عليه السلام، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيها الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين. ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح. والذي نص الله عليه قوله {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} وقوله فيه {أَوَّابٌ} فمعنى {فَتَنَّاهُ} أي اختبرناه.. و{أَوَّابٌ} قال قتادة: مطيع. وهذا التفسير أولى. قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل عن امرأتك وأكفلنيها. فعاتبه الله على ذلك ونبه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا. وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره. وقد قيل خطبها على خطبته، وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد. وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله {لَقَدْ ظَلَمَكَ} فظلمه بقول خصمه. وقيل: بل لما خشيه على نفسه، وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا. وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ــ ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام، وغيرما من المحققين. قال الداودي: ليس في قصة داود وأرويا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. وقيل: إن الخصمين الذين اختصما إليه، رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية. وقيل: بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا. انتهى.

وقال ابن القيم في أواخر كتابه (الجواب الكافي) في مباحث العشق: وقد أرشد صلى الله عليه وسلم المتحابين إلى النكاح. كما في سنن ابن ماجة(١٣) مرفوعاً: لم ير للمتحابين مثل النكاح. ونكاحه لمعشوقة هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعاً وقدراً. وبه تداوى نبي الله داود صلى الله عليه وسلم ولم يرتكب نبي الله محرماً. وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبته لها. وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته. ولا يليق بنا المزيد على هذا. انتهى.

وهذا منه تسليم ببعض القصة لابتمامها... وهو من الأقوال فيها.

وأما دعوى بعضهم أن التوراة تعدّ داود ملكاً حكيماً، لا نبياً، بدليل ذكره في أسفار الملوك منها، وما فيها من أنه بعث إليه نبي يقال له قاشان ضرب له المثل المذكور. فدعوى مردودة من وجوه: منها أن الاستدلال بالتوراة التي بين أيديهم في إثبات أو نفي لا يعول عليه، كيف لا؟ وقد أوتينا بيضاء نقية محفوظة من التغيير والتبديل بحمده تعالى. ومنها أن نبوة داود عليه السلام لا خلاف فيها عند المسلمين، فلا عبرة بخلاف غيرهم. ومنها أنه لا مانع أن تجتمع النبوة والملك لمن أراده الله واصطفاه، وقد فعل ذلك بداود وسليمان عليهما السلام.

ومنها أنه لا حاجة في كتابنا الكريم أن يتمم بما جاء في غيره، أو يحاول رده على سواه من الكتب، أو هي إليه، لاستغبا..... بنفسه، بل كونه مهيمناً على سائر الكتب، كما أخبر الله تعالى عنه. فليتأمل ذلك. والله أعلم.

وقد روي أن عمر بن عبد العزيز حد بنبأ داود على ما يرويه القصاص، وعنده رجل من أهل الحق. فكذب المحدث به، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله، فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك. وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعي هذا الكلام، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس.

قال الناصر في (الانتصاف): وقد التزم المحققون من أ.... أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، داود وغيره، منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب، مبرءون من ذلك، والتمسوا المحامل الصحيحة لأمثال هذه القصة. وهذا هو الحق الأبلج، والسبيل الأبهج، إن شاء الله تعال. انتهى.

الثانية ــ قال ابن الفرس: في هذه القصة دليل على جواز القضاء في المسجد (أي لظاهر المحراب. إلا أنه ليس نصاً في محراب المسجد) والتلطف في رد الإنسان عن المكروه صنعه،وأنه لا يؤاخذ بعنف ما أمكن. وجواز المعاريض من القول.

قال الزمخشري: وإنما جاءت على طريقة التمثيل والتعريض، دون التصريح، لكونها أبلغ في التوبيخ. من قبل أن المتأمل إذا أداه إلى الشعور بالم... به، كان أوقع في نفسه، وأشد تمكناً من قلبه، وأعظم أثراً فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبيه على الخطأ فيه، من أن يباده به صريحاً، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة، ألا ترى إلى الحكما؟ كيف أوصوا في سياسة الولد، إذا وجدت منه هنة منكرة، بأن يعرض له بإنكارها عليه، ولا يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحالة، إذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية، فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له، لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله، ومقياساً لشأنه، فتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة، مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة.

الثالثة ــ قال ابن مسعود في قوله تعالى {إِنَّ هَذَا أَخِي}: أي على ديني. أخرجه ابن أبي حاتم. ففيه جواز إطلاق (الأخ) على غير المناسب. واستدل بقوله تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء} على جواز الشركة.

الرابعة ــ قال السيوطي في (الإكليل): استدل بقوله تعالى {وَخَرَّ رَاكِعًا} من أجاز التعويض عن سجود التلاوة بركوع. والأكثرون على أن الركوع هنا مجاز مرسل، عن السجود، لأنه لإفضائه إليه، جعل كالسبب، ثم تجوز به عنه. أو هو استعارة له، لمشابهته له في الإنحناء والخضوع.

الخامسة ــ قال ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين: أحدهما أنها ليست من العزائم، بل هي سجدة شكر. لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنها ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها، رواه أحمد والبخاري(١٤) وأصحاب السنن. وعنه أنه قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص)(١٥) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه. فلما كان يوم آخر قرأها. فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود. فقال صلى الله عليه وسلم: إنما هي توبة نبي. ولكن رأيتم ت..... فنزل وسجد، تفرد به أبو داود(١٦) وإسناده على شرط الصحيح.

٢- في قوله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [الآية، ٢٦].

في الآية(٧) بيان وجوب الحكم بالحق، وأن لا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة أو رجاء أو سبب يقتضي الميل. واستدل بها بعضهم على احتياج الأرض إلى خليفة من الله.

وقال ابن كثير: هذه وصية من الله عز وجل لولاه الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله. وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد. روى ابن أبي حاتم عن أبي زراعة، أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! أقول؟ قال: قل في أمان. قلتك يا أمير المؤمنين! أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام؟ إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة، ثم توعده في كتابة قال تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} الآية.

وقال الرازي: أعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا تنظيم مصالحة إلا عند وجود مدينة تامة، حتى هذا يحرث وذاك يطحن وذلك يخبز وذلك ينسج والآخر يخيط. وبالجملة، فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم. وينظم من أعمال الجميع مصالح الجميع.. فثبت أن الإنسان مدني بالطبع. وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات. ولابد من إنسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات، وذلك هو السلطان ينفذ حكمه على الكل. فثبت أنه لا تنظم مصالح الخلق إلا بسلطان قاهر سائس. ثم إن ذلك السلطان القاهر السائس، إن كان حكمه على وفق هواه ولطلب مصالح دنياه عظم ضرره على الخلق، فإنه

يجعل الرعية فداء لنفسه، ويتوسل بهم إلى تحصيل مقاصد نفسه، وذلك يفضي إلى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق. وذلك يفضي بالآخرة إلى هلاك ذلك الملك. أما إذا كانت أحكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقيقة الإلهية، انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخير على أحسن الوجوه، فهذا هو المراد من قوله {فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} يعني لابد من حاكم بين الناس بالحق، فكن أنت ذلك، ثم قال {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} الآية، وتفسيره أنمتابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، وفينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب. انتهى.

٣- في قوله تعالى {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} [الآية، ٣٣].

{رُدُّوهَا عَلَيَّ} يعني الصافنات ........ {فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} أي يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها، يعني يقطعها.

قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أن سليمان عليه السلام اشتغل بعرض الخيل حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً، كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر، حتى صلاها بعد الغروب. وذلك ثابت في الصحيحين(١٧) من غير وجه. ويحتمل أنه كان سائغاً ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو، والقتال. والخيلُ تراد للقتال. وقد أدعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسا... والمضايقة حتى لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود. كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح (تس....) وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما، والأول أقرب. لأنه قال بعد {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} قال الحسن البصري: قال: لا، والله ! لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذلك قال قتادة.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حبّاً لها. وهذا القول اختاره ابن جرير.(١٢) قال: لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعر.....، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح ابن جرير، فيه نظر، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولاسيما إذا كان غضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل. روى الإمام أحمد عن ابن قتادة وأبي الدهماء، وكانا يكثران السفر نحو البيت، قالا: أتينا على رجل من أهل البادية. فقال لنا البدوي، أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل، وقال: إنك لا تدع شيئاً إتقاء الله تعالى، إلا أعطاك الله عز وجل خيراً منه. انتهى ما ذكره ابن كثير.

وقال القاشاني: أي طفق يمسح السيف بسوقها، يعرقب بعضها وينحر بعضها، كسراً لأسنام النفس التي تعبدها بهواها، وقمعاً لسورتها قواها، ورفعاً للحجاب الحائل بينه وبين الحق، واستغفار وإنابة إليه بالتجريد والترك.

وقد ذهب الرازي إلى تأويل آخر استصوبه، قال: إن رابط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم، كما أنه كذلك في دين الإسلام، ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو، فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه، وهو المراد من قوله {عَن ذِكْرِ رَبِّي} ثم أنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره. ثم أمرهم بأن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح أمور: الأول ــ تشريفاً لها وإبانة لعزتها، لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو.

والثاني ــ أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتصنع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه.

الثالث ــ أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض.

وقال: فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقاً مطابقاً موافقاً. ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات.

قال: وأنا شديد التعجب من الناي كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة، مع أن العقل والنقل يردها، وليس لهم في إثباتها شبهة فضلاً عن حجة فإن قيل: إن الجمهور فسّروا الآية بذلك الوجه، فما قولك فيه؟ فنقول: لنا ههنا مقامان: المقام الأول ــ أن ندعى أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها، وقد ظهر، والحمد لله، أن الأمر كما ذكرناه، وظهوره لا يرتاب العاقل فيه. المقام الثاني ــ أن يقال: هب أن لفظ الآية لا يدل عليه، إلا أنه كلام ذكره الناس. فما قولك فيه؟ وجوابنا أن الأدلة الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء عليهم السلام، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات، ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية، فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالي بهم ولا يلتفت إلى أقوالهم؟ والله أعلم. انتهى كلام الرازي.

وسبقه ابن حزم حيث قال: تأويل الآية على أنه قتل الخليل إذا اشتغل بها عن الصلاة، خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة، قد جمعت أفانين من القول، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها،والتمثيل بها، وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة على نبي مرسل، ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها، وإنما معنى الآية أنه أخبر أنه أحب حب الخير، من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس أو تلك الصافنات يحجبها، ثم أمر بردها، فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده، برابها وإكراماً لها، هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة. وكل هذا قد قاله ........ المسلمين. فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ انتهى كلام ابن حزم.

وأقول: الذي يتجه أن هذه القصة أشير بها إلى نبأ لديهم، لأن التنزيل الكريم مصدق الذي بين يديه، إلا أنه له الهيمنة عليه. فما وقف فيه على حد من أنباء ما بين يديه، يوقف عنده ولا يتجاوز. وحينئذ، فالقصة المعروفة عندهم هي التي أشير إليها. لكن مع الهيمة عليها، إذ لا تقبل على علاتها.

٤- في قوله تعالى {وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [الآية، ٤٤].

{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا} أي حزمة صغيرة {فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا} أي في كل ما ابتليناه به {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} أي كثير الرجوع إلى الله تعالى، بالإنابة والإبتهال والعبادة.

يقول القاسمي رحمه الله في الآية، التنبيهات التالية:(٧)

الأول ــ كان أيوب عليه السالم نبياً غنياً من أرباب العقار والماشية، وكان أميراً في قومه، وكانت أملاكه ومنزله في الجنوب الشرقي من البحر الميت، بين بلاد أدوم وصحراء العربية، وكانت إذ ذاك خصيبة رائعة التربة كثيرة المياه المتسلسلة، وكان زمنه بعد زمن إبراهيم وقبل زمن موسى عليهم السلام. هذا ما حققه بعض الباحثين. والله أعلم.

الثاني ــ يذكر كثير من المفسدين ههنا مرويات وقصصاً إسرائيلية في ابتلائه عليه السلام، ولا وثوق من ذلك كله إلا بمجمله ــ وهو ما أشار له التنزيل الكريم، لأنه المتيقن.

وهو أنه عليه الصلاة والسلام أصابته بلوى عظيمة في نفسه وماله وأهله. وأنه صبر على ذلك صبراً صار يضرب به المثل لثباته وسعة صدره وشجاعته، وأنه جوزي بحسنه صبره أضعافها المضاعفة.

الثالث ــ قال الزمخشري: فإن قلت: لم نسب المس إلى الشيطان في قوله {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [الآية، ٤١].

ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه، ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه. وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب؟

قلت: لما كانت وسوسته إليه، وطاعته له فيما وسوس، سبباً فيما مسّه الله به من النصب والعذاب ــ نسبه إليه. وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله في دعائه، مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو. وقيل: أراد ما كان

يوسوس به إليه في مرضه من تعظم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع. فالتجأ إلى الله تعالى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل.

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي بصائر... ٣٩٩/١
البقاعي / نظم الدرر "تفسير سورة ص"
الشوكاني / فتح القدير "تفسير سورة ص"
الأكوسي / روح المعاني "تفسير سورة ص"
٢- انظر: الفيروزابادي / نفس المصدر
٣- انظر: البقاعي / نفس المصدر
٤- انظر: السخاوي / مصدر سابق
الفيروزابادي / مصدر سابق
٥- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة
السخاوي / جمال القراء ص٣١١
الفيروزابادي / بصائر ٢١٤/١
الأكوسي / روح المعاني ٣٩٩/١
محمد غوث / نثر المرجان "تفسير سورة ص"
النيسابوري غرائب ٦١/٦
٦- انظر: السيوطي / لباب النقول "تفسير سورة ص"
٧- انظر: القاسمي / محاسن التأويل ص١٨٨
٨- انظر: فضل سورة البقرة.. في مفاتيح سورة البقرة.
٩- انظر: فضل سورة الفاتحة.. في مفاتيح سورة الفاتحة.
١٠- انظر: سعيد حوي / الأساس "تفسير سورة ص"
١١- انظر: المراغي / تفسير المراغي "تفسير سورة ص"
١٢- انظر: الطبري / جامع البيان "تفسير سورة ص"
١٣- أخرجه: ابن ماجة، كتاب النكاح، باب: ما جاء في فضل النكاح.
١٤- أخرجه: البخاري.. كتاب .... القرآن، باب: سجدة ص.
١٥- السنن... كتاب الافتتاح، باب سجود القرآن، السجود في ص.
١٦- السنن.. كتاب السجود، باب: السجود في ص.
١٧ البخاري... كتاب المغازي، باب: غزوة الخندق.
ومسلم... كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الزمر

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بما يلي:**

**١- سورة الزمَر(١).**

**وذلك: لاشتمالها على الآية التي ذكر فيها زُمَر الفريقين، المسيرة إلى تفصيل الجزاء، وإلزام الحجة، وبطلان المعذرة.(٢)**

**٢- سورة الغرف(١).**

**وذلك: باسم جزاء أشرف الزمر، المذكور في قوله تعالى {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ} [الآية ٢٠]**

**ويذكر الإمام البقاعي من أسمائها كذلك:**

**٣- سورة تنزيل(٣).**

**وذلك: لما فيها من الإشارة إلى أنه تعالى أنزل كلاً من المحشورين داره المعدة له، بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقته أعمالهم؛ عدلاً منه سبحانه في أهل النار، وفضلاً ــ منه سبحانه ــ على المتقين الأبرار.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٤): (٧٥) خمس وسبعون آية.**

**وعدد كلماتها: (١١٧٠) ألف ومائة وسبعون كلمة.**

**وعدد حروفها: (٤٧٠٨) أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية أحرف.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "ص" وقبل: سورة "غافر".**

**ب- في النزول.. بعد: سورة "سبأ"، وقبل: سورة "غافر".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار في ذلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية، سوى الآيات [٥٢-٥٤] فهي مدنية.

## سادساً : فضل السورة

انظر: حديث وائلة بن الأسقع؛ حيث إن هذه السورة من قسم المثاني.(٥)
ولكن.. انتبه إلى ما رواه بعض المفسرين من حديث كعب بن أبي الذي ذكر فيه "عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر: لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة، وأعطاه الله ثواب الخائفين"
حيث إنه حديث: موضوع(٦).

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

ووجه اتصالها بما قبلها:(٧)
١- أنه وصف القرآن في آخر سورة ص بقوله {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ} [الآية ٨٧]
ووصفه هنا بقوله: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.
٢- إنه ذكر في ص~ أحوال الخلق من المبدإ إلى المعاد،
وذكر هنا مثله.
إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتأمل.

## ثامناً : هدف السورة

هو: الدلالة على أنه سبحانه: صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يعجل؛ لأنه لا يفوته شيء، ويضع الأشياء في أوفق محالها،
يعرف ذلك أولوا الألباب، المميزون بين القشر واللباب.(٣)

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون آيات هذه السورة من: مقدمة، وخمس مجموعات، وخاتمة.(٨)

المقدمة: عبارة عن آيتين فقط.
وهما: الآية الأولى، والآية الثانية.
وفيها:
حديث عن: الكتاب ــ وهو القرآن ــ ومنزل الكتاب، وموضوع الكتاب، وبيان ما فيه.
والمجموعة الأولى: عبارة عن (٤) آيات
من الآية (٣) حتى نهاية الآية (٦)
وفيها:
حديث عن: وحدانية منزل الكتاب، وإحاطه علمه، وشمول قدرته في الدنيا.
ومن المعلوم: أن العلم بذلك يقتضي توحيد الله عز وجل بالعبادة، كما يقتضي الإخلاص له سبحانه في هذه العبادة.
وأيضاً: فإن العبادة الخالصة لله تعالى.. هي الطريق للإهتداء إلى إتباع كتاب الله، والتي هي من لوازم إنزال هذا الكتاب.
المجموعة الثانية: عبارة عن (١٦) آية.
من الآية (٧) حتى نهاية الآية (٢٢).
وفيها:
حديث عن: المنزل إليهم هذا الكتاب، بالدعوة المباشرة لعبادة الله سبحانه وتعالى، وتقواه، والخوف من عذابه،والرجاء في رحمته وغفرانه، والإخلاص له في هذه العبادة، واجتناب الطاغوت، وإتباع أحسن الحديث.
كل ذلك: على هدى مما في هذا الكتاب العظيم.
والمجموعة الثالثة: عبارة عن (٢٢) آية.
من الآية (٢٣) حتى نهاية الآية (٤٤)
وفيها:
حديث عن: هذا الكتاب.. وقد ذكرت للقرآن أربع خصائص، كلها تشهد أنه كتاب رب العالمين.
أ- أنه: (أحسن الحديث)
ب- أنه: (كتاباً متشابهاً) أي: يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة، والإعجاز والإخبار، والتذكير، والتبشير، والإنذار، وكل جزء تظهر فيه خصائص القرآن كله، مع تعدد المواضيع وكثرتها وتنوعها، وهذا وحده معجز.
جــ- أنه (مثاني) أي: مرد ومكرر، بمعنى: أن قصصه، وأنباءه، وأحكامه، وأوامره، نواهيه، ومعانيه، ووعده ووعيده، ومواعظه.. تثنى وتكرر..
ومع ذلك: ففي كل مرة تجد.. أسلوباً جديداً، وروحاً جديدة، وعرضاً جديداً، بشكل عجيب مدهش، غير مستطاع للبشر، وهذا وحدة معجز.
د- أنه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)..
ومثل هذا التأثير: لا يمكن أن يكون على مثل هذه الشاكلة، لولا أنه من عند الله.
وبيان: لعاقبة الضالين عنه، وعاقبة المهتدين به.
وتذكير: بالموت، ومآل الإنسان، والحساب.
وبيان: أنه لا أظلم ممن كذب على الله تعالى، وكذب بالصدق إذ جاءه.
وفي النهاية: تثبيت على الطريق، من خلال الأمر بالتوكل على الله، وإنذار الكافرين، وتبشير المؤمنين.
المجموعة الرابعة: عبارة عن (٨) آيات

من الآية (٤٥) حتى نهاية الآية (٥٢)

وفيها:

حديث – مرة أخرى – عن: وحدانية منزل الكتاب، وإحاطة علمه، وشمول قدرته ــ وهذه المرة ــ في الدنيا والآخرة.

المجموعة الخامسة: عبارة عن (١٥) آية

من الآية (٥٣) حتى نهاية الآية (٦٧)

وفيها:

حديث ــ مرة أخرى ــ عن: المنزل إليهم الكتاب، بالدعوة المباشرة ــ هذه المرة ــ للإنابة إلى الله تعالى،وعدم اليأس من رحمته،وإتباع أحسن ما أنزل في هذا الكتاب، من رب العالمين سبحانه وتعالى

ومن المعلوم: أنه لابد أن تكون هذه الإنابة قبل فوات الأوان، وقت أن لا تكون إنابة، ولا تفيد ندامة.

والخاتمة: عبارة عن (٨) آيات

من الآية (٦٨) حتى نهاية الآية (٧٥) وهي خاتمة آيات السورة.

وفيها:

بيان: نتائج الإمتثال والمخالفة، وجزاء المطيعين والعصاة.

وبالضرورة:

فإن الإمتثال المنجي: هو ما كان إلتزاماً بما في هذا الكتاب، الذي أنزله رب العالمين.

والمخالفة المزرية: هي ما كانت مخالفة لما في هذا الكتاب،

الذي أنزله رب العالمين.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل مشتملات هذه السورة الكريمة(٧)

١- وصف الكتاب الكريم.

٢- الأمر بعبادة الله وحدة والنعي على المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام.

٣- إقامة الأدلة على وحدانية الله.

٤- طبيعة المشرك في السراء والضراء.

٥- ضرب الأمثال في القرآن وفائدة ذلك.

٦- تمني المشركين الفداء حين يرون العذاب.

٧- الوعد بغفران ذنوب من أسرفوا على أنفسهم إذا تابوا.

٨- ما يرى على وجوه أهل النار من الكآبة والحزن.

٩- ذكر أحوال يوم القيامة.

١٠- وصف ذهاب أهل النار إلى المحشر وما يشاهدونه من الأهوال.

١١- وصف ذهاب أهل الجنة وما يشاهدونه فيها من النعيم المقيم.

١٢- بعد فصل القضاء يقول أهل الجنة (الحمد لله رب العالمين).

يقـول تعـــالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} [الآية ٩]

{قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} أي متعبداً في ساعاته يقطعها في السجود والقيام {يَحْذَرُ الْآخِرَةَ} أي عقابها {وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} أي جنته ورضوانه،

أي: أهذا أفضل أم ذاك الكافر الجاحد الناسي لربه؟

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ} أي توحيده وأمره ونهيه في الثواب والطاعة {وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}..؟

أي لا يستويان.

في هذه الآية ما يلي:(٢)

الأول ــ استحباب قيام الليل.

قال ابن عباس: آناء الليل: جوف الليل.

وقال الحسن: ساعاته، أي: أوله ووسطه وآخره.

الثاني ــ في قوله تعالى {يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} ردّ على من ذم العبادة خوفاً من النار أو رجاء الجنة. وقد قال صلى الله عليه وسلم (حولها ندندن).(٩)

الثالث ــ في قوله تعالى {هَلْ يَسْتَوِي..} الآية مدح العلم ورفعة قدرة وذمّ الجهل ونقصه.

وفي الآية أيضاً: إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، إذ عبر عنهم أولاً بـــ (القانت) ثم نفى المساواة بينه وبين غيره، ليكون تأكيداً له، وتصريحاً بأن غير العامل كأن ليس بعالم.

قال القاشانيّ: وإنما كان المطيع هو العالم، لأن العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته، بل سيط باللحم والدم، فظهر أثره في الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه، وأما المرتسم في حيز التخيل، بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه، فليس بعلم، إنما هو أمر تصوريّ وتخيل عارض لا يلبث، بل يزول سريعاً، لا يغذوا القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع

{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ} أي يتعظ بهذا الذكر {أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} أي العقول الصافية عن قشر التخيّل والوهم، لتحققها بالعلم الراسخ الذي يتأثر به الظاهر، وأما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ولا تتحقق بهذا العلم ولا تعيه.

**١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١**
**القرطبي / الجامع لأحكام القرآن (تفسير سورة الزمر)**
**الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٤٠٣/١**
**البقاعي / نظم الدرر (تفسير سورة الزمر)**
**السيوطي / الإتقان [النوع ١٧]**
**الشوكاني / فتح القدير (تفسير سورة الزمر)**
**الألوسي / روح المعاني (تفسير سورة الزمر)**
**القاسمي / محاسن التأويل (تفسير سورة الزمر)**
**موسى جار الله. ترتيب السور ص١٠٧**
**٢- انظر: القاسمي / نفس المصدر (تفسير سورة الزمر)**
**٣- انظر: البقاعي / نظم الدرر (تفسير سورة الزمر)**
**٤- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣١٣**
**السخاوي / جمال القراء ٢١٤/١**
**الفيروزابادي / بصائر ٤٠٣/١**
**الآلوسي / روح المعاني (تفسير سورة الزمر)**
**محمد غوث / نثر المرجان ١١٤/٦**
**٥- في مفاتيح سورة البقرة.. راجع نص وتخريج هذا الحديث في [فضل سورة البقرة]**
**٦- انظر: [فضل سورة الفاتحة] في مفاتيح سورة الفاتحة.**
**٧- انظر: المراغي / تفسير المراغي (تفسير سورة الزمر)**
**٨- انظر: سعيد حوي / الأساس في التفسير (تفسير سورة الزمر)**
**٩- أخرجه: أبو داود.. كتاب: الصلاة، باب: في تخفيف الصلاة.**

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة غافر

## أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بما يلي:**

**١- سورة غافر.(١)**

**وذلك: لافتتاحها.**

**٢- سورة المؤمن.(٢)**

**وذلك: لاشتمال السورة على حديث مؤمن آل فرعون، في قوله تعالى {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...} [الآيات ٢٨ وما بعدها]، المتضمنة: دلائل النبوة، ورفع الشبه عنها، والمواعظ والنصائح، وسلامته عن أعدائه، وعما أخذوا به.(٣)**

**٣- سورة الطول.(٤)**

**وذلك: لقوله تعالى {ذِي الطَّوْلِ} [الآية ٣]**

**ويذكر الإمام الفيروزابادي أن لها اسماً آخر، وهو:**

**٤- سورة "حم الأولى"(٥)**

**وذلك: لأنها أولى ذوات "حم"(٥)**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها: (٨٥) خمس وثمانون آية(٦).**

**وعدد كلماتها: (١٠٩٩) ألف وتسع وتسعون كلمة.**

**وعدد حروفها: (٤٩٧٠) أربعة آلاف وتسعمائة وسبعون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف بعد: سورة "الزمر"، وقبل: سورة "فصلت".**

**ب- في النزول بعد: سورة "الزمر"، وقبل: سورة "فصلت".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم يعثر البحث على آثار في ذلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية.**

**سوى قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الآيتان ٥٦، ٥٧]**

**فقد قال العلماء: إنهما مدنيتان.**

## سادساً : فضل السورة

**ورد في فضل هذه السورة.. عدة أحاديث، نبينها حسب ما يلي:**

**١- عن النبي صلى الله عليه وسلم.."إن بيتكم العدو، فقولوا: حم لا ينصرون"(٧)**

**حيث إنها: أول الحواميم، أي السورة السبع المبدوء بقوله تعالى (حم).**

**٢- عن وائلة بن الأسقع.. أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أعطيت مكان التوراة: السبع الطوال، وأعطيت...) الحديث.(٨)**

**٣- عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

**فقال: أقرئني يا رسول الله..!!**

**فقال: "أقرأ ثلاثاً من ذوات ألر".**

**فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني.**

**قال: فاقرأ ثلاثاً من ذوات حميم..**

**فقال: مثل مقالته.**

**فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ ثلاثاً من المسبحات.**

**فقال الرجل: مثل مقالته الأولى.**

**ثم قال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة.**

**فأقرأه النبي (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى فرغ منها.**

**فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا.**

**ثم أدبر الرجل.**

**فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفلح الرويجل" مرتين.(٩)**

**٤- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: آل حم ديباج القرآن.**

**٥- وعنه أيضاً: إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن.**

**٦- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن لكل شيء لُبابا، ولباب القرآن آل حم.(١٠)**

**هذا...**

**وهناك من الأحاديث في فضل هذه السورة: ما لا يعتد به.**

**مثل:**

**حديث: "من قرأ حم المؤمن، إلى (إليه المصير) [الآية ٣٠] وآية الكرسي، حين يصبح: حفظ بهما حتى يمسى، ومن قرأهما حين يمسي: حفظ بهما حتى يصبح"**
**حيث إن هذا الحديث: ضعيف.(١١)**
**ومثل:**
**حديث: أبي بن كعب(١٢)، الذي فيه:**
**"من قرأ سورة المؤمن: لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن، إلا صلى عليه واستغفر له" (١٣)**
**حيث إنه: حديث موضوع(١٢)، لا يعتد به.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**ومناسبتها بما قبلها....:(١٠)**
**١- أنه ذكر في سابقتها ما يئول إليه حال الكافر وحال المؤمن،**
**وذكر هنا أنه غافر الذنب؛ ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.**
**٢- أنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه وهم في المحشر.**

## ثامناً : هدف السورة

**تهدف هذه السورة: إلى علاج وتوضيح قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب.**
**نعم.. إنها تعرض لعلاج قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ المتعالين المتجبرين.**
**وفي ثنايا ذلك: تعرض موقف المؤمنين المهتدين الطائعين، وتبين نصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من النعيم.**
**وعلى الجانب المقابل: موقف المتكبرين المتجبرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل.(١٤)**

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

**وتتكون هذه السورة من أربعة أقسام.(١٥)**
**القسم الأول.. عبارة عن (٢٠) آية.**
**من الآية الأولى.. وحتى نهاية الآية (٢٠)**
**وفيه:**
**تقرير: أن الوجود كله مسلم، مستسلم لله، وأنه لا يجادل في ذلك إلا الذين كفروا، ونهايتهم أنهم أصحاب النار.**
**كما تقرر: أن حملة العرش مسلمون، مستسلمون لله، وأنهم يستغفرون للذين آمنوا، ويدعون لهم.**

وتصوير موقف الكافرين يوم القيامة، وهم في موقف الذلة والإنكسار: يقرون بذنوبهم، ويعترفون، وركن بلا فائدة.

وفيه كذلك: عرض صور من هذا اليوم الذي يتفرد فيه ربنا عز وجل بالحكم والقضاء، ويتوارى فيه كل الجبارين والطغاة، وسائر ما يعبد من دون الله.

والقسم الثاني.. عبارة عن (٣٥) آية

من الآية (٢١) حتى نهاية الآية (٥٥)

وفيه:

الإشارة إلى مصارع الغابرين، كمقدمة لعرض جانب من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وهامان وقارون، تمثل موقف الطغيان من دعوة الحق.

ثم: تعرض حلقة جديدة من قصة موسى ــ لم تعرض من قبل ــ وهي: قصة مؤمن آل فرعون، الذي كان يكتم إيمانه، وحواراته مع قومه، ونصائحه لهم، وتخويفه إياهم.

ثم: حوار بين الضعفاء والمستكبرين من أهل جهنم، وبين هؤلاء من جهة وخزنة جهنم، الملائكة من جهة أخرى.

ثم: البشرى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته بالنصر، وأمره وأمته بالصبر والثقة بوعد الله تعالى.

القسم الثالث.. عبارة عن (٢٢) آية

من الآية (٥٦) حتى نهاية الآية (٧٧)

وفيه:

الكشف عن علة الجدال في آيات الله، والكفر به سبحانه، وبيان ضآلة المتكبرين في هذا الوجود العظيم، الذي يقتضي تصاغر المخلوقين أما خالقهم سبحانه.

وذكر نهاية هؤلاء الجاحدين المتكبرين.

وعلى ضوء ذلك: يبشر الله رسوله صلى الله عليه وأمته بالنصر مرة أخرى، ويأمرة وأمته بالصبر والثقة بوعد الله تعالى.

القسم الرابع.. عبارة عن (٨) آيات.

من الآية (٧٨) حتى نهاية الآية (٨٥) وهي خاتمة السورة.

وفيه:

بيان أن الله تعالى ــ أرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ــ رسلاً كثيرين، وبين أيدي أقوامهم آيات وآيات، ومع ذلك فلم يؤمنوا، ولكن (لما رأوا بأسنا) : (قالوا آمنا بالله وحدة وكفرنا بما كنابه مشركين)..!!

ولكن هل يعقل هذا أو ينفع؟

كلا والله..

ولذلك (.. لم ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عبادة وخسر هناك الكافرون) [الآية ٨٥]

وهذه هي: نتيجة الاستكبار، ونهاية المستكبرين.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما حوته السورة الكريمة من موضوعات، هو:(١٠)

١ – وصف الكتاب الكريم.

٢- الجدل بالباطل في آيات الله.
٣- وصف الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله.
٤- طلب أهل النار الخروج منها لشدة الهول ثم رفض هذا الطلب.
٥- أقامة الأدلة على وجود الإله القادر.
٦- إنذار المشركين بأهوال يوم القيامة.
٧- قصص موسى عليه السلام مع فرعون وما دار من الحوار بين فرعون وقومه والذي يكتم إيمانه.
٨- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه كما صبر أولو العزم من الرسل.
٩- تعداد نعم الله على عباده في البر والبحر.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- في قوله تعالى {فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ} [الآية ٤]
درس للدعاة..
بعدم الاغترار بما عليه الكفار؛ إنّ العاقبة للمتقين، وعدم الخوف من سعة حيلهم وشدة مكرهم وقوة بطشهم.
٢- في قوله تعالى {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ...} [الآية ٨]
قال سعيد بن جبير: إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه.. أين هم ..؟
فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل.
فيقول: إني إنما عملت لي ولهم.
فيلحقون به في الدرجة.
وتلا هذه الآية.
٣- في قوله تعالى {لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...} ؟ [الآية ١٦]
ورد في حديث ابن عمر: أن الله تعالى يطوي السموات والأرض بيده،
ثم يقول: أنا الملك، أنا الجبار، أنا المتكبر
أين ملوك الأرض..؟
أين الجبارون..؟
أين المتكبرون..؟
ثم يقول ثلاث مرات: لمن الملك اليوم..؟
ثم يجيب: (لله الواحد القهار).
٤- في قوله تعالى {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} [الآية ٢٨]
عن ابن عباس: لم يؤمن من آل فرعون بموسى سوى ثلاث:
هذا الرجل،
وامرأة فرعون،
والذي قال (يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك..) [القصص ٢٠]
٥- في قوله تعالى على لسان فرعون {إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}
يقول ابن كثير: جعل فرعون من نفسه واعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام.

ونقول: وهذه طبيعة الطغاة، في كل عصر وجيل.

٦- في قوله تعالى {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [الآية ٣٥]

روى ابن أبي حاتم: أنه لا يكون الإنسان جباراً، حتى يقتل نفسين بغير حق.

ونقول: فما بالك بمن يقتل من عباد الله ما لا يحصى ولا يعد بغير حق..!!

٧- في قوله تعالى {وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [الآية ٢٥]

مع قوله تعالى {وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} [الآية ٣٧]

البشارة لأهل الإيمان: أن يطمئنوا إلى العاقبة، وإلى أن يعرفوا أن أعداء الله ليسوا على شيء مهما علا سلطانهم، وامتد بغيهم.

وهذا في الدنيا.. وما عند الله أشد.

٨- في قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [الآيتان ٣٨، ٣٩]

إشارة إلى أن بداية الرشاد وطريقة هو:

الزهد في الدنيا، والعمل للآخرة.

٩- في قوله تعالى {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ....} [الآية ٨٣]

إشارة إلى أن العلم الدنيوي عامل من عوامل الغرور الصاد عن إتباع الحق.

ولقد وصل الغرور البشري إلى ذروته،

فأصبح أهل العلم بقوانين هذا الكون: يحتقرون كل العلوم الدينية وأهلها، إلا المنصفين منهم، وقليل ما هم.

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
القرطبي / الجامع لأحكام القرآن [تفسير سورة غافر]
البقاعي / نظم الدرر [تفسير سورة غافر]
الزركشي / البرهان [النوع ١٤]
السيوطي / الإتقان [النوع ١٧]
الشوكاني / فتح القدير [تفسير سورة غافر]
الآلوسي / روح المعاني [تفسير سورة غافر]
القاسمي / محاسن التأويل [تفسير سورة غافر]
٢- انظر: السخاوي، القرطبي، الفيروزابادي، البقاعي، الزركشي، السيوطي، الشوكاني، الآلوسي، القاسمي.
[مصادر سابقة]
٣- انظر: القرطبي، الفيروزابادي، البقاعي، السيوطي، الشوكاني، الآلوسي
[مصادر سابقة]
٤- انظر: القرطبي، الجمل، الشوكاني، الألوسي، القاسمي
[تفسير سورة غافر]
٥- الفيروزابادي بصائر ذوي التمييز ٤٠٩/١
٦- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣١٦
السخاوي / جمال القراء ٢١٥/١
الفيروزابادي / بصائر ٣٠٩/١
النيسابوري / غرائب القرآن [تفسير سورة غافر]
الآلوسي / روح المعاني [تفسير سورة غافر]
محمد غوث / نثر المرجان [تفسير سورة غافر]
٧- أخرجه: أبو داود.. كتاب: الجهاد، باب: في الرجل ينادي بالشعار.
والترمذي.. كتاب: الجهاد، باب ما جاء في الشعار.
وصححه الألباني
[صحيح سنن الترمذي ١٣٦/٢]
٨- انظر: مفاتيح سورة البقرة بحث [فضل السورة]
٩- أخرجه: أبو داود.. كتاب: الصلاة، باب تحزيب القرآن.
البيهقي في الشعب، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في فضائل السور والآيات.
والحديث: إسناده حسن.
قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

١٠- انظر: المراغي / تفسير المراغي [تفسير سورة الزمر]
١١- الحديث: أخرجه
الترمذي.. كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي.
والبيهقي في الشعب.. باب: في تعظيم القرآن، فصل: في فضائل السور والآيات.
وقد ضعفة الألباني.. انظر [ضعيف سنن الترمذي ص٣٤١].
١٢- انظر: تخريجه، والحكم عليه، في مفاتيح سورة البقرة،
بحث [فضل السورة]
١٣- انظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل [تفسير سورة غافر]
سيد قطب في ظلال القرآن [تفسير سورة غافر]
١٥- انظر: سعيد حوي / الأساس في التفسير [تفسير سورة غافر]
سيد قطب / في ظلال القرآن [تفسير سورة غافر]

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة فصلت

## أولاً:اسم السورة

**لهذه السورة من الأسماء ما يلي:**
**١- سورة فصلت.(١)**
**وذلك : إشارة إلى ما في قوله تعالى { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...} [الآية٣]**
**من التفصيل والبيان لقوم يعلمون.(٢)**
**٢- حم السجدة(١).**
**وذلك: إشارة إلى ما في آياتها [الآيتان ٣٧، ٣٨]، من: الطاعة له بالسجود، الذي هو أقرب مقرب من الملك الديان، والتسبيح الذي هو المدخل الأول للإيمان(٢).**
**٣- سورة المصابيح(١).**
**وذلك: لقوله تعالى {..... وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا} [الآية ١٢]**
**ويذكر الآلوسي من أسمائها كذلك:**
**٤- سورة الأقوات(٣).**
**وذلك: لقوله تعالى فيها {... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ} [الآية ١٢]**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها: (٥٤) أربع وخمسون آية(٤).**
**وعدد كلماتها: (٧٩٤) سبعمائة وأربع وتسعون كلمة.**
**وعدد حروفها: (٣٣٥٠) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون حرفاً**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "غافر"، وقبل: سورة "الشورى".**
**ب- في النزول.. بعد سورة "غافر"، وقبل: سورة "الشورى".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

لم نعثر على آثار تفيد نزول السورة.
وإن كانت هناك آثار: لنزول بعض آياتها.
بَيْدَ أن هذا: ليس موضوعنا.
حيث إن ما نكشف عنه، هو: نزول السورة نفسها، لا بعض آياتها.

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية باتفاق.

## سادساً : فضل السورة

تدخل هذه السورة: ضمن حديث وائلة بن الأسقع(٥).
وكذلك: حديث عبد الله بن عمرو(٦)
ولا يدخل في فضلها.. حديث أبي بن كعب.
الذي ذكر بعضه المفسرون من أمثال: الزمخشري، والبيضاوي.. حيث قالوا: "عن النبي صلى الله عليه وسلم، من قرأ حم السجدة: أعطاه الله تعالى بكل حرف، عشر حسنات"
إذ هو: حديث موضوع لا يعتد به.(٧)

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

ومناسبتها لما قبلها:(٨)
١- أنهما اشتركتا في تهديد قريش وتقريعهم،
فقد توعدهم المولى في السورة السابقة بقوله: { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...} [الآية ٢١]
وهددهم هنا بقوله: { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [الآية ١٣]
٢- إن كلتيهما بدئت بوصف الكتاب الكريم.

## ثامناً : هدف السورة

تفصيل الطريق إلى تقوى الله تعالى.
وذلك: بالأمر بالعبادة ونفي الشرك.

وتم تفصيل ذلك في السورة: بعرض موقف الكفار من الكتاب، والرسول، وتوحيد الله تعالى، وقضية البعث، والملائكة، والقضاء والقدر.

وبناءً على هذا العرض: تتم الدعوة إلى ما يقابله، من الإيمان بهذه الأصول.

بل يترتب على ذلك: الدعوة إلى التوحيد والعبادة، والتقوى، والاستقامة.

{ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ} [الآية ٦]

وكذلك(٩):

الإعلام بأن العلم: إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء ــ قدرة وعلماً ــ من علمه بعباده؛ فشرعه لهم، فجاءتهم به عنه رسله.

وذلك العلم: هو الحامل على الإيمان بالله،والاستقامة على طاعته، المقترن بهما.

فتكون عاقبته: الكشف الكلي.. حين يكون سبحانه.. سمع العالم الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.. الخ الحديث القدسي، الذي معناه: أنه يوفقه سبحانه، فلا يفعل إلا ما يرضيه.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من مقدمة، وخمسة أقسام.(١٠)

المقدمة.. عبارة عن (٥) آيات.

من الآية (١) حتى نهاية الآية (٥)

وفيها: عرض الكتاب، مع بيان بعض خصائصه، وموقف الكفار منه، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم.

والقسم الأول.. عبارة عن (٧) آيات

من الآية (٦) حتى نهاية الآية (١٢)

وفيه: تقديم الدعوى بعرض المبادئ الأساسية لهذا الدين.

ثم... إقامة الدليل على صحة هذه الدعوى، وضرورة الإيمان، بها، ومن ثمّ الالتزام بمبادئها.

والقسم الثاني.. عبارة عن (١٧) آيات.

من الآية (١٣) حتى نهاية الآية (٢٩).

وفيه: إنذار الكفار، وتهديدهم.. عن طريق التذكير بمصارع الغابرين من قبلهم كعاد وثمود.

وكذلك: تخويفهم بيوم القيامة وأهواله،

ثم.. بيان لسبب إعراضهم، وتهديهم بذكر عقابهم الذي ينتظرهم.

والقسم الثالث.. عبارة عن (٧) آيات

من الآية (٣٠) حتى نهاية الآية (٣٦)

وفيه: حديث عن الهداة المهتدين، الذين آمنوا واستقاموا، مع بيان جزائهم ومنزلتهم، في مقابلة الفريق الضال المعاند.

والقسم الرابع.. عبارة عن (٩) آيات

من الآية (٣٧) حتى نهاية الآية (٤٥)

وفيه: حديث مع النبي صلى الله عليه وسلم عن الكفار وطبيعتهم، مع عرض لبعض الآيات المنظورة، والآيات المسطورة، وإنكار الكفار لها، وعدم إيمانهم بها، والرد عليهم.

وبيان أن القرآن هدى وشفاء لمن آمن به، وعمى ووقر في آذان من لم يؤمن به.
والقسم الخامس.. عبارة عن (٩) آيات
من الآية (٤٥) حتى نهاية الآية (٥٤) وهي خاتمة السورة.
وفيه:
بيان إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، صغير أو كبير.
وتوضيح أن كل إنسان له ما قدم من خير أو شر.
مع إكمال الرد على الكفار في عنادهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ودعواه.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

ومجمل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة هو:(٨)
١- وصف الكتاب الكريم.
٢- إعراض المشركين عن تدبره.
٣- جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين.
٤- إقامة الأدلة على الوحدانية.
٥- إنذار المشركين بأنه سيحل بهم ما حل بالأمم قبلهم.
٦- شهادة الأعضاء عند الحشر على أربابها.
٧- ما يفعله قرناء السوء من التضليل والصد عن سبيل الله.
٨- ما كان يفعله المشركون حين سماع القرآن.
٩- طلب المشركين إهانة من أضلوهم انتقاماً منهم.
١٠- ما يلقاه المؤمنون من الكرامة يوم العرض والحساب.
١١- إعادة الأدلة على الوحدانية.
١٢- القرآن هداية ورحمة.
١٣- إحاطة علم الله وعظيم قدرته.
١٤- من طبع الإنسان التكبر عند الرخاء والتضرع وقت الشدة.
١٥- آيات الله في الآفاق والأنفس الدالة على وحدانيته وقدرته.
١٦- شك المشركين في البعث والنشور ثم الرد عليهم.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

الدرس الأول: بيان القرآن لمواقفهم، وتوضيح الرد الحاسم لها.
فهذه مواقفهم:
١- (من القرآن)
قالوا { لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [الآية ٢٦].

٢- (من الرسول)

قالوا {قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} [الآية ٥]

٣- (من توحيد الله تعالى)

يقول القرآن { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا} [الآية ٩]

٤- (من قضية البعث)

يقول قائلهم { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [الآية ٥٠]

٥- (من الملائكة)

{ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ} [الآية ١٤]

٦- (عن القضاء والقدر)

يصور القرآن حالهم بقوله تعالى { لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ} [الآية ٤٩]

وهذا هو الرد عليهم:

١- بالنسبة للقرآن:

يقول تعالى:

١- { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الآية ٣]

٢- { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [الآيتان ٤١، ٤٢]

٣- { هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [الآية ٤٤]

٢- بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم

يقول تعالى:

١- { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الآية ٦]

٢- { فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [الآية ١٣]

٣- بالنسبة لتوحيد الله تعالى

يقول سبحانه:

١- { أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الآية ٦]

٢- { وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ} [الآية ٦]

٣- { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} [الآية ٤٧]

٤- بالنسبة لقضية البعث

يقول تعالى:

١- { وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الآيتان ١٩، ٢٠]

٢- { إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} [الآية ٤٧]

٣- { أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} [الآية ٥٤]

٥- بالنسبة للملائكة

يقول تعالى:

١- { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [الآية ٣٠]

٦- بالنسبة للقضاء والقدر
يقول تعالى:
{ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [الآية ٥٠]

رد القرآن عليهم:
{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الآيتان ٢٨، ٢٩]
{ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا....}
إلى قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [الآيتان ٤٠، ٤١].
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الآية ٥٢].

الدرس الثاني
في قوله تعالى: { شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ..} [الآية ٢٠]
قال الرازي: نقل عن ابن عباس أنه قال: المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج، وإنه من باب الكنايات كما قال { وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} [البقرة ٢٣٥] وأراد النكاح. وقال { أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ} [النساء ٤٣، المائدة ٦] والمراد قضاء الحاجة.
فتكون الآية وعيداً شديداً في الزنى.
وقد أشار الإمام ابن الأثير في (المثل السائر) إلى ترجيح هذا المعنى. حيث ذكر هذه الآية في الترجيح الذي يقع بين معنيين، يدل عليهما لفظ واحد، يكون حقيقة في أحدهما، مجازاً في الآخر.
وعبارته: الجلود ههنا تفسّر حقيقة ومجازاً.
أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً،
وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة،وهذا هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن المكني عنه.
وأقول(١١). مقصود من أثر عنه إرادة الفروج بالجلود: هو إرادة الفرد الأهم والأقوى.
وذلك: لأن الجلود تصدق على ما حواه الجسم من الأعضاء والعضلات التي تكتسب الجريمة.
ولا يخفى أن أهمها بالعناية وأولاها بالإرادة: هو الفروج؛ لأن معصيتها تزيد على الجميع.
وقد عهد في مفسري السلف اقتصارهم في التأويل من العامّ على فرده الأهم. كقصرهم (سبيل الله) على الجهاد، مع أن (سبيل الله) يصدق على كل ما فيه خير وقربة ونفع ومعونة، على الطاعة، إلا أن أهم الجميع هو جهاد الذين يصدون عن الحق، فذكر الجهاد لا ينفي غيره.
وهذه فائدة ينبغي أن يحرص على فهمها كل من له عناية بالتفسير، فإنها من فوائده الجليلة. وينحلّ بها إشكالات ليست بالقليلة، والله الموفق.

الدرس الثالث:
في قوله تعالى:

{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ} [الآية ٢٢]

أي وما كنتم تستترون عند فعلكم الفواحش والمنكرات، مخافة أو كراهة أن يشهد عليكم ما ذكر، أي ليس استتارهم للخوف مما ذكر، بل من الناس.

وفي الآية تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق، أنه لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب، كما قال أبو نُواس:

إذا ما خلوت الدهر يوماً، فلا تَقُلْ
خلوتُ، ولكن قل: عليّ رقيب

ولا تحسبنّ الله يغْفُل ساعة
ولا أن ما يَخفَى عليك، يغيبُ

الدرس الرابع

في قوله تعالى:

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الآية ٣٣].

أي لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد.

وفي الآية:

فوائد(١١):

الأول ــ قال القاشاني: وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعمليّ؛ وإلا لما صحت الدعوة.

الثانية ــ في الآية إشارة إلى:

ترغيبه صلى الله عليه وسلم في الإعراض عن المشركين، وعما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، مما قصه تعالى عنهم فيما تقدم.

وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ، والدعوة، ببيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات.

فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق.

وثمة وجه آخر: وهو أن مراتب السعادات اثنان: كامل أو أكمل.

أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة مالأجلها يصير كاملاً في ذاته.

فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين.

فقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الآية ٣٠] إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها.

فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل الناقصين.

وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا} الآية.

وأعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيباً وافياً من العلوم الإلهية: عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن.

الثالثة ــ يدخل في الآية

كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة؛ لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوة النبوية.

ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق.
الرابعة ــ في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى ــ على ما قرره الرازي ــ لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال. وكل ما كان أحسن الأعمال: فهو واجب.
الخامسة ــ احتج من جوز قول (أنا مسلم) بدون تعليق على المشيئة، بهذه الآية.
وقال: إطلاقها يدل على أن ذلك هو الأولى.
والمسألة معروفة بسطها الغزالي في (الإحياء).
وللإمام ابن حزم في (الفصل) تحقيق لطيف لا بأس بإيراده.
قال رحمه الله: اختلف الناس في قول المسلم (أنا مؤمن)
فروينا عن ابن مسعود وجماعة من أصحابه الأفاضل ومن بعده من الفقهاء، أنه كره ذلك؛ وكان يقول (أنا مؤمن إن شاء الله)
وقال بعضهم: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله،
وكانوا يقولون: من قال أنا مؤمن، فليقل إنه من أهل الجنة.
ثم قال ابن حزم: والقول عندنا في هذه المسئله.
أن هذه صفة يعلمها المرء من نفسه.
فإن كان يدري أنه مصدق بالله عز وجل، وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبكل ما أتى به عليه السالم، وأنه يقر بلسانه بكل ذلك: فواجب عليه أن يعترف بذلك، كما أمر تعالى { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} ولا نعمة أوْكد، ولا أفضل ولا أولى بالشكر، من نعمة الإسلام.
فواجب عليه أن يقول (أنا مؤمن مسلم قطعاً عند الله تعالى، في وقتي هذا) ولا فرق بين قوله (أنا مؤمن مسلم) وبين قوله (أنا أسود وأنا أبيض) وهكذا سائر صفاته التي لا يشك فيها، وليس هذا من باب الإمتداح والتعجب في شيء، لأنه فرض عليه أن يحصن دمه بشهادة التوحيد، قال تعالى {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة ١٣٦]
وقول ابن مسعود عندنا صحيح، لأن الإسلام والإيمان اسمان منقولان عن موضوعهما في اللغة، إلى جميع البر والطاعات،
فإنما منع ابن مسعود من القول بأنه (مسلم مؤمن) على معنى أنه مستوف لجميع الطاعات، وهذا صحيح.
ومن أدعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك.
وما منع رضي الله عنه من أن يقول المرء (إني مؤمن) بمعنى مصدق،
كيف.. وهو يقول (قل آمنت بالله ورسوله) أي صدقت..؟
وأما من قال فقل إنك في الجنة.
فالجواب أننا نقول: إن متنا على ما نحن عليه الآن، فلابد لنا من الجنة بلا شك.
وبرهان ذلك أنه قد صح من نصوص القرآن والسنة والإجماع، أن من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به، ولم يأت بما هو كفر: فإنه في الجنة.
إلا أننا لا ندري ما يفعل بنا في الدنيا، ولا نأمن من مكر الله تعالى، ولا إضلاله، ولا كيد الشيطان، ولا ندري ماذا تكسب غدا، ونعوذ بالله من الخذلان.

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
البقاعي / نظم الدرر [تفسير سورة فصلت]
السيوطي / الإتقان [النوع: ١٧]
الآلوسي / نظم الدرر (بتصرف يسير)
[تفسير سورة فصلت]
٢- انظر: البقاعي / روح المعاني [تفسير سورة فصلت]
٣- انظر: الألوسي / التبصرة ص٣١٩
٤- انظر: مكي بن أبي طالب / السخاوي
جمال القراء
٢١٥/١
الفيروزابادي / بصائر ٤١٣/١
النيسابوري / غرائب القرآن [تفسير سورة فصلت]
الألوسي / روح المعاني [تفسير سورة فصلت]
محمد غوث / نثر المرجان ٢٧٥/٦
٥- انظر: الحديث ونصه، وتخريجه.. في مفاتيح سورة البقرة
[بحث فضل السورة]
٦- انظر: الحديث.. نصه، وتخريجه.. في مفاتيح سورة غافر
[بحث فضل السورة]
٧- انظر: الحديث.. نصه، وتخريجه.. في مفاتيح سورة الفاتحة
[بحث فضل السورة]
٨- انظر: المراغي / تفسير المراغي [بحث فضل السورة]
٩- انظر: البقاعي / نظم الدرر [بحث فضل السورة]
١٠- انظر: سعيد حوي / الأساس في التفسير [بحث فضل السورة]
١١- انظر: القاسمي / محاسن التأويل [بحث فضل السورة]

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الشورى

## أولاً:اسم السورة

**لهذه السورة من الأسماء:**
**١- سورة الشورى(١).**
**وذلك: من قوله تعالى {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى ٣٨]، وفيها إشعار: بذلة الدنيا، وعزة الآخرة، وصفات طالبيها، مع اجتماع قلوبهم بكل حال.(٢)**
**٢- سورة "حم عيسق"(٣).**
**وذلك: لافتتاحها بها.**
**٣- سورة "عيسق"(٤).**
**وذلك ــ كذلك ــ لافتتاحها بها(٥).**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٦): (٥٣) ثلاث وخمسون آية.**
**وعدد كلماتها: (٨٦٦) ثلاثمائة وست وستون كلمة.**
**وعدد حروفها: (٣٠٨٨) ثلاثة آلاف وثمانية وثمانون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "فصلت"، وقبل: سورة "الزخرف".**
**ب- في النزول.. بعد: سورة "فصلت"، وقبل: سورة "الزخرف".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على سبب لنزولها.**
**بيد أن هناك آيات منها: لها أسباب نزول.**
**وليس من غرضنا ذكر أسباب نزول آيات من هذه السورة، أو تلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

هذه السورة: مكية
سوى الآيات [٢٣-٢٧] فقد قال العلماء: أنها مدنية.

## سادساً : فضل السورة

انظر: ما ورد في فضل سورة (فصلت).
حيث يصح إطلاقه على هذه السورة الكريمة.
غير أننا نؤكد على: ضرورة الانتباه لما يذكره بعض المفسرين في كتبهم من حديث (أبي بن كعب) الموضوع، كما بينا في مفاتيح سورة الفاتحة.
وقد ذكروا هنا من هذا الحديث الموضوع: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ حم عيسق: كان ممن تصلى عليه الملائكة، ويستغفرون له، ويسترحمون له".

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

ترتبط هذه السورة الكريمة بما قبلها: إرتباطاً وثيقاً.
حيث اشتملت كل منها على: ذكر القرآن، ودفع مطاعن الكفار فيه.
والتخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم من آلام هذه المطاعن الكاذبة في القرآن الكريم.

## ثامناً : هدف السورة

بيان وحدة الرسالات، وهي إقامة الدين، والاجتماع عليه.
الحديث عن الوحي: مصدره، ومادته، ووحدته، وحقيقته.
وذلك: بصفة عامة.
ومن ناحية خاصة:
الحديث عن القائد والجماعة القائدة: صفاتها، ودورها، وضرورتها، وثوابتها.
كذلك: بيان ضرورة(٧) الاجتماع على الدين، الذي أساسه الإيمان، وأم دعائمة الصلاة، وروح أمره الألفة بالمشاورة، المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء، كما أنهم في العبودية لشارعه سواء.
وأعظم نافع في ذلك: الإنفاق، والمواساة بما في اليد، والعفو، والصفح عن المسيء، والإذعان للحق في الخضوع للآمر الحق وإن صعب وشق.
والداعي إلى ذلك كله: إليه هذا الكتاب، الذي هو روح جسد هذا الدين، المعبر عما دعا إليه من

محاسن الأعمال، وشرائف الخلال بالصراط المستقيم.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة الكريمة من: ثلاثة أقسام.(٨)

القسم الأول.. عبارة عن (٦) آيات

من الآية الأولى... حتى نهاية الآية (٦)

وفيه:

الحديث عن ظاهرة الوحي.

ثم التعريف بالله سبحانه وتعالى، وبيان عظمته، وذكر بعض أسمائه، سبحانه وتعالى، ورقابته على المشركين.

وكذلك: الحديث عن الملائكة، واستغفارهم لمن في الأرض.

والقسم الثاني... عبارة عن (٤٥) آية.

من الآية (٧) حتى نهاية الآية (٥١).

وفيه:

الحديث عن حكمة إنزال القرآن.

والحكم على كل خلاف يقع بين الناس، مع إعطاء نموذج على الاختلاف في قضية الكفر والإيمان.

ثم: بيان أن ما شرع في هذا الدين هو ما شرع في الرسالات السابقة، مع التركيز على أن الدين: شريعة وجماعة.

والحديث عن موقف المشركين وأمثالهم من هذا المضمون للدين، وبيان ما ينبغي أن نواجه به هذه المواقف، خاصة: وأن حجج كل هؤلاء ــ في مواقفهم ــ باطلة.

وكذلك:

الحديث عن الإسلام الذي هو الحق والعدل: والحث على: إقامته من خلال التذكير بقرب الساعة.

وكذلك:

بيان أن الله عز وجل لطيف بعباده، رازق، قوي، عزيز..

ومن ثم: فعلى الإنسان أن يعمل للآخرة مطمئن النفس، مستريح الخاطر على رزقه المقسوم.

ثم يناقش هذا القسم قضيتين.

الأولى: قضية السير في شرع غير شرع الله سبحانه وتعالى.

الثانية: قضية إتهام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب على الله سبحانه وتعالى.

ثم يأتي الحث على التوبة، وبيان من هم الذين يستجيبون لدعوة الله.

وفيه: الحديث عن صفات الذين يستأهلون رضوان الله، وهم الذين يقيمون دين الله، ولا يتفرقون فيه.

وتحدد الآيات صفات هؤلاء

وهم جماعة المسلمين،

وتبين خصائصهم،

وتعطينا الميزان الذي نتعرف به عليهم؛ لنلتزم معهم وبهم، ونتحقق بأخلاقياتهم، ونقيم الدين معهم.

مع التركيز الواضح على أن الطريق إلى الفلاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة: هو إقامة دين الله، والاجتماع عليه.

ثم كان بيان وضع الظالمين، وكيفية التصرف معهم، في الدنيا، وكذلك: ماذا يحدث لهم في الآخرة.

وختام القسم: يكون بالأمر المباشر للاستجابة لشرع الله ودينه.

القسم الثالث.. عبارة عن آيتين فقط .

الآية (٥٢) والآية (٥٣) وهما خاتمة السورة.

وفيه:

بيان أن القرآن روح تحيا به القلوب والأرواح والأنفس والمجتمعات والبشرية كلها.

وأنه من عند الله تعالى ... !!

بدليل: كون محمد صلى الله عليه وسلم، قبل نزوله عليه ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

وكذلك: كون محمد صلى الله عليه وسلم، بعد نزوله أصبح هادياً إلى صراط الله عز وجل، وهو الإسلام.

وثالثاً: كون هذا القرآن نفسه نورا يهدي الله به من يشاء إلى الحق الخالص الكامل.

ملحوظات هامة:

(١) يبدأ القسم الأول بقوله تعالى {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ...} [الآية ٣٠]

ويبدأ القسم الثاني بقوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...} [الآية ٧]

ويبدأ القسم الثالث بقوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...} [الآية ٥٢]

(٢) تكررت مادة الوحي بلفظها في السورة ست مرات، في كل من الآيات: ٣، ٧، ١٣، ٥٢ مرة واحدة، وفي الآية ٥١ مرتان.

(٣) تضمنت هذه الأقسام الثلاثة أغراض القسم المكي من القرآن الكريم.

ففيها:

الحديث عن: الإيمان بالله، ووحدانيته.

في مثل قوله تعالى {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ....} [الآية٤]

وفي مثل قوله تعالى {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...} [الآية ١٢]

وفي مثل قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا...} [الآية ٢٨]

وفي مثل قوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ...} [الآية ٢٩]

وفي مثل قوله تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الآية ٣٢]

وفي مثل قوله تعالى {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ...} [الآية ٤٩]

وفي مثل قوله تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ..} [الآية ٦]

وفي مثل قوله تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...} [الآية ٩]

الحديث عن: الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والرسالات.

في مثل قوله تعالى {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ...} [الآية ٣]

وفي مثل قوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ....} [الآية ٧]

وفي مثل قوله تعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ....} [الآية ١٣]

وفي مثل قوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا...} [الآية ٥٢]

الحديث عن: القرآن

في مثل قوله تعالى {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى...} [الآية ٧]

الحديث عن الملائكة:

في مثل قوله تعالى {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ} [الآية ٥]
الحديث عن: اليوم الآخر..
في مثل قوله تعالى {يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الآية ٧]
وفي مثل قوله تعالى {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ} [الآية ٤٧]
الحديث عن القضاء والقدر
في مثل قوله تعالى {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ...} [الآية ١٩]
وفي مثل قوله تعالى {.... وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الآية ٢٧]
وفي مثل قوله تعالى {... وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ} [الآية ٤٨]

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وخلاصة ما تضمنته السورة الكريمة من الموضوعات(٩)

١- إنزال الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم.
٢- اختلاف الأديان: ضروري للبشر.
٣- أصول الشرائع: واحدة لدى جميع الرسل.
٤- اختلاف المختلفين في الأديان: بغي وعدوان منهم.
٥- إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قامت الأدلة على صدقه.
٦- استعجال المشركين لمجيء الساعة وإشفاق المؤمنين منها.
٧- من يعمل للدنيا يؤت منها وماله حظ في الآخرة، ومن يعمل للآخرة يوفقه الله للخير.
٨- ينزل الله الرزق بقدر بحسب ما يرى من المصلحة.
٩- من الأدلة على وجود الخالق، خلق السموات والأرض، وجرى السفن في البحار.
١٠- متاع الآخرة خير وأبقى من متاع الدنيا.
١١- جزاء السيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله.
١٢- يتمنى المشركون يوم القيامة: العودة إلى الدنيا حين يرون العذاب.
١٣- إذا عرض المشركون على النار: نظروا إليها من طرف خفي وهم خاشعون أذلاء.
١٤- ليس على الرسول إلا البلاغ.
١٥- يهب الله لمن يشاء الإناث ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً.
١٦- أقسام الوحي إلى البشر.
١٧- الرسول قبل الوحي ما كان يدري شيئاً من الشرائع.

١- في قوله تعالى {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ....} [الآية ١٥]
قال ابن كثير: اشتملت هذه الآية على عشر كلمات مستقلات. كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها.
قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي. فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

٢-في قوله تعالى {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الآية ١٥]

في هذه الآية: صفات القائد.

وهي: عشر صفات.

وتنقسم إلى:

قسمين:

فعلي، وقولي.

الصفات العملية:

١- الدعوة إلى ما أوحى إليه من عبادة الله والتجمع عليها.
٢- الاستقامة - ومن معه - على عبادة الله كما أمره الله والاجتماع على ذلك.
٣- عدم إتباع المشركين فيما يهوونه ويعتقدونه.

الصفات القولية:

١- الإيمان بجميع الكتب المنزلة.
٢- أن يعلن أنه مأمور بالعدل بينهم.
٣- الإقرار بالله رب الجميع.
٤- أن يعلن البراءة من أعمالهم ومعتقداتهم.
٥- أن يعلن عدم الخصومة الشخصية بينه وبينهم.
٦- أن يعلن إيمانه بيوم الجمع وهو يوم القيامة.
٧- أن يعلن: أن المرجع والمصير إلى الله تعالى.

٣- في قوله تعالى {فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ...} [الآيات ٣٦-٤٣]

صفات أمة القيادة:

وهي:

١- الإيمان.
٢- التوكل على الله.
٣- اجتناب كبائر الإثم والفواحش.
٤- المغفرة عند الغضب، وكظم الغيظ.
٥- الإستجابة لله تعالى.
٦- إقامة الصلاة.
٧- الشورى بينهم في جميع أمورهم.

٨- الإنفاق في سبيل الله مما رزق الله.
٩- الإنتصار إذا بغى عليهم.
١٠- عدم تجاوز العدل في الإنتصار.
١١- الإصلاح لما أفسده الطغاة.
١٢- والصبر لبلوغ الهدف، والحفاظ على هذه الصفات، أو الصبر لنوالها، ويكون مع الصبر والغفران ما يدل على نقاء السريرة.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الآيات ٣٦-٤٣]

## ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي / جمال القرآء ٣٧/١
٢- الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز ٤١٨/١
البقاعي / نظم الدرر (تفسير الشورى)
الزركشي / البرهان (النوع ١٤)
السيوطي ا/ لإتقان (النوع ١٧)
الشوكاني / فتح القدير (تفسير الشورى)
الآلوسي / روح المعاني (تفسير الشورى)
القاسمي / محاسن التأويل (تفسير الشورى)
٣- انظر: السخاوي، البقاعي، الزركشي، الشوكاني، الآلوسي (مصادر سابقة)
٤- انظر: الفيروزابادي، الزركشي، الآلوسي (مصادر سابقة)
٥- انظر: الفيروز/ ابادي بصائر ٤١٨/١
٦- انظر: مكي بن أبي طالب / التبصرة ص٣٢١
السخاوي / جمال القرآء ٢١٦/١
الفيروزابادي / بصائر ٤١٨/١
النيتسابوري / غرائب القرآن (تفسير الشورى)
الآلوسي / روح المعاني (تفسير الشورى)
محمد غوث / نثر المرجان ٣٣٥/٦
٧- انظر: البقاعي / نظم الدرر (تفسير الشورى)
٨- انظر: سعيد حوى / الأساس (تفسير الشورى)
٩- انظر: المراغي / تفسير المراغي (تفسير الشورى)

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الزخرف

## أولاً: اسم السورة

**وهذه السورة تسمى بـــ**
**سورة الزخرف(١).**

**وذلك: لما في آيتها من الإشارة إلى أنه سبحانه، لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس؛ لعمهم بسبوغ النعم.. ولكن لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم، فأفقر بعضهم، وأكثر بؤسهم وضرهم، وفرق أمرهم؛ ليسهل ردهم عن الكفر الذي أدتهم إليه طبائعهم، وحظوظهم ونقائصهم بما يشهدون من قبائح الظلم والعدوان، إلى ما يرونه من محاسن الدين والإيمان، ولذة الخضوع للملك الديان؛ فتخضع لهم الملوك والأعيان، ويصير لهم الفرقان على جميع أهل العصيان.(٢)**
**وقيل: سميت بذلك: لدلالة آيته على أن الدنيا في غاية الخسة في نفسها، وغاية العداوة مع ربها؛ بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه.(٣)**
**ويقول الأستاذ موسى جار الله: وليست التسمية بهذه الكلمة.. لوجودها في هذه السورة فقط، أو لاختصاص هذه الكلمة بهذه السورة فقط..!!**
**بل وجه التسمية: معنوي، من جهة كون "الزخرف" جعله الله حاكماً في قانون " التسخير" المذكور في هذه السورة { لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الآية ٣٢]**
**وآية "التسخير" هذه: أعظم قانون في نظام الاجتماع، وليس لها ذكر في غير هذه السورة.(٤)**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٥): (٨٩) تسع وثمانون آية**
**وعدد كلماتها: (٨٣٣) ثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة.**
**وعدد حروفها: (٣٤٠٠) ثلاثة آلاف وأربعمائة حرف.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "الشورى"، وقبل: سورة "الدخان".**
**ب- في النزول.. بعد: سورة "الشورى"، وقبل: سورة "الدخان".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار تفيد سبب نزولها كاملة**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية،**
**سوى قوله سبحانه { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الآية ٥٤]**
**فقد قال العلماء: إنها مدنية**

## سادساً : فضل السورة

**انظر: فضل سورة الشورى**
**وذلك في: مفاتيح سورة الشورى.**
**حيث يشتركان في هذا الفضل المذكور هناك.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**تتعانق هذه السورة مع ما قبلها في أمور كثيرة.. منها(٦):**

**١- إذا كانت سورة "الشورى": قد ذكرت من خصائص القرآن.. أنه: منذر، وأنه الصيغة الوحيدة للحق والعدل، وأنه روح يحيا به الإنسان،**

**فإن سورة "الزخرف": تذكر من خصائص القرآن.. أنه : عليّ، وأنه حكيم، وأنه ذكر، وأنه علم للساعة.**

**٢- إذا كانت سورة "الشورى": قد أكدت على أن القرآن لا ريب فيه، من خلال المضمون المشترك لرسالات الله، وكذلك من خلال آثار أسماء الله تعالى فيه.**

**فإن سورة "الزخرف": قد دللت على هذا، من خلال: ذكر خصائص هذا القرآن، وذكر مضمونه.**

**٣-إذا كانت سورة "الشورى" قد ذكرت أن مضمون رسالات الله: هو إقامة دين الله، وعدم التفرق فيه.**

**وذكرت ــ كذلك ــ خصائص الجماعة التي تستطيع إقامة دين الله، والاجتماع عليه.**

**فإن سورة "الزخرف" قد ذكرت خصائص هذا القرآن الذي يعرض.. دين الله، ومضمونه الأعلى الحكيم، وكونه يشرف حامليه، وأن فيه علم الساعة، التي هي أعظم حدث يمر على هذا العالم.**

**وفي ذلك: تربية لحملة الإسلام أن يقيموه، ولا يتفرقوا فيه، مع الاعتزاز به، وعدم الإلتفات عنه، وعدم الإغترار بحال الكافرين، وما هم عليه.**

## ثامناً : هدف السورة

هو:(٢) البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة؛ حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم وما ينشأ عنه؛ لأن هدايتهم بأمر لدُنّي: هو من أغرب الغريب الذي هو للخواص.
وأن القرآن: ذكر وشرف لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ حتى يكونوا أهلاً للجنة { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الآية ٧١]

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وثلاثة أقسام.(٦)

المقدمة.. عبارة عن (٣) آيات.
من الآية الأولى... وحتى نهاية الآية (٣)
وفيها:
وصف القرآن.. بالإبانة، والفصاحة، والعلو، والحكمة،
وهذا دليل على أنه من عند الله.
وأنه ــ كذلك ــ وحده الذي به يعقل الإنسان، وبدونه لا يعقل شيئاً..
وهذا دليل ــ كذلك ــ على أن ذاتاً عليا، فوق الذوات كلها في العلم والإحاطة والحكمة، هي التي أنزلته.
وكل ذلك: مما ينفي الشك عنه، أو فيه.

والقسم الأول.. عبارة عن (٤٠) آية
من الآية (٤) حتى نهاية الآية (٤٣)
وفيه:
ذكر بعض خصائص القرآن
ذكر سنة الله في إرسال الرسل، وموقف الخلق منهم.
مناقشة عقائد الكافرين.
التوجه بالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ تأنيساً له، وتثبيتاً.

والقسم الثاني.. عبارة عن (١٧) آية
وفيه:
ذكر بعض خصائص القرآن.

**ذكر مضمون رسالة من رسالات الله عز وجل؛ بما يخدم الهدف من هذا القسم.**
**مناقشة شبهة من شبه المشركين، وردها.**

**القسم الثالث: عبارة عن (٢٩) آية.**
**من الآية (٦١) حتىنهاية الآية (٨٩) وهي خاتمة السورة.**
**وفيه:**
**ذكر خاصة من خواص القرآن، وهي كونه علماً للساعة**
**ثم نهى: عن الشك في الساعة، وعن صد الشيطان عن إتباع القرآن.**
**ثم مواجهة المشركين بما في الساعة، وتحذيرهم من عاقبة مكرهم.**
**ثم علاج موضوع العقيدة.. بنفي الشرك، وتأكيد التوحيد، وتوضيح قضية اليوم الآخر.**
**ثم يكون الختام... بتوجيه للنبي صلى الله عليه وسلم، يحمل في طياته بلاغة التهديد.**

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

**وخلاصة ما تضمنته السورة من المقاصد(٧)**
**١- وصف القرآن الكريم.**
**٢- الأمر بإنذار قومه صلى الله عليه وسلم مع غفلتهم وإسرافهم في لذات الدنيا.**
**٣- شأن هؤلاء المشركين في تكذيبهم للرسول: شأن غيرهم من المكذبين من قبلهم.**
**٤- اعترافهم بأن الله هو خالق السموات والأرض، مع عبادتهم للأصنام والأوثان.**
**٥- اعتقادهم أن الملائكة بنات الله، ثم نعي ذلك عليهم.**
**٦- تمسكهم بتقليد الآباء والأجداد في شئونهم الدينية.**
**٧- قصص الأنبياء من أولي العزم، كإبراهيم وموسى عليهما السلام.**
**٨- وصف نعيم الجنة.**
**٩- الأهوال التي يلقاها أهل النار حتى يتمنّوا الموت؛ ليستريحوا مما هم فيه.**
**١٠- متاركة أهل الباطل والصفح عنهم حتى يأتي وعد الله.**

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

**من هذه الدروس ما يلي:**
**في الآية الكريمة {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الآية ٤٤]**
**يقول صاحب الظلال(٨) ونص هذه الآية هنا يحتمل أحد مدلولين:**
**أن هذا القرآن تذكير لك ولقومك تسألون عنه يوم القيامة، فلا حجة بعد التذكير.**
**أو أن هذا القرآن يرفع ذكرك وذكر قومك.**

وهذا ما حدث فعلاً.

فأما الرسول صلى الله عليه وسلم: فإن مئات الملايين من الشفاه تصلي وتسلم عليه، وتذكره ذكر المحب المشتاق آناء الليل وأطراف النهار، منذ قرابة ألف وأربعمائة عام، ومئات الملايين من القلوب تخفق بذكره وحبه منذ ذلك التاريخ البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما قومه: فقد جاءهم هذا القرآن والدنيا لا تحس بهم، وإن أحسّت اعتبرتهم على هامش الحياة.

وهو الذي جعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ هذه البشرية.

وهو الذي واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال الفترة التي استمسكوا فيها به.

فلما أن تخلّوا عنه: أنكرتهم الأرض، واستصغرتهم الدنيا؛ وقذفت بهم في ذيل القافلة هناك، بعد أن كانوا قادة الموكب المرموقين!.

وإنها لتبعة ضخمة تسأل عنها الأمة التي اختارها الله لدينه، واختارها لقيادة القافلة البشرية الشاردة، إذا هي تخلّت عن الأمانة: { وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ}

أقول(٦): في هذه الآية تذكير للعرب الذين هم الآن أكثر شعوب المسلمين تركاً للإسلام وهجراً له، وجرأة عليه وعلى أهله، مع أنه شرفهم ولولاه لم يشرفوا، وبدونه لا يبقى لهم شيء إلا الاحتقار والإزدراء من قبل الشعوب، والعذاب والحساب في الآخرة، والتسليط عليهم في الدنيا،

ومع كثرة الباحثين عن المجد للعرب بغير الإسلام، والمدّعين بأنهم راغبون في إعادة مجدهم بطرق غير إسلامية: فإن العرب يزدادون ذلة.

وصدق عمر بن الخطاب: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا به الله أذلنا الله".

٢- في قوله تعالى: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} الآية ٥٤]

قال صاحب الظلال(٨):

واستخفاف الطغاة للجماهير: أمر لا غرابه فيه؛ فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة.

ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين.

ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان،

فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح.

ومن هنا: يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}.

٣- في قوله تعالى: { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الآية ٥٥]

قال ابن كثير: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: آسفونا: أسخطونا، وقال الضحاك عنه: أغضبونا،

وروى ابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه: فإنما ذلك استدراج منه له" ثم تلا صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه: { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}

وعن أبي طارق بن شهاب قال: كنت عند عبد الله رضي عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال: تخفيف على المؤمن،وحسرة على الكافر، ثم قرأ رضي الله عنه { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: وجدت النقمة مع الغفلة.

١- في قوله تعالى: { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الآية ٦١]

رأينا أن أرجح الأقوال عند المفسرين(٦)
أن المراد بالضمير: عيسى عليه السلام، وأن نزوله في آخر الزمان علامة على الساعة، وعلم عنها.
ونحن وإن رجّحنا أن يكون الضمير عائداً على القرآن إلا أن ذلك لا ينفي أن يكون نزول عيسى في آخر الزمان علامة على قيام الساعة،
بل ذلك ثابت بأحاديث متواترة كما قال ابن كثير.
وبمناسبة هذه الآية يقول صاحب الظلال(٨)
وقد وردت أحاديث شتى عن نزول عيسى ــ عليه السلام ــ إلى الأرض قبيل الساعة، وهو ما تشير إليه الآية: { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} بمعنى أنه يُعلم بقرب مجيئها، والقراءة الثانية { وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ} بمعنى أمارة وعلامة.
وكلاهما قريب من قريب.
عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها"
أخرجه مالك والشيخان وأبو داود.
وعن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله تعالى لهذه الأمة".
أخرجه مسلم.
وهو غيب من الغيب الذي حدّثنا عنه الصادق الأمين وأشار إليه القرآن الكريم،
ومنكره بعد تواتره كافر بعد البيان أو قبله، لمن كان يعيش في دار الإسلام على خلاف بين العلماء هل يكفر بعد البيان أو قبل البيان بحكم أنه يعيش على أرض الإسلام فلا يعذر بالجهل.
٥- في قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام: { قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} [الآية ٦٣]
قال الألوسي(١٠) في قوله تعالى: { بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} وهو أمر الديانات وما يتعلق بالتكليف دون الأمور التي لم يتعبدوا بمعرفتها، ككيفية نضد الأفلاك وأسباب اختلاف تشكلات القمر مثلاً، فإن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيان ما يختلف فيه من ذلك، ومثلها ما يتعلق بأمر الدنيا ككيفية الزراعة وما يصلح الزرع وما يفسده مثلاً، فإن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيانها أيضاً كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم في قصة تأبير النخل "أنتم أعلم بأمور دنياكم".
وقال صاحب الظلال(٨): ولقد جاء المسيح فوجدهم شيعاً ونحلاً كثيرة، أهمها أربعة فرق أو طوائف:
طائفة الصدوقيين نسبة إلى "صدوق" وإليه وإلى أسرته ولاية الكهانة من عهد داود وسليمان علهيما السلام.
وحسب الشريعة لابد أن يرجع نسبة إلى هارون أخي موسى.
فقد كانت ذريته هي القائمة على الهيكل. وكانوا بحكم وظيفتهم واحترافهم متشددين في شكليات العبادة وطقوسهم، ينكرون "البدع" في الوقت الذي يترخصون في حياتهم الشخصية ويستمتعون بملاذّ الحياة؛ ولا يعترفون بأن هناك قيامة!
وطائفة الفريسيين، وكانوا على شقاق مع الصدوقين.
ينكرون عليهم تشددهم في الطقوس والشكليات، وجحدهم للبعث والحساب.
والسمة الغالبة على الفريسيين هي الزهد والتصوف،
وإن كان في بعضهم اعتزاز وتعال بالعلم والمعرفة.

وكان المسيح ــ عليه السلام ــ ينكر عليهم هذه الخيلاء وشقشقة اللسان!

وطائفة السامريين، وكانوا خليطاً من اليهود والآشوريين، وتدين بالكتب الخمسة في العهد القديم المعروفة بالكتب الموسوية، وتنفي ما عداها مما أضيف إلى هذه الكتب في العهود المتأخرة، مما يعتقد غيرهم بقداسته.

وطائفة الآسين أو الأسينيين.

وكانوا متأثرين ببعض المذاهب الفلسفية، وكانوا يعيشون في عزلة عن بقية طوائف اليهود، ويأخذون أنفسهم بالشدة والتقشف، كما يأخذون جماعتهم بالشدة في التنظيم.

وهناك غير هذه الطوائف نحل شتى فردية، وبلبلة في الاعتقاد والتقاليد بين بني إسرائيل، الراضخين لضغط الإمبراطورية الرومانية المستذلين المكبوتين، الذين ينتظرون الخلاص على يد المخلص المنتظر من الجميع.

فلما أن جاء المسيح ــ عليه السلام ــ بالتوحيد الذي أعلنه: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} [مريم ٣٦].

وجاء معه بشريعة التسامح والتهذيب الروحي والعناية بالقلب البشري قبل الشكليات والطقوس: حاربة المحترفون الذين يقومون على مجرد الأشكال والطقوس.

ومما يؤثر عنه ــ عليه السلام ــ في هذا قوله عن هؤلاء: "إنهم يحزمون الأوقار، ويسومون الناس أن يحملوها على عواتقهم، ولا يمدون إليها إصبعاً يزحزحونها، وإنما يعملون عملهم كله لينظر الناس إليهم! يعرضون عصائبهم، ويطيلون أهداب ثيابهم، ويستأثرون بالمتكأ الأول في الولائم، والمجالس الأولى في المجامع، ويبتغون التحيات في الأسواق، وأن يقال لهم: سيدي. سيدي. حيث يذهبون.

أو يخاطب هؤلاء فيقول: "أيها القادة العميان الذين يحاسبون على البعوضة ويبتلعون الجمل: إنكم تتقون ظاهر الكأس والصحفة، وهما في الباطن مترعان بالرجس والدعارة.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ إنكم كالقبور المبيضة، خارجها طلاء جميل، وداخلها عظام نخرة". "عن كتاب عبقرية المسيح للعقاد".

قوله تعالى: { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الآية٦٧]

قال ابن كثير(٩): أي: كل صداقة وصحابة لغير الله: فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه،

وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ} [العنكبوت ٢٥].

وروى عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}

قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين، وبشر بالجنة فذكر خليلهفقال: اللهم إن فلاناً خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني،

فيقول له: اذهب، فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيراً وبكيت قليلا.

قال: ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال: ليُثْنِ أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول: اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك؛ اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت عليّ،

قال: فيموت الكافر الآخر، فيجمع بين أرواحهما.

فيقال: ليثنَ كل واحد منكما على صاحبه.

فيقول كل واحد منهما لصاحبه: بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل.

رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة: صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين.
وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته فيَّ".
أقول: فليحاسب كل منا نفسه أن تكون له مودة وصداقة وصحبة لغير المتقين فضلاً عن أن يكون عنده لغيرهم ولاء وطاعة، ولنحرص على الإخلاء في الله فإنه من أعظم القربات إلى الله، ولنحذر أن نضيع إخاءً كسبناه؛ فذلك العجز الكبير،
إن عقد الإخاء في الإسلام أبدي: فلا تفرط فيه،
يقول الإمام على رضي الله عنه: "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من كسب منهم".
٧- في قوله تعالى { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الآية ٧٢].
قال ابن كثير(٩): روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"كل أهل النار: يرى منزله من الجنة حسرة فيقول: { لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [الزمر ٥٧]
وكل أهل الجنة يرى منزلة من النار فيقول: { وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف ٤٣]
فيكون له شكراً"
قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار.. فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، وذلك قوله تعالى { تِلْكُم الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف ٤٣].
٨- في قوله تعالى: {لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الآيات ٧٨-٨٠]
قال صاحب الظلال(٨): وكراهة الحق هي التي كانت تحول بينهم وبين اتباعه، لا عدم إدراك أنه الحق، ولا الشك في صدق الرسول الكريم؛ فما عهدوا عليه كذباً قط على الناس، فكيف يكذب على الله ويدعي عليه ما يدعيه؟
والذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق، ولكنهم يكرهونه، لأنه يصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم، وهم أضعف من أن يغالبوا أهواءهم وشهواتهم؛ ولكنهم أجرأ على الحق وعلى دعاته!
فمن ضعفهم تجاه الأهواء والشهوات: يستمدون القوة على الحق والاجتراء على الدعاء!.
لهذا يهددهم صاحب القوة الجبروت، العليم بما يسرون وما يمكرون:
{ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الآيتان ٧٩، ٨٠]
فإصرارهم على الباطل في وجه الحق: يقابله أمر الله الجازم وإرادته بتمكين هذا الحق وتثبيته.
وتدبيرهم ومكرهم في الظلام: يقابله علم الله بالسر والنجوى.
والعاقبة معروفة حين يقف الخلق الضعاف القاصرون، أمام الخالق العزيز العليم..!!!

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

**١- انظر: السخاوي / جمال القرآء ٣٧/١**
**الفيروزابادي / بصائر ٤٢١/١**
**البقاعي/ نظم الدرر (تفسير الزخرف)**
**٢- انظر: البقاعي / نفس المصدر**
**٣- انظر: القاسمي/ محاسن التأويل (تفسير الزخرف)**
**٤- انظر: موسى جار الله ترتيب السور الكريمة وتناسبها في النزول و ص١١٣**
**٥- انظر: مكي بن ابي طالب/ التبصرة ص٣٢٣**
**السخاوي / جمال القرآء ٢١٦/١**
**الفيروزابادي / بصائر ٤٢١/١**
**الآلوسي / روح المعاني (تفسير الزخرف)**
**محمد غوث / نثر المرجان ٣٩٢/٦**
**٦- انظر: سعيد حوي / الأساس (تفسير الزخرف)**
**٧- انظر: المراغي/ تفسير المراغي (تفسير الزخرف)**
**٨- انظر: الشهيد/ سيد قطب في ظلال القرآن (تفسير الزخرف)**
**٩- انظر: ابن كثير / تفسير القرآن العظيم (تفسير الزخرف)**
**١٠- انظر: الآلوسي / روح المعاني (تفسير الزخرف)**

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

## مفاتيح سورة الدخان

### أولاً:اسم السورة

**وهذه السورة تسمى:**
**سورة الدخان(١).**
**وسميت بذلك: لقولـــــه تعالـــى { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الآية ١٠]**

**وفي الآية دلالة على أنه: جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة بصائر قلوب أهلها وأرواحهم؛ ولذلك: رأوا الدلائل شبهات الشياطين، وجعلوا المميز بينهما مجنوناً.. وإن القرآن كاشف عنه، ككشف الدخان المحسوس عنهم.(٢)**

### ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٣): (٥٩) تسع وخمسون آية.**
**وعدد كلماتها: (٣٤٦) ثلاثمائة وست وأربعون كلمة.**
**وعدد حروفها: (١٤٣١) ألف وأربعمائة وواحد وثلاثون حرفاً.**

### ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف بعد: سورة "الزخرف"، وقبل: سورة "الجاثية".**
**ب- في النزول بعد: سورة "الزخرف"، وقبل: سورة "الجاثية"**

### رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار تفيد سبب نزول السورة كاملة.**

### خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية.**

## سادساً : فضل السورة

أولاً: انظر: فضل سورة الشورى
حيث ينطبق نفس الكلام هناك هنا، سواء بسواء.
ثانياً: ورد في تفسير البيضاوي، وغيره ما يلي:
١- عن النبي صلى الله عليه وسلم "من قرأ حم الدخان: أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك".
وهذه الرواية:
أخرجها: الترمذي في سننه.. كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الدخان.
وأخرجها: البيهقي في الشعب .. باب: في تعظيم القرآن، فصل: في فضائل السور والآيات.
والحديث: (موضوع) كما ذكر الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص٣٤٤
٢-عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حم الدخان ليلة جمعة: أصبح مغفوراً له"
وهذه الرواية: أخرجها الترمذي في سننه.. كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الدخان.
والحديث (ضعيف) حيث ضعفه الألباني، في: ضعيف سنن الترمذي ص٣٤٥
لذلك: فلينتبه.. قارئ تفسير هذه السورة الكريمة.

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

١ - لما ختم الله عز وجل سورة "الزخرف" بالوعيد والتهديد(٤) في مثل قوله تعالى { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الآية ٨٣]
افتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد: من مثل قوله تعالى { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الآيات ٩-١١]
٢- لما ذكر هناك(٤) قول رسول الله صلى الله عليه وسلم { يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف ٨٨]
ذكر هنا نظيره عن أخيه موسى عليه السلام: من قوله { فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ} [الآية ٢٢]
٣-لما ذكر التوجيه لمحمد صلى الله عليه وسلم في نهاية الزخرف: بقوله تعالى(٤) { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف ٨٩]
ذكر هنا: ما هو قريب منه، من قول أخيه موسى عليه السلام { وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ} [الآيتان ٢٠، ٢١]
٤-إذا كانت سورة "الزخرف": قد دللت على أن هذا القرآن لا ريب فيه. من خلال: ذكر خصائصه، وذكر مضمونه.(٥)
فإن سورة "الدخان": قد دللت على ذلك أيضاً
من خلال: التعريف على الله تعالى، منزل القرآن، وصفاته، وأفعاله؛
حيث إن المعرفة الكاملة له سبحانه. تدل حتماً على أن القرآن لا ريب فيه.
٥- إذا كانت سورة الزخرف: قد ذكرت خصائص هذا القرآن، الذي يعرض دين الله ومضمونه الأعلى الحكيم، وكونه يشرف حامليه، وأن فيه علم الساعة، التي هي أعظم حدث يمر على هذا العالم.(٥)

فإن سورة "الدخان": تبين للمسلم الموقف السليم من وجوب الاستعداد لهذا اليوم العظيم بقوله تعالى { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الآية ١٠]
كما تبين له الموقف السليم أمام شك الشاكين بقوله تعالى { فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ} [الآية ٥٩]
٦- إذا كانت سورة "الزخرف": قد ذكرت من خصائص القرآن.. أنه عليّ، وأنه حكيم، وأنه علم للساعة..!!
فإن هذه السورة(٥): تذكر من خصائص القرآن كذلك.. أنه مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى.
٧- إذا كانت سورة "الزخرف": قد استقرت على أنهم قوم لا يؤمنون، كما يفهم ذلك من قوله تعالى { وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف ٨٨]
فإن سورة "الدخان": تبين أنهم يؤمنون بعد رؤية العذاب، كما يفهم ذلك من قوله تعالى { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} [الآيات ١٠-٢٠]
مما يفهم منه(٥): أن سورة "الدخان" كأنها استمرار لسورة "الزخرف".

## ثامناً : هدف السورة

١- بيان تضافر آيات الله في الكون، وآياته في القرآن: على خدمة قضية الدعوة الإسلامية.
٢- تصوير القوم الذين واجهوا الدعوة، وكيفية استقبالهم لها، ونتائج ذلك.
٣- بيان عدم تساوي المؤمنين والكافرين في الحياة، وبعد الممات؛ بسبب مواقفهم من الدعوة.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وخمس فقرات، وخاتمة.(٥)
المقدمة: عبارة عن (٩) آيات.
من الآية الأولى، حتى نهاية الآية (٩).
وفيها:
تعريف: على الله تعالى، وعلى أفعاله.
وبيان: أن هذاالقرآن كتابه، وأنه هو الذي أنزله؛ بمقتضي رحمته وألوهيته وربوبيته.
ومع أن هذه القضية: ينبغي أن تكون من البديهيات المسلمات، وأن يكون الإيمان بها كذلك..!! فإن الكافرين: يشكون، ولا يصدقون به.

والفقرة الأولى: عبارة عن (٧) آيات.
من الآية (١٠) حتى نهاية الآية (١٦)
وفيها:
أمر للحبيب صلى الله عليه وسلم، ولكل من يتأنى له هذا الأمر: أن يترقب وينتظرهلاك هؤلاء الشاكين المكذبين، وذلك { يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}

وكذلك يوم يبطش الله بهم { الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}
والفقرة الثانية: عبارة عن (١٧) آية.
من الآية (١٧) حتى نهاية الآية (٣٣)
وفيها:
بيان لوحدة موقف الكافرين؛
حيث يذكر سبحانه وتعالى: جانباً من نبأ موسى وفرعون وقومهما، الذي يشبه موقف كفار مكة، بل يكشف عن تماثل موقف الكافرين من الرسل، والدعاة في كل العصور.
وفي ذلك: تخفيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسلية له، وللمؤمنين، الذين يعانون من مواقف المشركين وعنادهم وحربهم.
وهو ــ في ذات الوقت ــ بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين كذلك، بحسن العاقبة.
والفقرة الثالثة: عبارة عن (٣) آيات
من الآية (٣٤) حتى الآية (٣٦)
وفيها:
حكاية لبعض أقوال الكافرين، التي دفعهم إليها جهلهم، وعنادهم.
والفقرة الرابعة: عبارة عن (٣) آيات
من الآية (٣٧) حتى نهاية الآية (٣٩)
وفيها:
تهديد ووعيد لهؤلاء الكافرين، المنكرين للبعث، المحتجين في إنكارهم له.. بعدم عودة آبائهم الذين ماتوا.
وهو سبحانه وتعالى إذ يهددهم.. يهددهم بآيات، وآيات؛ لو تمعنوا فيها: لكفوا شكهم، وعدلوا عن كفرهم.
حيث يهددهم:
بما حدث من هلاك للمكذبين من قبلهم.
وبقدرته العظيمة الباهرة في خلق السموات والأرض.
والفقرة الخامسة: عبارة عن (١٨) آية
من الآية (٤٠) حتى نهاية الآية (٥٧)
وفيها:
تهديد جديد عن طريق الوعد والوعيد.
تهديد للمشركين، ببيان ما يكون في يوم القيامة
من جزاء سيء أليم: للمكذبين،
ومن جزاء حسن: للمؤمنين المتقين.

والخاتمة: عبارة عن آيتين فقط.
وهي: الآية (٥٨) والآية (٥٩) وهي خاتمة آيات السورة
وفيها:
ختام ــ كما يقول صاحب الظلال ــ يلخص جو السورة وظلَّها. ويتناسق مع بدئها وخط سيرها.
فقد بدأت: بذكر الكتاب، وتنزيله للإنذار والتذكير،
وورد في سياقها: ما ينتظر المكذبين { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ} [الآية ١٦]

ثم جاء هذا الختام: يذكرهم بنعمة الله في تيسير هذا القرآن، على لسان الرسول العربي، الذي يفهمونه، ويدركون معاينة.
ويخوفهم كذلك ـــ العاقبة والمصير، في تغيير مخيف { فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ}

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وخلاصة ما تضمنته هذه السورة الكريمة من المقاصد(٦)

١- بيان بدء نزول القرآن.

٢- وعيد الكافرين بحلول الجدب والقحط بهم.

٣- عدم إيمانهم مع توالي النكبات بهم.

٤-عظة الكافرين بقصص فرعون وقومه مع موسى عليه السلام، وقد أنجى الله المؤمنين، وأهلك الكافرين.

٥-إنكار المشركين للبعث وقولهم: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين.

٦-إقامة الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٧-وصف أهوال يوم القيامة.

٨-وصف ما يلاقيه المجرمون من النكال والوبال.

٩-وصف نعيم المتقين وحصولهم على كل ما يرغبون.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

يقول: الأستاذ/ سعيد حوي رحمه الله:
تبدأ سورة "الدخان" ـــ بعد مقدمتها ـــ بقوله تعالى للحبيب صلى الله عليه وسلم { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الآية ١٠]
وتنتهي بقوله تعالى ـــ كذلك ـــ للحبيب صلى الله عليه وسلم { فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ} [الآية ٥٩]
مما يشير إلى:
أ- أن المستقبل بيد الله تعالى وحده.

ب- أن التغيير في هذا المستقبل ــ كذلك ــ بيد الله عز وجل وحده.
جــ- أن من واجبات الداعية أن يحسن البلاغ، وما عليه بعد ذلك سوى أن يدع النتائج لله تعالى.

ثاني عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

١- انظر: السخاوي / جمال القراء ٣٧/١
الفيروزابادي / بصائر ٤٢٤/١
٢- انظر: القاسمي / محاسن التأويل (تفسير الدخان)
٣- انظر: مكي بن أبي طالب /التبصرة ص٣٢٦
السخاوي / جمال القراء ٢١٦/١
الفيروزابادي / بصائر ٤٢٤/١
الآلوسي / روح المعاني (تفسير الدخان)
محمد غوث / نثر المرجان ٤٦٤/٦
٤- انظر: الآلوسي / روح المعاني (تفسير الدخان)
٥- انظر: سعيد حوي / الأساس (تفسير الدخان)
٦- انظر: المراغي / تفسير المراغي (تفسير الدخان)

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الجاثية

## أولاً:اسم السورة

**ولهذه السورة من الأسماء ما يلي:**

**١- سورة الجاثية(١).**

**وذلك: لتضمن آيتها {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً...} [الآية ٢٨] بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة؛ لأجل اجتماع الأمم، محاكمة إلى الله تعالى.(٢)**

**٢- سورة الشريعة(٢).**

**وذلك: من قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ} [الآية ١٨]**

**والشريعة في هذه الآية ــ كما يقول موسى جار الله ــ هي: سنة النبي صلى الله عليه وسلم، بنص قوله تعالى (جعلناك) حيث إن الجعل في عرف الكتاب الكريم: هو التكوين، لا التشريع.(٤)**

**٣- سورة الدهر(٥).**

**وذلك: من قوله تعالى { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الآية ٢٤]**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها(٦): (٣٧) سبع وثلاثون آية.**
**وعدد كلماتها: (٤٨٨) أربعمائة وثمان وثمانون كلمة.**
**وعدد حروفها: (٢١٦١) ألفان ومائة وواحد وستون حرفاً.**

## ثالثاً : ترتيب السورة في المصحف و في النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "الدخان"، وقبل: سورة "الأحقاف".**
**ب- في النزول.. بعد: سورة "الدخان"، وقبل: سورة "الأحقاف".**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نعثر على آثار تفيد سببا لنزولها كاملة**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية، سوى هذه الآية(٧):**
**{قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الآية ١٤]**
**فهي: مدنية**

## سادساً : فضل السورة

**انظر: فضل سورة "الشورى".**
**حيث ينطبق ما قيل هناك على هذه السورة، سواءً بسواء.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**هي صلة وثيقة...**
**أبرز دلائلها: تعانق وتشابه أول الجاثية مع آخر الدخان، في الغاية.(٧)**
**إقرأ قوله تعالى في آخر الدخان {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الآية ٥٨]**
**وأقرأ مباشرة في أول الجاثية {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الآيات ٣ وما بعدها]**
**لا تلاحظ أنك انتقلت من موضوع لغيره.**
**وهذا: من ألوان الإعجاز.**

## ثامناً : هدف السورة

**تهدف هذه السورة إلى ما يهدف إليه المكي من القرآن الكريم عامة.**

**فهي:**

ترسخ أسس العقيدة الإسلامية.. من: التوحيد،والرسالة، والبعث.

وذلك عن طريق: إثبات دلائل القدرة والوحدانية، وأيضاً إثبات البعث والحساب، والجزاء.. على الخير خيراً، وعلى الشر بمثله.

## تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وقسمين، وخاتمة(٨).

المقدمة.. عبارة عن آيتين فقط.

من الآية الأولى.. حتى نهاية الآية (٢)

وفيها:

الحديث عن: نزول القرآن الكريم، وعزة الله تعالى وحكمته.

هذا..

ومن مظاهر عزته سبحانه: أنه كلف، وأنه يحاسب.

ومن مظاهر حكمته كذلك: أنه خلق الكون على هذا الكمال، وأنزل القرآن على مثل هذا الكمال.

ولذا.. فهو سبحانه جل جلاله: متصف بكمال العزة، ومتصف بكمال الحكمة.

والقسم الأول.. عبارة عن (١٨) آية

من الآية (٣) حتى نهاية الآية (٢٠)

وفيه:

عرض لبعض آيات الله تعالى في الكون.

إقامة الحجة على الكافرين بالله تعالى، الجاحدين للقرآن.

بيان بعض خصائص هذا القرآن الكريم.

وقد عمق هذا القسم: موضوع كون القرآن هدى، وذكر صفات من يهتدي به، وشروط هذه الهداية، كما بين طبيعة الذين لا يهتدون.

فطبيعة من لا يهتدون: آثمة، كاذبه، مستكبرة، باغية، جاهلة، متبعة للهوى.

وأما طبيعة من يهتدون: فمن خصائصها.. الإيمان، والعقل، والفكر، واليقين، والإتباع، والصدق، والطاعة، والإنصاف، والعلم.

والقسم الثاني.. عبارة عن (١٥)

من الآية (٢١) حتى نهاية الآية (٣٥)

وفيه:

الموازنة بين أهل الإيمان والعمل الصالح، وبين أهل الإثم.

وذكر نتائج الإيمان، ونتائج الكفر، مع ذكر أسباب مواقف الكفر، والرد عليها.

وقد بين هذا القسم: عدم التساوي بين أهل الكفر وأهل الإيمان، في النتائج.

وأما الخاتمة: فهي عبارة عن آيتين فقط.

وهي الآية (٣٦) والآية (٣٧) وهي خاتمة السورة.

وفيها:

الحديث عن: عزة الله تعالى، وحكمته، وإتصافه بالكبرياء، واستحقاقه الحمد؛ مما يشعر بوجوب الإذعان لكبريائه، والتسبيح بحمده.

ونلاحظ: تعانق الخاتمة مع المقدمة الواضح.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

وخلاصة ما حوته هذه السورة الكريمة من الأغراض والمقاصد(٩)

١- إقامة الأدلة على وجود الخالق سبحانه.

٢- وعيد من كذب بآياته واستكبر عن سماعها.

٣- طلب العفو من المؤمنين عن زلات الكافرين.

٤- الإمتنان على بني إسرائيل بما آتاهم من النعم الروحية والمادية.

٥- أمر رسوله ألا يطيع المشركين ولا يتبع أهواءهم.

٦- التعجب من حال المشركين الذين أضلهم الله على علم.

٧- إنكار المشركين للبعث.

٨- ذكر أهوال العرض والحساب، وشهادة صحائف الأعمال على الإنسان.

٩- حلول العذاب بالمشركين بعد أن تبين لهم قبائح أعمالهم.

١٠- ثناء المولى سبحانه على نفسه وإثبات الكبرياء والعظمة له.

## حادي عشر : بعض الدروس المستفادة

١- عند قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الآية ١٨]

يقول صاحب الظلال:(٨)

وهكذا يتمحض الأمر: فإما شريعة الله، وإما أهواء الذين لا يعلمون، وليس هناك من فرض ثالث، ولا طريق وسط بين الشريعة المستقيمة، والأهواء المتقلبة.

وما يترك أحد شريعة الله، إلا ليحكم هواه؛ فكل ما عداها هوى يهفوا إليه الذين لا يعلمون.

والله سبحانه وتعالى: يحذر رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يتبع أهواء الذين لا يعلمون.

فهم: لن يغنوا عنه من الله شيئاً.

وهم: يتولون بعضهم بعضاً.

وهم: لا يملكون أن يضروه شيئاً، حين يتولى بعضهم بعضاً؛ لأن الله هو مولاه {إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الآية ١٩]

وإن هذه الآية، مع التي قبلها: لتُعيّن صاحب الدعوى وتحدده، وتغني في هذا عن كل قول وكل تعليق أو تفصيل.

إنها شريعة واحدة: هي التي تستحق هذا الوصف، وما عداها أهواء منبعها الجهل.

وعلى هذا...

فعلى صاحب الدعوة: أن يتبع الشريعة وحدها، ويدع الأهواء كلها.
وعليه: ألا ينحرف عن شيء من الشريعة إلى شيء من الأهواء.
فأصحاب هذه الأهواء: أعجز من أن يغنوا عنه من الله صاحب الشريعة. وهم إلبٌ عليه: فبعضهم ولي بعض.
وهم: يتساندون ـــ فيما بينهم ـــ ضد صاحب الشريعة.
فلا يجوز: أن يأمل في بعضهم نصرة له، أو جنوحاً عن الهوى الذي يربط بينهم برباطه.
ولكنهم: أضعف من أن يؤذوه {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.
وأين ولاية من ولاية...؟
وأين ضعاف جهال مهازيل، يتولى بعضهم بعضاً، من صاحب شريعة يتولاه الله {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}..؟
٢- في قوله تعالى {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الآية ٢٠]
بعد قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الآيتان ١٨، ١٩]
ما يفيد(٩)

أ- أن من خصائص هذا القرآن: أنه بصائر للناس،
أي أنه: عيون لقلوبهم، يرون بها الأشياء على حقيقتها، وبأحجامها.
وفي ذلك: درس كبير للمسلم، ألا يرى شيئاً في الوجود إلا بعين القرآن. وإن الذي لا يرى الناس والأشياء والأمور وكل شيء بهذه العين: أعمى.
ولذلك نرى:
كثيرين من الناس: لا يرون الأمور السياسة بهذه العين..!!
وكثيرين من الناس: لا يرون الأمور الاقتصادية بهذه العين..!!
وهؤلاء ـــ كلهم ـــ عميان، على الحقيقة."
إن المسلم الحق: هو الذي لا يرى الأشياء كلها.. إلا بنور القرآن.
ب-أن هذه الشريعة، التي جعل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته عليها، والتي جاء بها القرآن: هدى ورحمة.
وفي ذلك: درس كبير للفرد، الذي يبحث عن الهداية، وينشد الرحمة لنفسه، وفي كل أحواله.
وكذلك: للجماعة، التي ترنوا إلى التوفيق في مساعيها، وأهدافها، والرحمة لنفسها وأفرادها وأمتها.
وثالثاً: للأمة التي تبغي التقدم والتفوق والفلاح والرقي في كل شئونها، مع تحقيق الرحمة والأمان والعدل والسلام لكل سكان الأرض.

١- انظر: السخاوي /جمال القرآء ٣٧/١

الفيروزابادي/ بصائر ٤٢٦/١

الزركشي /البرهان (النوع ١٤)

الآلوسي /روح المعاني (تفسير الجاثية)

القاسمي /محاسن التأويل (تفسير الجاثية)

انظر: القاسمي /نفس المصدر

انظر: السخاوي، الفيروزابادي، الزركشي، الألوسي، القاسمي (مصادر سابقة)

٤- انظر: موسى جار الله /ترتيب السور ص١١٥

٥- انظر: السيوطي/ الإتقان (النوع ١٧)

الآلوسي /روح المعاني (تفسير الجاثية)

٦- انظر: مكي بن أبي طالب/ التبصرة ص٣٢٧

السخاوي/ جمال القرآء ٢١٧/١

الفيروزابادي/ بصائر ٤٢٦/١

النيتسابوري/ غرائب القرآن (تفسير الجاثية)

الآلوسي /روح المعاني (تفسير الجاثية)

محمد غوث /نثر المرجان ٤٩٢/٦

٧- انظر: الآلوسي (تفسير الجاثية)

٨- انظر: الشهيد/ سيد قطب (تفسير الجاثية)

٩- انظر: سعيد حوي/ الأساس (تفسير الجاثية)

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

# مفاتيح سورة الأحقاف

## أولاً:اسم السورة

**وتسمى هذه السورة:**

**١- سورة الأحقاف(١)**

**وذلك: لأن مكان "الأحقاف" من حيث سرعة تأثير ريح العذاب فيه.. كالدليل على إنذاره.**
**ففيه: إشعار على أن إنذارات القرآن، كالدلائل على أنفسها.**
**ثم في قصتهم: اتساق الإنذار إلى صيرورة المرجوّ مخوفا.**
**ففيه- كذلك- إشعار بأن إنذارات القرآن مما يخاف منها.. صيرورة ما يرجوه الجهاد مخوفاً عليهم.(٢)**

**٢- سورة "حم الأحقاف".(٣)**

**وذلك: لما أخرجه ابن مردويه، عن ابن عباس وابن الزبير، أنهما قالا نزلت سورة "حم الأحقاف" بمكه.(٣)**

**ولعل ذلك- أيضاً- لأنهما آخر الحواميم، فسميت بذلك إشعارا بانتهاء السور ذوات حم، السبع.**

## ثانياً : عدد آيات السورة و كلماتها و حروفها

**عدد آياتها:(٤) (٣٥) خمس وثلاثون آيه.**

## ثالثاً : ترتيب السورة فى المصحف و فى النزول

**أ- في المصحف.. بعد: سورة "الجاثية"، وقبل: سورة "محمد"**
**ب- في النزول.. بعد سورة "الجاثية"، وقبل: سورة "الذاريات"**

## رابعاً : سبب نزول السورة

**لم نقف على آثار تفيد سبب نزول هذه السورة كاملة.**
**ولكن.. يوجد فيها آيات كريمة لها سبب نزول، ولسنا هنا بصدد بيان ذلك.**

## خامساً : مكية السورة و مدنيتها

**هذه السورة: مكية.**
**غير قوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله..)[الآية١٠]**
**فقد قال بعض العلماء: إنها مدنية.**
**وقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً..)[الآيات١٥-١٨]**
**فقد قال بعض آخر منهم: إنها مدنية**
**وقوله تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل..)[الآية٣٥]**
**فقد قال بعض ثالث: إنها مدنية.**

## سادساً : فضل السورة

**انظر في ذلك: فضل سورة الشورى.**

## سابعاً : صلة السورة بما قبلها

**١- لما ختم الله تعالى سورة "الجاثية" التي قبلها، بذكر التوحيد، وذم أهل الشرك: افتتح هذه.. بذكر التوحيد، ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد.(٥)**

## ثامناً : هدف السورة

**تهدف هذه السورة إلى: علاج قضايا العقيدة، مثلها في ذلك مثل جميع السور المكية.**
**حيث جاء فيها الحديث المفصل عن:**
**الإيمان بوحدانية الله.**

والإيمان بالوحي والرسالة.
والإيمان بالبعث والحساب.
وبالتالي: مناقشة من يعبد غير الله تعالى.
إلى غير ذلك من الأهداف المكية.

تاسعاً : تقسيم آيات السورة موضوعيا

تتكون هذه السورة من: مقدمة، وقسمين:(٦)

المقدمة.. عبارة عن (٣) آيات.

من الآية الأولى.. حتى نهاية الآية.(٣)

وفيها:

بيان: أن القرآن منزل من عند الله العزيز الحكيم، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق ولغاية وأجل محدد.

والتعرض لإعراض الكفار عن الإيمان به

والقسم الأول.. عبارة عن (١٧) آية

من الآية (٤) حتى نهاية الآية(٢٠)

وفيه:

مناقشة الذين يعبدون غير الله.

ثم مناقشة الذين لا يؤمنون بالقرآن.

وكذلك: التبشير، الإنذار، والوعظ، والتذكير.

وبعد ذلك: الحديث عن الفاسقين.

ويلاحظ أن هذا القسم: يبدأ بالأمر المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (قل أرأيتم)[الآية٤]

وينتهي بالحديث عن الفاسقين، في قوله تعالى(.. وبما كنتم تفسقون)[الآية:٢٠]

القسم الثاني.. عبارة عن (١٥) آية

من الآية (٢١) حتى نهاية الآية (٣٥) وهي خاتمة السورة

وفيه:

التذكير: بقوم عاد، والتخويف من أن يصيب الكافرين ما أصابهم، مما يشير إلى أن هؤلاء أولى بهم أن يسارعوا إلى الإيمان.

الحديث عن: إيمان نفر من الجن بمجرد سماعهم القرآن، مما يشير إلى أن هؤلاء أولى أن يؤمنوا.

إقامة الحجة على الكفار في موضوع اليوم الآخر، وتخويفهم -في ذات الوقت- بالنار.

والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالجنة.

ويلاحظ أن هذا القسم -مثل القسم السابق- يبدأ بالأمر المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى (واذكر أخا عادً)[الآية٢١].

وينتهي بالحديث عن الفاسقين، في قوله تعالى (..فهل يهلك إلا القوم الفاسقون)؟[الآية٣٥].

ويقول الأستاذ سعيد حوى، في التعليق على هاتين الملحوظتين:

فالقول -وهو المصدر به القسم الأول- فيه الحجة العقلية.

والتذكير -وهو المصدر به القسم الثاني- فيه: الإثارة العاطفية.

والصبر -وهو الذي انتهت به السورة- لابد منه لقطف ثمرات الأجر.

## عاشراً : أبرز موضوعات السورة

خلاصة ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة

(١) إقامة الأدلة على التوحيد والرد على عبدة الأصنام والأوثان.

(٢) المعارضات التي ابتدعها المشركون للنبوة والإجابة عنها وبيان فسادها

(٣) ذكر حال أهل الاستقامة الذين وحدوا الله وصدقوا أنبياءه، وبيان أن جزاءهم الجنة.

(٤) ذكر وصايا للمؤمنين من إكرام الوالدين وعمل ما يرضى الله.
(٥) بيان حال من انهمكوا في الدنيا ولذاتها.
(٦) قصص عاد، وفيه بيان أ، صرف النعم في غير وجهها يورث الهلاك.
(٧) استماع الجن للرسول صلى الله عليه وسلم وتبليغهم قومهم ما سمعوه.
(٨) عظة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أمته.
(٩) بيان أن القرآن فيه البلاغ والكفاية في الإنذار.
(١٠) من عدل الله ورحمته ألا يعذب إلا من خرج من طاعته ولم يعمل بأمره ونهيه.

١- عند قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعوا نم دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)[الآية٥].

يقول صاحب الظلال:(٨)
وإذا كان القرآن يندد بضلال من يدعون من دون الله آلهة لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة..!!
وكان هذا يعني: المعبودات التاريخية، التي عرفتها الجماعات البشرية عند نزول هذا القرآن..!!
فان النص: أوسع مدلولا، وأطول أمدا، من ذلك الواقع التاريخي.
فمن أضل ممن يدعو من دون الله أحدا في أي زمان، وفي أي مكان..؟
وكل أحد -كائنا من كان-: لا يستجيب بشئ لن يدعوه، ولا يملك أن يدعوه.
وليس هناك إلا الله: فعال لما يريد.
إن الشرك: ليس مقصوراً على الصورة الساذجة التي عرفها المشركون القدامى.
فكم من مشركين: يشركون مع الله ذوي سلطان، أو ذوي جاه، أو ذوى مال.. ويرجون فيهم، ويتوجهون إليهم: بالدعاء، وبالرجاء..!!
وكل: ذوي السلطان، وذوي الجاه، وذوي المال: أعجز من أن يستجيبوا لدعاتهم استجابة حقيقية.
وكلهم: لا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضرا.
ودعاؤهم: شرك.
والرجاء فيهم: شرك.
والخوف منهم: شرك.
ولكنه: شرك خفي، يزاوله الكثيرون وهم لا يشعرون.

٢-عند قوله تعالى(وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن...)[الآيات٢٩-٣٢]
يقول صاحب محاسن التاوإيل(٩)

هنا عدة تنبيهات:
التنبيه الأول:
روي الإمام مسلم(١٠) عن علقمة.
قال: سألت ابن مسعود رضي الله عنه: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟

قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليله ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقيل: استطير، اغتيل!

قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم.

فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبَل حِراءَ.

قال: فقلنا: يا رسول الله! فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم.

فقال: أتاني داعي الجن، فذهبت معهم، فقرأت عليهم القرآن.

قال، فانطلَقَ بنا، فأرانا آثارهم.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال: كان الجن يستمعون الوحي، فيسمعون الكلمة، فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوا حقاً، وما زادوا باطلاً، وكانت النجوم لا يُرمى بها قبل ذلك، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبثّ جنوده، فإذا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم يصلّى بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.(١١)

وهكذا قال الحسن البصري: إنه صلى الله عليه وسلم ما شعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم.

وذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الطائف،ودعائه إياهم إلى الله عز وجل، وإبائهم عليه، فذكر القصةبطولها.

ثم قال: فلما انصرف عنهم، بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة من القرآن، فاستمعته الجن من أهل نصيبين.

قال ابن كثير: وهذا صحيح، ولكن قوله (إن الجن كان استماعهم تلك الليلة) فيه نظر.

فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، كما دلّ عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور، وخروجُه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف كان بعد موت عمه، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين، كما قرره ابن إسحاق وغيره.

وروى ابن أبى شيبة عن ابن مسعود قال: هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، فأنزل الله عز وجل عليه (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن...)[الآية٢٩].

قال ابن كثير: فهذا مع الأول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته، ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالاً: قوماً بعد قوم، وفوجاً بعد فوج.

فأما ما رواه البخاريّ ومسلم(١٢)جميعاً عن معن بن عبد الرحمن.

قال: سمعت أبى يقول: سألت مسروقاً: من آذن النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن؟.

فقال: حدثني أبوك- يعني ابن مسعود رضى الله عنه -أنه آذنته بهم شجرة.
فيحتمل أ، يكون في الأولى ولكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة، أي أعلمته باجتماعهم.
ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم.
قال الحافظ البيهقيّ: وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله علية وسلم، وعلمت حاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يرهم، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن، فقرأ، عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله عز وجل -كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه.

ثم قال ابن كثير: وأما ابن مسعود رضي الله عنه، فإنه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن، ودعائه إياهم، وإنما كان بعيداً منه، ولم يخرج مع النبيّ صلى الله عليه وسلم أحد سواه، ومع هذا، لم يشهد حال المخاطبة. هذه طريقة البيهقيّ.

وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم، لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود ولا غيره، كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام مسلم، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى -والله أعلم- كما روى ابن أبي حاتم في تفسير(قل أوحي إلى) من حديث ابن جريج قال: قال عبد العزيز بن عمر: أما الجن الذين لقوه بنخلة فجنّ نينوى، وأما الجن الذين لقوه بمكة، فجن نصيبين.

وتأوّل البيهقى قوله(فبتنا بشرّ ليلة) على غير ابن مسعود، ممن لم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم إلى الجن، وهو محتمل، على بُعْدٍ.
وبالجملة، فقد روى ما يدل على تكرار ذلك.
وقد روى عن ابن عباس غير ما روى عنه أولاً من وجه جّيد عند ابن جرير(١٣)في هذه الآية، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً إلى قومهم، فهذا يدلّ على أنه قد روى القصتين.

وذكر أبو حمزة الثماليّ أن هذا الحيّ من الجن كانوا أكثر الجن عدداً، وأشرفهم نسباً.
وعن ابن مسعود أنهم كانوا تسعة.
ويروى أنهم كانوا خمسة عشر.
وروى ستين.
وروى ثلاثمائة.
وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفاً.
قال ابن كثير: فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم، ومما يدلّ على ذلك ما رواه البخاريّ في صحيحة(١٤)

أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضى الله عنه لشئ قط يقول: إني لأظنه هكذا، إلا كان كما يظن.

بينما عمر بن الخطاب جالس، إذ مرّ به رجل جميل.

فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجلَ.

فدعي له.

فقال له ذلك.

فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم.

قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني!.

قال كنت كاهنَهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟.

قال: بينما أنا يوما ًفي السوق، جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها؟.

قال عمر: صدق! بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه، يقول: يا جليح! أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال، فوثب القوم.

فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا.

ثم نادى: يا جليح! أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله.

فقمت.

فما نشبنا أن قيل: هذا نبيّ.

هذا سياق البخاريّ.

وقد رواه البيهقيّ من حديث ابن وهب بنحوه، ثم قال: وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح.

حادى عشر : بعض الدروس المستفادة

ثانى عشر : مصادر المفاتيح و هوامش البحث

فضيلة الدكتور عبد الحي الفرماوي
رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر